كتاب : المذاكرة في ألقاب الشعراء

المؤلف : الشهابي الإربلي

بسم الله الرحمن الرحيم

المعروف بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. وخدمت به خزانة صاحب الصدر الكبير، العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، المظفر، المنصور، تاج الدين، مجد الإسلام، وعضد الأنام، حسام الدولة، همام الملة، نصره الجاهدين، فاهر المتمردين، منصف المظلومين من الظالمين، عز الصدور، ظهير الجمهور، اختيار الإمامة المكرمة، عرس الخلافة المعظمة، كريم العراق، طاهر الأعراق، سند المسلمين، أخي الملوك والسلطين، سيف أمير المؤمنين، أبي الفتوح علي بن. . .، وعمر بالثناء والحمد نادية. وأنا أعتذر من سهو يقع، وخرق لا يرفع. ومن اقتضى العفو ارتضى الصفو، وما خلا أحد من عاب، ولا رفع قلم عن كتاب. قال أبو عبيدة: الشعراء الجاهلية ثلاثة، امرؤ القيس، والنابعة، وزهير. وسندكرهم، ومن بعدهم على أو جز ما يكون من الاقتصار، وأحسن ما يليق من الاختصار. فإن المذاكرة لا تحتل الإسهاب والإضجار. ولم أذكر إلا النوادر الغريبة الحسان، ومن الشعراء الذين لم يعرفهم إلا القليل من الأعيان. وابتدأت بذكر الشعراء الملقبين، الذين منهم من لقب بشعره، ومنهم من لقب بعلامة فيه، أو بظاهر من لونه، أو بمشهور من فعله، ومنهم ببلده أو بكنيته.

ألقاب الشعراء

فصل فيمن لقب بشعره

فمن لقب من الشعراء بيت قاله مدرج الرياح لقوله:
أعرفت رسماً من سمية باللوى ... درجت عليه الرياح بعدك فاستوى
ويروى عنه أنه لما عمل نصف هذا البيت ارتج عليه، وأقام يكره مدة سنة، ولا يقدر يعمل له عجزاً. وكان قد دفن في نفس المنازل التي كان ينزلها دفينة، فذكرها وقال لجاريته أن تمضي وتخرج الحبيبة من تلك البرية والموضع الذي أعطاها علامته. فمضت الجارية، وقد اختلفت الرياح على تلك الأراضي، وعفت آثارها. فعادت ولم تجد شيئاً. فسألها عن الحال، فقالت:
درجت عليه الرياح، بعدك، فاستوى
فتمم بيته بهذا، وسمي مدرج الرياح.
ومنهم المرقش، واسمه عمرو بن سفيان، وهو مرقش الأصغر.
وسمي مرقشاً لأن وجهه كان منقطاً. وقال:
كما رقص في ظهر الأديم قلم

ومنهم الممزق لقوله:

وإن كنتُ مأكولاً، فكنْ أنتَ آكلي ... وإلا فأدر كني ولما أمزقِ
ويروى أن عثمان كتب بهذا لبيت إلى علي، وهو محصور.

ومنهم المحرق، نسب نفسه إلى الممزق، وقال:

أنا المحرقُ أعراضَ اللثامِ، كما ... كان الممزقُ أعراضَ اللثامِ أبي
ومنهم المثقب، واسمه عائذ بن الأحمر بن وائلة. وإنما سمي مثقباً لقوله:

أرينَ محاسناً، وكننَ أخرى ... وتقبَنَ الوصاوصَ للعيونِ

الوصاوص: البراقع. ولقوله:

ظعائنٌ لا شوقي بهنَّ ظعائنٌ ... ولا الثاقباتُ من لؤي بنِ غالبِ

الثاقبات: يريد المصيبات.

ومنهم النابغة الذبياني، واسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن ذبيان. قيل: إنما سمي النابغة
لقوله:

وحلتُ في بني قينِ بنِ جسرٍ ... وقد نبغتُ لا منهمُ شؤونُ

وقل آخر: إنما سمي النابغة لأنه نبغ بالشعر. والنوابع أربعة: نابغة بني ذبيان، ونابغة بني جعدة، وهو قيس بن

عبد الله، ونابغة بني الحارث، وهو يزيد بن إبان، ونابغة بني شيبان، وهو عبد الله بن المخارق. سموا لأنهم

نبغوا بالشعر بعدما كبروا.

ومنهم الخلج، واسمه ناجية بن مالك. وسمي الخلج بقوله:

كأنَّ تخالَجَ الأَشْطَانِ فيها ... شَأْيِبٌ تجوُّدُ معِ العُوادي

ومنهم شقرة، واسمه معاوية بن الحارث. سمي شقرة لقوله:

وقد أحمَلُ الرمحَ الأصمَّ كعوبه ... به من دماءِ القومِ كالشقراتِ

والشقرات: الشقائق. وإنما سميت بذلك لأن النعمان بنى مجلساً، وسماه الضاحك، وزرع فيه الشقرات،

فسمي شقائق النعمان.

ومنهم المفضل، واسم عمر بن معشر بن أسحم بن عدي بن شيبان. وإنما سمي المفضل بقوله في قصيدته

المنصفة:

فأبكيها نساءهم، وأبكوا ... نساءً ما يسوغُ لهنَّ ريقُ

ومنهم المقرض، واسمه زهدم بن معد بن عبد الحارث. وإنما سمي مقرضاً لقوله:

وأنا المقرضُ في جنو ... بِ الغادرينَ بكلِّ جارِ

تقريضَ زندهِ قادحٍ ... في كلِّها يورى بنارِ

ومنهم المكواة، واسمه عبد الله بن خالد بن حجة بن عمرو. وإنما سمي المكواة لكثرة ذكره الكي في شعره،

ولقوله:

ومثلك قد عللتُ بكأسِ غيظٍ ... وأصيدُ قد كويتُ على الجبينِ
ولقوله:

لجيمٍ وتيم الله عزري وناصري ... وقيسٌ بها أكوي النواظرَ من صدِّ
ومنهم الحتات، واسمه بشر بن رديح بن الحارث بن ربيعة. وإنما سمي الحتات لقوله:
ومشهدٍ أبطالٍ شهدتُ كأنما ... أحتهمُ بالمشرفي المهندِ
الحت: أقل من البحت.

ومنهم الهجف، واسمه كعب بن كريم بن معاوية. وإنما سمي الهجف لقوله:
يرجي ابنُ معطٍ درها وانتحالها ... هجف جفتُ عندَ الموالي فأصعدا
الهجف: الظليم المسن.

ومنهم البعيث، واسمه خدش بن لبيد. وإنما سمي البعيث لقوله:
تبعثَ مني ما تبعثَ بعدما ... أمرتُ قواي، واستمرَّ عزيمي
أي: أبصرت عزمي، فمضيت على ما أعزم عليه. لأنه إنما قال الشعر وقد أسن.

ومنهم ذو الخرق، واسمه بن شريح. وإنما سمي ذا الخرق لقوله:
لا يَألفُ الدرهمُ المصرورُ خرقتنا ... لكنْ يمرُّ عليها، ثمَّ يَطلقُ
ومنهم أعمر، واسمه منبه. وإنما سمي أعمر لقوله:

قالتُ عميرةُ ما لرأسك بعدما ... طالَ الزمانُ أتى بلونٍ منكرِ
أعميرَ إنَّ أباكُ شيبَ رأسه ... مرُّ الليالي، واختلافُ الأعصرِ
والأعمر: الدخان. وقيل: إنه دخن على قوم في غار، فماتوا.

ومنهم قاتل الجوع، واسمه أمرؤ القيس بن كعب بن عمرو. وإنما سمي قاتل الجوع لقوله:
قتلتُ الجوعَ في الشتواتِ حتى ... تركتُ الجوعَ ليس له نكيرُ
ومنهم مزرد، واسمه يزيد بن ضرار الكلبي. وسمي مزرداً لقوله:

ظللنا نصادي أماناً عن حميتها ... كأهلِ شمسٍ كلنا يتوددُ
فجاءتُ بها صفراءَ ذاتَ أسرةٍ ... تكادُ عليها ربةُ النحي تكمدُ
فقلت: تزردها عبيدُ، فأني ... لدردِ الموالي، في السنين، مزردُ

الحميت: النحي المربوب. فإذا لم يرب فهو نحي. وإنما سمي حميتاً لأنهم يعملونه بالرب. والحميت: المتين.

ومنهم ذو الرمة، واسمه غيلان بن عقبة. وإنما سمي ذا الرمة لقوله:
لم يبقَ غيرُ مثلِ ركودٍ ... غيرُ ثلاثٍ باقياتٍ، سودِ
وبعدَ مرضوخِ القفا، موتودٍ ... أشعثُ باقي رمةِ التقليدِ
الرمة: بقية جبل خلق. ورمت العظام: بليت.

ومنهم القطامي، واسمه عمرو، ويقال: عمرة. وإنما سمي القطامي بقوله:
يحطهنَّ جانباً فجانباً ... حطَّ القطاميَّ القطا الهوازبا

والقطامي: الصقر. ويقال القطامي.

ومنهم الخطيم، واسمه نعمان بن مالك. وسمي الخطيم لقوله:

سلِ الخطيمَ اليومَ عن غمامة ... خالمها، فرضيتُ خلامه

غمامة: امرأة من دارم. وخالمها: صادقها. والخلم: الصديق.

ومنهم الغريب، وهو نعيم بن سليم. وإنما سمي الغريب لقوله:

إسمي نعيمٌ وأنا الغريبُ ... إسمي كريمٌ بهما أحبُّ

ومنهم عائد الكلب، وهو عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن الزبير. وإنما سمي عائد الكلب لقوله:

مالي مرضتُ فلم يعدني عائداً ... منكم، ويمرضُ كلبكم فأعودُ

ومنهم الأسعر، وكان قديماً من الشعراء، واسمه مرثد بن أبي حمران. وإنما سمي الأسعر لقوله:

فلا يدعني قومي لسعدِ بن مالكٍ ... لئن أنا لم أسعُرْ عليهم، وأتقبِ

أي: أوقد. والسعر: وقود النار والحرب. وقيل: سمي الأسعر لدقة ساقيه.

ومنهم الصامت، واسمه عمرو بن الغوث من طيء. وسمي الصامت بقوله:

رأيتني صامتاً لا قولَ عندي ... ألا إنَّ الغريبَ هو الصموتُ

ومنهم عارق، واسمه قيس بن جروة بن سيف وائل. وإنما سمي عارقاً لقوله:

لئن لم تغيرْ بعضَ ما قد فعلتمُ ... لأنتهشَ العظمَ الذي أنا عارقه

ومنهم العجاج. وإنما سمي العجاج لقوله:

حتى يعجَّ ثخناً من عجاج

العج: رفع الصوت. والثخن: الغلبة.

ومنهم الخطفي، واسمه حذيفة بن بدر بن سلامة بن عوف. وإنما سمي الخطفي بقوله:

يرفعنَ لليلٍ إذا ما أسدفا ... أعناقَ حياتٍ، وهاماً رجفا

وعنقاً بعدَ الكلالِ خيطفا

الخيطف: السريع.

ومن الشعراء المحدثين المرعث، وهو بشار بن برد، واسمه المرعث مولى عقيل، وكان أعمى. وقيل له المرعث

لقوله:

من لظيِّ مرعثٍ ... ساحرِ الطرفِ والنظرِ

قال لي: لستَ بنائلي ... قلتُ: أو يغلبُ القدرُ

وقيل: سمي بالمرعث لأنه ولد وهو مشقوق طرف الأذن، فقالوا: ولد مرعثاً، أي لم يحتج إلى أن تنقب أذنه.

ومنهم شهوات، واسمه موسى. وإنما سمي شهوات لقوله في يزيد بن معاوية:

لستَ منا، وليس خالداً منا ... ما نضيعُ الصلاةَ للشهواتِ

ومنهم عوف القوافي، وهو عوف بن عيينة بن حصن. وسمي بذلك لأنه قال:

سأكذب من قد كان يزعم أنني ... إذا قلتُ قولاً لا أجدُ القوافيا
ومنهم الفرار، الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبي سليم: إلى من أرفع لواءكم؟ قالوا: إلى الفرار.
فكره صلى الله عليه ذلك. فقالوا: إنما اسمه حيان بن الحكم، وغنما سمي الفرار لقوله:
وكتيبة ألبستها بكتيبة ... حتى إذا ألتبستُ نفحتُ بها يدي
ويروى: نفضت بها يدي.

هل ينفعني أن تقولَ نساؤكم ... وكلت خلفَ شريدهم: لا تبعُد
ومنهم طرفة، واسمه عمرو بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك. وإنما سمي طرفة لقوله:
لا تعجلا بالبكاء اليوم مطرفاً ... ولا أمير كما، بالدار، إذ وقفا
قوله: مطرف، أي مجلوب، فهو ينزع إلى وطنه. قال ذو الرمة:
كأنني من هوى حرقاء مطرف
ومنهم صريع الغواني، وهو مسلم بن الوليد الأنصاري. وإنما سمي بذلك لأن الرشيد، رضي الله عنه،
إستشده قصيدته:

أديرا عليّ الكأس لا تشربا قبلي
فأنشده، فلما بلغ حيث يقول:
هل العيش إلا أن تروح مع الصبا ... وتغدو صريع الكأس والأعين النجل
فقال الرشيد: سموه صريع الغواني. فهجاه بعضهم فقال:
فما ريح السذاب أشدُّ بغضاً ... إلى الحيات منك إلى الغواني
ومنهم مجنبي المروعة، وهو عبد الله بن أحمد الحنفي، وكان صديقاً لعبد الله بن المقفع. وإنما لقب بذلك لكثرة
ذكر المروعة في شعره وقوله:

لا تحسبن أن المرو ... عة مطعم، أو شرب كاس
أو في الولاية والموا ... كب، والمراكب، واللباس
لكنها كرمُ الفرو ... ع، زكت على كرم الأساس
وقوله أيضاً:

ليس المروعة بالدراهم ... بل المروعة بالمكارم
كم من غني سفلته ... ومقل قوم ذي معالم

فصل في ذكر من لقب من الشعراء بعلامة من خلقه وبظاهر من لونه

منهم الأخضر، وهو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب. وإنما سمي الأخضر لأنه كان أدماً شديد الأدمة
والأدم عند العرب: الأخضر. ويسمون الأبيض أخضر. وسمي آدم عليه السلام لأنه كان أبيض. وقال
الفضل:

وأنا الأخضر من يعرفني ... أخضر الجلد من نسل العرب

قال: والأخضر أيضاً في كلام العرب: الأسود. ويسمون الليل: الأخضر، والماء: الأخضر. قال الراجز:
وعارضُ الليل إذا ما أخضرا
ولذلك سمي السواد، لكثرة الأشجار، وخضرتها.
ومنهم الخطيئة، واسمه جرول بن مالك. وإنما سمي الخطيئة لقصره.
ومنهم الأقيشر، واسمه عقبة من بني عميرة. وسمي الأقيشر لشدة حمرة لونه، والأقشر: الشديد الحمرة،
وقوله:

إني أنا الأقيشرُ ذاكم نزي ... أنا الذي يعرفُ قومي حسي

والترب والنيز: اللقب. وهذا من المقلوب، وهو النيز. كمل قالوا: جيد وجذب، وما أطيبه وما أيطبه.
ومنهم أيضاً أقيشر آخر، كان يغضب إذا دعوه الأقيشر، ويخاصم. وهو المغيرة بن عبد الله بن الأسود.
ودعاه بعضهم بالأقيشر، فقال له:

أتدعوني الأقيشرَ، ذاك إسمي ... وأدعوكَ ابن مطفئةِ السراجِ
فسمي ذاك الرجل بابن مطفئة السراج.

ومنهم الأخطل، وهو غياث بن غوث بن الصلت. وإنما سمي الأخطل لكبر أذنه. والأخطل: المسترخية الأذان.
يقال: شاة خطلاء، ورجل أخطل، أي عظيم الأذن. والأخطل: الحمق. والأخطل: خفة وسرعة. ويقال: خطل
في كلامه، إذا أخطأ. ومن ألقاب الأخطل: دويل. وقال جرير:
بكي دويل، لا يرقى الله دمعهُ ... ألا إنما يبكي من الذلّ دويلُ

فلما بلغ الأخطل هذا البيت قال: أخزاه الله، والله لقد سميتني أمي بهذا الاسم يوماً واحداً وأنا طفل، فمن أين
وقع لهذا الخيث.

ومنهم الفرزدق، واسمه همام بن غالب بن صعصعة. وإنما سمي الفرزدق لأنه كان جهم الوجه، فقيل: كأن
وجهه فرزدقة، وهو الجردق الكبير. يقال: بالذال وبالذال. والفرزدق أيضاً: الفتوت الذي تشربه المرأة.
ولقد قال له بعض أهل المدينة، نكراً عليه: والله ما نعرف الفرزدق إلا هذا الفتوت الذي تشربه المرأة
وتتذفقه. فقال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نساتكم.

ومنهم الزبرقان، واسمه حصين بن بدر. وإنما سمي الزبرقان لأنه كان خفيف اللحية. والعرب تسمي الخفيف
اللحية: الزبرقان. وقال قطرب: إنه كان حسن الوجه، فشبّه بالقمر، ويقال للقمر: الزبرقان. قال الشاعر:
تضيءُ له المنابرُ حين يرقى ... عليها، مثلُ صنوِ الزبرقانِ

وقال الخليل: الزبرقان: ليلة أربع عشرة وخمس عشرة. وقال أبو عبيدة: قلت لرجل من ولد الزبرقان: لم
سمي الزبرقان، واسمه حصين؟ قال: اشترى حلة خضراء مزبرقة، ثم راح إلى ندي قومه، فقالوا له: زبرقت.
وزبرق الرجل ثوبه: إذا صفره، أو حمره.

ومنهم الطرماح، واسمه حكم بن حكيم. وإنما سمي الطرماح لطوله. والطرماح: الطويل. قال الشاعر:
معتدل الهادي، طرماح العصبِ

وقيل: سمي الطرماح لزهوه. والطرماح: الذي يرفع رأسه زهواً.
ومنهم أبو قطيفة، واسمه عمرو بن الوليد بن عقبة. وإنما سمي أبو قطيفة لأنه كان كثير شعر الجسد والوجه.
ومنهم الأرقط، وهو حميد بن مالك. وسمي الأرقط لآثار كانت في وجهه.
ومنهم الأفوه. سمي بذلك لأنه كان غليظ الشفتين، ظاهر الأسنان.
ومنهم النجاشي. سمي بذلك لشدة سواده.
ومنهم جحدر. واسمه ربيعة بن ضبيعة بن قيس. وإنما سمي جحدرًا لقصره.
ومنهم زياد الأعجم. وإنما سمي الأعجم لأن مولده ومنشأه كان بفارس.
ومنهم سديف. واسمه إسماعيل بن ميمون. وسمي سديفًا لونه شبه بالسدف. وسديف تصغير السدف.
والسدفة: الظلمة. وهذا من الأضداد. لأن السدفة في الضياء والظلمة. وقال ابن الأعرابي: السدفة ظلمة يخالطها ضوء.
ومنهم أبو نواس. واسمه الحسن بن هاني الحكمي. ويكنى أبا علي. وإنما قيل له أبو نواس لذؤابة. كانت في رأسه. والنواس: الذؤابة. ومنه سمي ذا نواس. وقيل: سمي ذا نواس لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقه.
والنوس: الحركة من كل شيء مدلى. وقال محمد بن يحيى المقرئ: سألت أبا نواس عن كنيته، ما أراد بها، وهل نواس بفتح النون، أو نواس بضمها؟ فقال: بضم النون، وكان سبب كنيتي أن رجلاً من جيرانني بالبصرة دعى إخواناً له، فأبطأ عليه واحد منهم، فخرج من بابه يطلب من يبعثه إليه، يستحثه. فوجدني ألعب مع الصبيان، وكانت لي ذؤابة في وسط رأسي، فصاح بي: نيا حسن إمض إلى فلان فجنن به. فمضيت أعدو، وذؤابتي تتحرك. فلما جئت بالرجل، قال: أحسنت يا أبا نواس. فشاعت هذه الكنية.
ومنهم حماد عجرد. وهو حماد بن عمرو، من أهل الكوفة، مولى بني عامر. وإنما سمي عجرداً لأنه كان مكتنز الخلق "، كثير العضلات، والعجرد من هذه صفته. والعجرد: الغليظ الشديد.
ومنهم أبو عتاهية. قال أبو سويد عبد القوي: وإنما سمي أبا عتاهية وكنيته أبو إسحاق، واسمه إسماعيل بن سويد، وبلده الكوفة. وأبو عتاهية لقب. تقول العرب: عته الرجل، وهو يعته، ومعتوه: مدهوش من غير مس الجنون. وتقول العرب: رجل عتاهية، بغير ألف ولا م. ومعنى عتاهية من الدهاء. وقال ابن الأعرابي: عتاهية الرجال ضلالهم.
ومنهم العث. واسمه زيد بن معروف. والعث: جمع عثة، وهي السوسة. وإنما سمي بذلك لأنه كان أكولاً. والعث يأكل الصوف والخشب وغيره.
ومنهم عروة الصعاليك. وهو عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله. وإنما سمي بذلك لأنه كان من أفقر من العرب ضمه إليه. فمن كان يمكنه أن يغزو معه غزى، ومن لم يمكنه ذلك جعل له شيئاً في الفيء، وأقعده. والصعاليك: الفقراء.
ومنهم المقنع اسمه محمد بن عمير. وإنما سمي المقنع لأنه كان أجمل أهل زمانه، وأحسنهم وجهاً، وأقدمهم قامة. وكان إذا كشف وجهه لطمته الجن، فكان يقنع وجهه دهره.

ومنهم علقمة الفحل. وهو علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد. وإنما سمي الفحل لأنه كان تنازع هو وامرؤ القيس في الشعر، فقال كل منهما لصاحبه أنا أشعر منك. فقال علقمة: قد حكمت بيني وبينك إمرأتك أم جندب، فقال: قد رضيت. فتحاكما إليها، فقالت: ليقل كل واحد منكما شعراً يصف فيه الخيل، على قافية واحدة. فقال امرؤ القيس:

خليلي مرابي على أم جندب ... لنقضي حاجات الفؤاد المعذب
فقال علقمة:

ذهبت من المهجران في غير مذهب ... ولم يك حقاً طول هذا التجنب
وأشد كل واحد قصيدته. فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك. قال: وكيف ذاك؟ قالت: لأنك قلت:
فللسوط أهوب، وللساق درة ... وللزجر فيه وقع أخرج مذهب
فجهدت في شكه بسوطك وزجرك، ومريته فأتعبته. وقال علقمة:
فرد على آثارهن بحاصب ... وغيبة شؤبوب، من الشد ملهب
فأدر كهن ثانياً من عنانه ... يمر كمر الرياح المتحلب
فأدرك فرسه ثانياً من عنانه، لم يضربه بسوط، ولم يزرجه بساقه، ولم يتعبه. فقال لها امرؤ القيس: ما علقمة
بأشعر مني، ولكنك له عاشقة. وطلقها، وخلف عليها علقمة، فكسمني. وله يقول الفرزدق:
والفحل علقمة الذي كانت له ... حلل الملوك كلامه تتخل

وأما الجاحظ فأنكر ذلك، وقال: إنما سمي الفحل لأن بعض عياهلة اليمن خصى علقمة بن شبل، فسمي
علقمة الخصي، فلما وقع على هذا اسم الخصي، قيل لذلك: الفحل، ليفرق بينهما.
ومنهم البرك. وهو عوف بن مالك، وإنما سمي البرك في حرب، لأنه صعد ثنية من جبل، ومعه أمه على جمل،
فلما وصل الثنية ضرب عرقوب فرسه البرك، وقال: أنا البرك أبرك حيث أدرك.
ومنهم الفند. واسمه شهل بن شيبان بن ربيعة، من بكر بن وائل. وكان شيخاً كبيراً، يعد بألف. فقدم في
بكر بن وائل في سبعين رجلاً. فلما رأهم بكر بن وائل استقلوهم، وقالوا: ويك تغير بهذا الجمع القليل أيها
الشيخ؟ فقال: أما ترضون أن أكون لكم فندا؟ قالوا: بلى. والفند: الحجر العظيم، أو القطعة الضخمة من
الجبل. سمي بذلك.

ومنهم زيد الخيل. وهو زيد بن مهلهل بن زيد. وإنما سمي بذلك لكثرة طراده للخيل، ومغاورته القبائل
والأحياء. وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم: زيد الخير.
ومنهم عنتره القوارس. وهو عنتره بن شداد. وإنما سمي عنتره القوارس لكثرة ملاقاته فرسان العرب،
وإغارته على أحيائها. وكان فارساً.

ومنهم سليك المقانب. وهو سليك بن عمرو. وإنما سمي المقانب لأنه كان صاحب غارات، وأنشد:
وإذا تواكلت المقانب لم يزل ... بالقفر منا مقنب معلوم
وكان هذا أيضاً يسمى رثبالاً. والرثبال: اسم للبع.

ومنهم الفاتك. وهو عبد الله بن الحسن. وإنما سمي بالفاتك لفتكه في الحرب.

ومنهم المذلق. وهو أوس بن عباد بن عبدود. وإنما سمي المذلق لأن سنانة كان لا يطعن به شيئاً إلا أنفذه. فسمي بذلك. وفي ابنه يقول المذلق:

متى ألقَ عبادَ بنَ أوسٍ أقلُّ له ... عليكَ سلامُ اللهِ يا ابنَ المذلقِ

ومنهم المسيب. واسمه زهير، من ربيعة بن نزار. وإنما سمي المسيب حين أوعد عامر بن ذهل، فقالت له بنو ضبيعة: قد سيبناك. فقال فيه بعض شعرائهم:

إذا سرّكم ألا تُؤوبَ لقاحكمُ ... بطاناً، فقولوا لمسيب يسرح

ومنهم فقيد تقيف، واسمه عمرو بن عبد الله. وكان سببه أنه عشق امرأة أخيه سفيان، وكنم أمره، ولم يعرف الأطباء داءه. فقال الحارث بن كلدة الثقفي، وكان طيب العرب: هو عاشق. فدعى بشراب، فصبه في فيه حتى سكر، فأنشأ يقول:

أهيجُ وأهيجُ، و ... حزينا ما أكونه

ألمابي على الأيبا ... ت بالخيفِ أزرهنة

غزلاً ما رأيتُ اليو ... م في دورِ بني كنه

غزلاً أحور العين ... وفي منطقهِ غنه

فقال الحارث: قد عرض ولم يبن. فزاده من الشراب، وعرض عليه نساء العرب، فلما مرت به امرأة أخيه أنشأ يقول:

أهل ودي ألا اسلموا ... وقبوا كمي تكلموا

أخذَ الحَيُّ حظهمُ ... من فؤادي، وأنعموا

فهمُ في كثيرةٍ ... وفؤادي متيمُ

وأخو الحبِّ جسمه ... أبدَ الدهر مسقمُ

طلعتُ مزنةً من ال ... بحر ربا تحمحمُ

هي ما كنتي، وأز ... عمُ أي لها حمُ

فلما أفاق من سكره عرف ما قاله، فاستحيا من أخيه، فذهب على وجهه، فلا يدرى أين توجه، فسمي فقيد تقيف.

ومنهم يزيد الغواني. واسمه يزيد بن سويد بن حطان. وإنما سمي بذلك لأنه كان صاحب غوان يتحدث إليهن، فقال:

فلا تدعوني، بعدها، إن دعوتني ... يزيد الغواني، وادعني للفوارس

ومنهم الجنونان، مجنون بني عامر، وهو قيس بن معاذ، ومجنون بني جعدة، وهو مهدي بن الملوح. سميا بذلك لإفراط جنونهما. قال المبرد: حدثني عبد الصمد بن المعدل، قال: سألت الأصمعي عن الجنون المسمى قيس بن معاذ، فقال: لم يكن مجنوناً، وإنما كانت به لومة كلومة أبي حية. واللومة: الاضطراب، والاسترخاء والانتكاث. والجنون إنما قيل له مجنون لأنه مستور القعل. ومنه سمي الجن لاستتارهم. وكذا الجنين.

ومنهم قيس الرقيات. وهو عميد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة. ورقية بنت الحسين عليه السلام، وكان يمدحها، ورقية بنت عبد الله.

ومنهم تأبط شراً، لأنه احتطب ذات ليلة، ثم انصرف بحطبه، فإذا فيه حية، فقال: إني كنت أتأبط شراً. وقال قوم: إنه قتل الغول وتأبطها. ولا حديث طويل يباه العقل.

ومنهم الحسام. وهو حسان بن ثابت بن المنذر. وإنما سمي الحسام لأنه كان يبلغ بلسانه مبلغ الحسام. وقال مزرد بن ضرار:

ولست كحسان الحسام بن ثابت ... ولست كشماع، ولا كالمخبل

ومنهم اللعين المنقري. وإنما سمي اللعين لأنه جنى جنابة، فتهرب منه قومه، وطردوه وبعادوه، لكيلا يؤخذوا بجريرته. وعند العرب كل مطرود مباعده فهو لعين. وسميت اللعنة من البعد. قال الله جلت قدرته: " يا لعنهم الله " : أي يباعدهم.

ومنهم مسكين الدارمي. واسمه ربيعة بن عامر وإنما سمي مسكيناً لأنه احتاج، فسأل أهله وعشيرته، فأعطوه وسموه مسكيناً. ولذلك قال:

وسميت مسكيناً وكانت لجاهة ... وإني لمسكين إلى الله، راغب

ومنهم القارطان، قارظ عنزة، وقارظ يشكر، ذهبا يقرطان القرظ، ففقدا. فضرب بهما المثل. قال الشاعر:

وحتى يؤوب القارطان كلاهما ... وينشر في الموتى كليب بن وائل

ومنهم الراعي. واسمه عبيد بن الحمير بن معاوية وإنما سمي الراعي لكثرة وصفه رعي الإبل ولغتها في شعره. وقال:

كأن مكاناً لكلكت ضرعها به ... مراغة ضبعان أسن وأمرعا

لكلكت: حركت.

ومنهم الجفول. لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعته إلى قومه يحمل لهم صدقات من الإبل، فجفلت الإبل منه. فسمي بذلك.

ومنهم القتال. واسمه عبد الله بن المضرحي. وإنما سمي بالقتال لكثرة قتله للناس. فقيل له في ذلك، فقال: والله ما أقتل أحداً ظلماً، إنما يجيئني الرجل فيقول: إن فلاناً ظلمني، وقد جعلت لك على قتله كذا وكذا، فاقتله.

ومنهم يسار الكواعب، وكان عبداً أسود. وإنما سمي بذلك لأنه لم تكلمه امرأة إلا ظنها قد عشقته. وكان

النساء إذا رأينه يضحكن عليه. حتى نظرت إليه امرأة مولاه، وهي منهن، فضحكت عليه، فظن أنها

خضعت له. فقال لصاحب له: قد عشقتني امرأة مولاي. فقال له: يا يسار، إشرب من ألبان هذه العشار،

وارع في هذه الأرض القفار، وإياك وبنات الأحرار، فإنهن كحد الشفار. فلم ينتبه. فراجع امرأة مولاه،

فأعدت له مدية، وقالت: أحضر بيتي هذه الليلة. فلما جاء إليها أخذت المدية وقطعت مذاكيره، وضربت

بها وجهه، وجدعت أنفه. فخرج هارباً في جوف الليل، فلما رآه صاحبه قال لأصحابه: قد جاء يسار

الكواعب. فلما نظر ما به قال له: ألم أهلك؟ فقال للذي كان نهما:

أمرتُ أبا عوفٍ فلحَّ، كأنما ... برى بصريحِ النصحِ لسعِ العقاربِ
فقلتُ له: لا ترددِ النصحَ، إني ... أخافُ بأنْ تردى أَمَامَ الكُتَّابِ
فقدَ عافَ محضَ النصحِ قبلكَ جاهلٌ ... فأصبحَ مجدوعاً يسارُ الكواعبِ
فجاءَ بما قد كنتُ أخشى، وربما ... أبي ذو النهي والرأيِ نصحَ الأقاربِ

فصل من لقب من الشعراء بفعل فعل غلب على اسمه

منهم عدل الأصرة. واسمه امرؤ القيس بن الحمام. وكان قديماً من الشعراء. وهو أول من بكى الديار. وذلك قول امرئ القيس:

يا صاحبيّ قفا النواعجَ ساعةً ... نبكي الديارَ كما بكى ابنُ حمامٍ

وإنما سمي عدل الأصرة لأن أمه ولدته في الإبل، فلما راحت جعلت عدل الأصرة على بعير من إبلها، فسي بذلك. والأصرة: خيوط تشد على أخلاف الإبل، إذا فلت ألبانها لثلا ترضعها فصلاهما. واحدها: إصرار. وأنشد:

ما شَمَّ توديةَ الصرارِ فصيلُ

والتودية: عمود يشد على رأس الخلف.

ومنهم المضرب. واسمه عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى. وسمي بذلك لأنه كان يجلس إلى امرأة فبعشقتها، فجاء إخوتها فضربوه.

ومنهم ثابت قطنة. وهو ثابت بن كعب بن جابر. وإنما سمي قطنة لأن عينه أصيبت، فجعل عليها قطنة.

ومنهم ذو الأصبع العدواني. واسمه حرثان بن حارثة. وسمي بذلك لأن حية نهشته في إصبعه. وقال قوم: إنه كان في أصابعه إصبع زائدة.

فصل من غلب اسم أمه على اسم أبيه

منهم ابن الحدادية. وهو قيس بن منقذ الخزاعي.

ومنهم خفاف بن ندبة، وندبة أمه، وكانت سوداء. وخفاف أحد أغربة العرب. وقال أبو عبيدة: أغربة

العرب ثلاثة من الشعراء. وإنما سموا أغربة لأن أمهاتهم كن سوداء. وهم: خفاف بن ندبة، وأبو عمير بن

الحارث بن الشريد، أحد بني سليم. وسليك بن السلكة، وهو من بني سعد بن زيد مناة من تميم. وعنترة بن زبيبة، أبو عمرو بن معاوية بن شداد.

ومنهم عمرو بن الأطنابة. وأبوه زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة.

ومنهم الأشهب بن رميلة وهي أمه، وأبوه: ثور بن أبي خارجة بن عبد المنذر.

ومنهم شبيب بن البرصاء. وهي أمه واسمها بارعة بنت الحارث بن عوف وأبوه: يزيد بن جمرة بن عوف

المرزني.

ومنهم ابن عنقاء. وهو عبد قيس، من بني فزارة.
ومنهم ابن سهية. وهو: إرطاة بن زفر، من بني ذبيان.
ومنهم ابن أم ذبيان. وهو: زميل بن عقيد بن بلال.
ومنهم ابن أم صاحب. وهو: قعنب بن حمرة.
ومنهم ابن ميادة. وهو: الرماح بن أرثد بن ثوبان.
ومنهم ابن شلوة.
ومنهم ابن دارة. وهو: سالم من بني عبد الله بن غطفان. وفيه قيل: محى السيف ما قال ابن دارة. وأخوه
أيضاً عبد الرحمن.
ومنهم ابن الطثرية. وهو يزيد بن المنتشر القشيري، وأمه من طثر، حي من مهرة.
ومنهم ابن قشحم. وهو قيس بن مالك. وقشحم اسم امرأة كان يضرب بها المثل لشجاعته.
ومنهم ابن ضبة. وقيل: ابن الرعلاء. وما أدري الرعلاء اسم أمه أم أبيه، لأنه لم يعرف الأب.
ومنهم ابن الدمينية.
ومنهم ابن غزالة.
ومنهم ابن الطيفان. وهو من دارم.

فصل من نسب إلى أبيه من الشعراء

ابن قرنيل.
ابن الطرب.
وابن الخرج.
وابن جندل الطعان.
وابن العجلان: وهو عبد الله بن عجلان العاشق.
وابن هرمة: وهو إبراهيم.
وابن الرقاع العاملي.
وابن مقبل: وهو تميم بن ابي بن مقبل.

أسماء المعرقلين من الشعراء

والمعرق من الشعراء من توالى له خمسة أو أقل أو أكثر، كلهم يقولون الشعر. فإذا كثروا حتى يكونوا
أخوة، ولهم أولاد وأخوات وآباء كلهم يقول الشعر، قيل لهم: بيت. قال الحسن البصري: إن أمرء لا يعد
بينه وبين آدم عليه السلام أباً حياً لمعرق له في الموت. وتقول العرب: إن فلاناً لمعرق له في الحسب والكرم
أو اللؤم. ويقال: إن فلاناً لمعرق له في القتل، إذا توالى له آباء كلهم قتلوا، مثل عبد الله ومصعب إبن

الزبير بن العوام. قتل عبد الله ومصعب ابنا الزبير يوم ذات نكيف، وقتل العوام يوم الفجار، وقتل الزبير يوم الجمل، وقتل مصعب وابنه بالعراق، وقتل عبد الله بمكة. فعبد الله معرق له في القتل. وكذلك علي بن الحسين بن علي عليهم السلام.

ومن الشعراء المعرفين

العوام بن المضرب، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى. كل هؤلاء شعراء خمسة في نسق، وبينهم من إخوتهم وأولادهم شعراء أيضاً. فالعوام معرق، وأبو سلمى بيت.

نسب أبي سلمى

ومن قال الشعر من ولده، وولد ولده، وولد ولد ولده

وذكر ما يستدل ببعض أشعارهم عليهم أبو سلمى: اسمه ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور. كان أبو سلمى يقول الشعر، وابناه زهير وأوس، وابنته خنساء. ومن ولد زهير: مجير وكعب. ومن ولد كعب عقبة. ومن ولد عقبة شيب والعوام وسيف. فالعوام هو الشاعر من ولد عقبة. وزهير وكعب هما الشاعران المذكوران. فمن شعر أبي سلمى، رواه حماد الراوية، وإن كان ضعيفاً:

ولنا بقدسٍ فالبقيعُ إلى اللوى ... رجعٌ إذا هُتَّ السبتي الوالغُ
وإِ، قرارٌ ماؤُهُ ونباتُهُ ... ترعى المخاضُ به، ووادٍ فارغُ
صعدتُ نحرزُ أهلنا بفروعه ... فيه لنا حرزٌ، وعيشٌ رافعُ
الرجع: المطر، والسبتي: النمر، والرافع: المخصب.

ومن شعر أوس، حيث عرض عليه الإسلام فأبى، رواه أيضاً حماد الراوية:

أحسبني في الدين تابعةً ... أولو حللتُ على بني سهمٍ
منعوا الخزايةَ عن بيوتهم ... بأسنةٍ وصفائحٍ خدمٍ
ولقد غدوتُ على القنيصِ بسابحٍ ... مثل الوذيلةِ جرشعٍ لأمٍ
قيدِ الأوابدِ، ما يغييها ... كالسيدِ لا ضرجٍ، ولا قحمٍ
ومن شعر خنساء بنت زهير:

ولا يغني تونق المرء شيئاً ... ولا عقد التميم، ولا الغضارُ
إذا لاقى منيته، فأمسى ... يساقُ به، وقد حنَّ الحذارُ
ولا قاه من الأيام يومٌ ... كما من قبل لم يخلدُ قدارُ

فأما زهير فأحد فحول الجاهلية. وفحولها أربعة: امرؤ القيس، والنابعة، وزهير، والأعشى. وبالإسناد عن عبد الله الليثي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في مسيره إلى الجابية: أين ابن عباس؟ قال ابن

عباس: فأتيته، فشكا تخلف علي عنه، قال: أو لم يعتذر إليك؟ قال: بلى قلت: فهو ما اعتذر به. ثم قال: أما إن أول من ريثكم عن هذا الأمر أبو بكر، إن قومكم كرهوا لكم الخلافة مع النبوة. فقلت: لم؟ ألم تكن خيراً لهم؟ قال: بلى، لكنهم لو فعلوا كنتم عليهم جحفاً، جحفاً، وهو الفخر والبذخ والنطاول، ثم قال: هل تروي لشاعر السو شيئاً؟ قلت: ومن هو؟ قال: الذي يقول:

ولو أن حمداً يخلدُ الناسَ خلدوا ... ولكنَّ حمدَ الناسِ ليسَ بمخلدٍ

قلت: ذاك زهير، قال: فهو شاعر الشعراء، قلت: وبم كان ذلك؟ قال: كان لا يعاقل بين الكلام، ولا يتبع وحشية، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل ابن عباس عن أشعر العرب، فقال: زهير، فقال: بم؟ فقال: بقوله:

لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ ... قومٌ بأولهم أو مجدهم، قعدوا
قومٌ، سنانٌ أبوهم حين تنسبهم ... طابوا، وطابَ من الأولاد ما ولدوا
محسدونَ على ما كان من نعمٍ ... لا ينزعُ الله منهم ما له حسدوا

ومما يتمثل به من شعر زهير:

ومن يغتربٍ يحسبُ عدواً صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره، ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن لا يذذ عن حوضه بسلاحه ... يهد، ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن لا يصانع في أمور كثيرة ... يضرسُ بانياب، ويوطأ بمنسم
ومن هاب أسباب المنية يلحقها ... ولو رام أسباب السماء بسلم
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ... ولا يعفها يوماً من الذل يسأم

وهذه أبيات يفضلها الرواة، ويكثرون التمثيل بها. ومعنى قوله: ومن لا يظلم الناس يظلم. فلاؤها هنا صلة، مثل قول الآخر: والطيبان أبو بكر، ولا عمر. فلا: صلة زائدة. وقول الآخر: من ير يوماً ير به.

وقول الآخر: من لم يكن ذنباً أكلته الكلاب.

إستدأب الناس، فمن لم يكن ... في الناس ذنباً أكلته الذئاب

وأما بجير وكعب ابنا زهير، قال محمد بن سلام: قلت لخلف الأحمر: بلغني أنك تقول: كعب أشعر من زهير! قال: لولا أبيات مديح لزهير كبر أمرهن لقلت ذلك: وكان أخوه بجير أسلم قبله، فشهد مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتح مكة، وقال في ذلك:

منحناهم بسبعٍ من سليمٍ ... وألفٍ من بني عثمانٍ وافٍ
فرحنا، والجيادُ تجولُ فيهم ... بأرماحٍ مثقفةٍ خفافٍ
وفي أكتافهم طعنٌ وضربٌ ... ورشقٌ بالمريشة الخفافِ

وشهد أيضاً حينئذ، وكان من خيار المسلمين، وقال في ذلك:

وجلنا جولةً، ثمَّ ارعونا ... فأمكننا لمن حضرَ الجلادا

وقيل: خرج كعب وبجير إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال كعب لبجير: الق هذا الرجل، وانظر ما يقول. فتقدم بجير فأسلم. فبلغ ذلك أخاه كعباً، فقال:
ألا أبلغا عني بجيراً رسالةً ... على أي شيء ويب غيرك ذلكا

على خلقٍ لم تلفِ أما ولا أباً ... عليه، ولم تدركِ عليه أحملاً لكا
سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويةٍ ... وأهلك المأمور منها، وعلكا
فبلغت أبياته رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأهمل دمته. فكتب إليه بجير بذلك، وقال له: إنه من شهد أن
لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، قبل منه، وأسقط ما صدر منه. فأقبل كعب حتى دخل المسجد، فجلس
بين يدي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال: الأمان، فقال: من أنت؟ فقال: كعب بن زهير: فقال:
أنت الذي تقول، وسأل أبا بكر عما قال، فأنشد البيت، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: مأمون والله.
وفي رواية أخرى أن كعباً أتى أبا بكر فعرفه نفسه، فأتى أبو بكر إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال:
رجل يبائعك على الإسلام، فبسط يده، فقال كعب بأبي أنت مكان العائد بك، أنا كعب. فتجهمته
الأنصار، وغلظت عليه، لما كان ذكر به النبي، عليه السلام. فأنشد النبي، صلى الله عليه وسلم قصيدته
المشهورة:

بانت سعادٌ فقلبي، اليوم، متبولٌ

حتى بلغ إلى قوله:

نبئتُ أن رسولَ الله أوعدني ... والعفو عند رسولِ الله مأمولُ
وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آمله ... لا أهينك أني عنك مشغولُ
فقلتُ: خلوا سبيلي لا أبالكم ... فكلُّ ما وعدَ الرحمن مفعولُ
كلُّ ابنِ أثنى، وإن طالَتْ سلامته ... يوماً على آلةٍ حذاءَ محمولُ
إنَّ الرسولَ لسيفٌ يستضاءُ به ... مهندٌ من سيوفِ الله مسلولُ
في فتيةٍ من قريشٍ قال قائلهم ... بيطنِ مكة، لما أسلموا، زولوا
زالوا، فما زال إنكاسٌ ولا كشفٌ ... عند اللقاء، ولا خورٌ معازيلُ
لا يقعُ الطعنُ إلا في نحورهم ... وما بهم عن حياضِ الموتِ قمليلُ
فنظر النبي، عليه السلام، إلى من عنده من قريش، كأنه يومئذ إليهم أن اسمعوا، حتى قال:
يمشون مشيَ الجمالِ الزهر، يعصمهم ... ضربٌ إذا عردَ السودُ التنايلُ
يعرض بالأنصار. فأنكرت قريش ما قال، وقالوا: لم تمدحنا إذا هجوتهم. فقال:

من سره كرمُ الحياة فلا يزل ... في مقنبٍ من صالح الأنصارِ

الباذلين نفوسهم لنبيهم ... عند الهياجِ وسطوةِ الجبارِ

والضارين الناسَ عن أديانهم ... بالمشرفي، وبالقنا الخطارِ

صدموا الكتيبةَ يوم بدر، صدمةً ... ذلت لوقعتها رقابُ نزارِ

فكساه النبي، صلى الله عليه وسلم، بردة، اشتراها معاوية بعد ذلك بمال كثير. فهي البردة التي كانت يلبسها الخلفاء في العيدين.

وكان الخطيابة راوية لزهير وآل زهير، فقال يوماً لكعب: قد عرفت انقطاعي إليكم أهل البيت، وقد ذهبت الفحولو غيرك وغيري، فول قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني معك موضعاً، فقال:
فمن للقوافي شأها من يحوكها ... إذا ما ثوى كعباً، وفوزَ جرولُ
كفيتك لا تلقى من الناسِ واحداً ... تنخلَ منها مثلما يتنخلُ
فاعترضه مزرد أخو الشماخ فقال:

باستك إذ خلفتني خلفَ شاعرٍ ... من الناسِ لم أكفي، ولم أتنخلِ
فلست كحسان الحسام بن ثابتٍ ... ولست كشماخ، ولا كالتنخلِ
وكذلك يقول الكميت في آخر قصيدته:

فما ضرها أن كعباً ثوى ... وفوزَ من بعده جرولُ
ومن جيد شعر كعب قوله:

لأي زمانٍ يخبأ المرءُ نفعها ... غدا، فغدا والدهرُ غادٍ ورائحُ
إذا المرءُ لم ينفك حياً، فنفعه ... أقلُّ إذا رصتْ عليه الصفائحُ
أحذه أبو العتاهية فقال:

إني رأيتك للعالم وزينتها ... وما أريدك يومَ الدين للدين

وأما العوام بن عقبة بن كعب بن زهير فما اختير من شعره من قصيدة كثيرة المحاسن، وهي قوله:

فوالله ما أدري إذا أنا جئتُها ... أأبرئها من دائها، أم أزيدها
فلم يبقض يا سوداءُ نتيَّ أحبه ... وإن بقيت أعلامُ أرضٍ ويديها
سوى نظرةٍ من شبه سوداءٍ إذ بدا ... لعينيَّ من أم الغزاةِ جيدها
لقد كنتُ جلدًا قبل أن توقدَ النوى ... على كبدي ناراً، بطيئاً خمودها
فلو تركتُ نارُ الهوى لتضمرت ... ولكنَّ توقاً، كل يومٍ، يزيدها
وقد كنتُ أرجو أن تموتَ صبايتي ... إذا قدمت أيامها وعهودها

فقد حملتُ في حبة القلبِ والحشا ... عهداً الهوى تولى بشوق يعيدها
من الخفرات البيض ودَّ جليسيها ... إذا ما قضتْ أحدوثته، لو تعيدها
حصانٌ من السوعات للشمسِ وجهها ... وللريمٍ منها مجراها وجيدها
مرتجةُ الأطرافِ هيفٌ خصورها ... عذابٌ ثناياها، عجافٌ قيودها
وصفرٌ تراقبها، وحمراً أكفها ... وسودٌ نواصيها، وبيضٌ حدودها
مثقلةُ الأردافِ زانت عقودها ... بأحسن مما زينتها عقودها
خليليَّ إني اليومَ شاكٍ إليكما ... وهل تنفعُ الشكوى إلى من يزيدها

حزازاتِ شوقٍ في الفؤادِ، وعبرةً ... أطلُّ بأطرافِ البنانِ أذودها
وتحتِ مجالِ الصدرِ حرُّ بلابلٍ ... من الشوقِ لا يدعى لخطبِ وليدها
نظرتُ إليها نظرةً ما يسرني ... بما حمرُ أنعامِ البلادِ وسودها
إذا جنتها وسطِ النساءِ منحتها ... صدوداً، كأنَّ النفسَ ليستُ تريدها
ولي نظرةً بعدِ الصدودِ من الهوى ... كظرةِ ثكلىٍ قد أصيبَ وحيدها
رفعتُ عن الدنيا المنى غيرَ وجهها ... فلا أسألُ الدنيا، ولا أستزيدها
وهذه الأبيات اخترتها من القصيدة، ومما أطربني، حفظتها فلم أسمع أطف منها ومن ألفاظها الرقيقة، والمعاني
الجزلة الرقيقة.

ومن الشعراء المعرفين

فاطمة ويزيد ابنا سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. وهؤلاء كلهم شعراء مشهورون، سوى ثابت
فإن شعره ضعيف، ليس هو مما يثبت، إنما له البيت والبيتان، فمن ذلك قوله:
ورثنا من البهلولِ عمرو وبنِ عامرٍ ... وحرارةُ الغطريفِ مجداً مؤثلاً
مواريثَ من أبناءِ بنتِ ابنِ مالكٍ ... وبنْتِ ابنِ إسماعيلَ، ما أنْ تحولا
وابنته خولة بنت ثابت. وحسان بن ثابت عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة، ومات في
أيام معاوية. وكانت له ناصية يشدها بين عينيه، وكان يضرب بلسانه أرنبة أنفه، ويكنى أبا الوليد. وأجمع
الرواة أم حسانا أشعر المخضرمين. والمخضرمون: من قال الشعر في الجاهلية والإسلام. وهو شاعر رسول
الله، وسماه الحسام. وكان شعره يبلغ من المشركين ما يبلغ السيف الحسام، تى أن أحياء كثيرة اسلمت فرعاً
من شعره. وبذلك جاءت الأخبار الصحيحة فيه، وفي عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك. ويقول رسول
الله، صلى الله عليه وسلم: " المؤمن من جاهد بيده ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنا ينضحو لهم بالنبل ".
وفي حديث آخر: " لكلام هؤلاء نفر من الأنصار أشد على قريش من نضح النبل، وأن الروح لتحضرهم
بالتوفيق ".

ومن أسلم من شعر حسان: الزبيري.

وقيل أشعر المسلمين ثلاثة: عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت. وكان عبد الله يعبرهم
بالكفر، وكان كعب يخوفهم الحرب، وكان حسان يقدح في أنسابهم، لأنه يعرف الأنساب معرفة جيدة. ولما
ألح أبو سفيان في هجو رسول الله، صلى الله عليه وسلم استأذنه ابن رواحة وكعب في هجائه فسكت.
وأما شعراء المشركين: فعمرو بن العاص، وابن الزبيري، وأبو سفيان بن الحرث. وبالسناد عن عائشة قال:
لما هجا المشركون رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: ألا أحد يجيب عنا؟ قالت: فدعونا عبد الله بن
رواحه يعارضهم. فعبيرهم بالأيام والوقائع والكفر، فلم يبلغ ما يريد. قالت: فدعونا حسانا، فأخرج لسانه،
فضرب به أرنبة أنفه، وقال: والذي بعثك بالحق، ما أحب أن لي مقولاً به في معد. قال: كيف وأنا منهم؟
قال: اسلك منهم مثل الشعرة من العجين. قال: يا ابا بكر: قم فعمله تلك الصفات. قالت عائشة: فشفي

وأشئفى. وفي رواية أن جبرائيل عليه السلام أعان حسناً بسبعين بيتاً. فهذا تأويل دعاء رسول الله، صلى الله عليه: " اللهم أيد حسناً بروح القدس " ، وقال له: " اهج المشركين، وروح القدس معك " . وفي حديث آخر: لما وفد وفد بني تميم وضع النبي صلى الله عليه لحسان منبراً فأجلسه عليه. وفي رواية أن عمر بن الخطاب مر بحسان وهو ينشد في المسجد، فزجره ونهاه. فقال: قد أنشد من كان خيراً منك، يعني رسول الله.

وقيل: إن الحارث بن عوف أتى رسول الله فقال: أجري من شعر حسان، فلو مزج البحر بشعره مزجه. وحسان ممن وجفد على الملوك في الجاهلية، وأخذ الجوائز. ولما احتضر الخطيئة قال: أبلغوا الأنصار أن أحاهم أمدح الناس، حيث يقول:

يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم ... لا يسألون عن السوادِ المقبلِ
وقوله:

ربِّ علمٍ أضاعه عدمُ الما ... ل، وجهلٍ غطى عليه النعيمُ
أخذ هذا المعنى ابن هرمة فقال:

يكادُ إذا ما أبصر الكلبُ ضيفهُ ... يكلمهُ من حبه، وهو أعجمُ
ولما نظم حسان قوله:

نسودُ ذا المالِ القليلِ، إذا بدتُ ... مروءتُهُ فينا، وإنْ كانَ معدماً
أعجب به، فصعد أطمه، ونادى: واصحابه، فاجتمع قومه إليه، وقالوا: ما وراءك؟ فأنشدهم البيت، فعجبوا كما عجب.

وكان لحسان بنية شاعرة لم تذكر، وقيل: إن حسناً ارق ذات ليلة، فعن له أن يقول الشعر، فقال:

متاريكُ أذئابَ الأمورِ إذا اعترتُ ... أخذنا الفروعَ، واجتينا أصولها

ثم أرتج عليه. فقالت له بنته: كأن قد ارتج عليك يا أبتى؟ قال: نعم. قالت: فهل لك أن أجيز عنك؟ قال: وهل عنك ذاك؟ قالت: نعم، قال: فافعلي، فقالت:

مقاتيلُ بالمعروفِ، خرسٌ عن الخنا ... كرامُ يعاطونَ العشيَّرةَ سولها
فحمي الشيخ فقال:

وقافيةٍ مثلِ السنانِ رزيتها ... تناقلتُ عنها افق السماءِ نزلها
فقالت:

يراها الذي لا يتطقُّ الشعرَ عندهُ ... ونعجزُ عن أمثالها أن نقولها
ومن أحسن ما سمعت من غرر ابياته:

وكتتَ إذ ما موكبٌ صدَّ موكباً ... لدى الروعِ، يومِ الروعِ، وحلك موكبا
أخذ هذا المعنى أبو تمام فقال:

قليلكمُ يربي على عددِ الحصى ... وواحدكم في الأرضِ، لله، عسكرُ

ولدعبل مثل هذا:

ما شكَّ خلقٌ أن فارسنا له ... إقدام جيشٍ لا يرأى، هام
وقيل: عن ساناَ مر بقوم يشربون الخمر فنهاهم، فقالوا: ننتهي؟ وإنما إذا ذكرنا قولك نعود. فقال: وما هو؟
قالوا:

إذا ما الأشرباتُ ذكرن يوماً ... فهنَّ لطيب الراح الفداءُ
ونشربها، فتركنا ملوكاً ... وأسداً ما ينههها اللقاءُ
فيرغبنا ذلك في شربها.

ذكر عبد الرحمن بن حسان

كان أهدى المقوقس، عظيم القبط إلى النبي، صلى الله عليه مارية، فولدت له إبراهيم، ووهب لحسان سيرين، فولدت له عبد الرحمن. فبينما عبد الرحمن يلعب مع الصبيان، إذ لسعه زنبور فصاح، فأقبل حسان يسعى، وقال: ما لك؟ قال: لسعني زنبور كأنه برد حبرة. فضمه حسان إليه وقال: قال إبي الشعر ورب الكعبة، وأسلمه إلى المكتب. فهو في المكتب يوماً وقد نغم المعلم على الصبيان، فأدبهم عليه، وأراد تأديبه، فقال:

الله يعلم أبي كنتُ معتزلاً

فقال المعلم: وإلا أين كنت؟ قال:

في دار يعقوب اصطاد اليعاسيبا

فبلغ حساناً، فأقبل يسعى حتى ضمه.

وكان عبد الرحمن يقول: عاش ابي مائة وعشرين سنة، وجدي ثابت مثلها وجد ابي مندر مثلها، وأنا ايضاً أعيش كموا عاشوا. فمات ولم يجاوز الستين سنة.

ومما وجدت من شعر عبد الرحمن:

ذمت ولم تحمد، وأدركتُ حاجتي ... تولى سواكم عرفها واصطناعها

أبي لك فعلَ الخيرِ رأيي مفندٌ ... ونفسٌ أضاقَ الله بالخيرِ باعها

إذا ما أرادتُه على الخيرِ مرةً ... عصاها، وإن همت بسوءٍ أطاعها

وله ايضاً:

وإني لأمسي، ثم أصبح طاوياً ... وأكرم نفسي عن دقائق المطاعم

ومن نواذر أبياته:

إذا أبصرتني أعرضت عني ... كأنَّ الشمسَ من قبلي تدورُ

وله أخبار كثيرة يطول شرحها.

ذكر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان

ومن شعره:

فإنَّ البلاءَ مرور اللوات ... تكررُّ على الناس بيضاً وسودا

ليالٍ تكررُّ بأيامها ... تزيل عن أهل الجدودِ الجدودا

ومما وجدت من شعر فاطمة بنت سعيد:

سل الخير أهل الخير قدماً، ولا تسل ... فتى ذاق طعم العيش منذ قريب

فليس يلدُّ الخير إلا امرؤ به ... تغذى صبياً قبل وقتٍ مشيب

ومثله لها:

واسأل الخير، إن سألت، كريماً ... لم يزل يعرف الغنى واليسارا

فقليلُ الكريمِ يكسب فخراً ... وكثيرُ اللئيمِ يكسبُ عارا

ومن الشعراء المعرفين

محمد بن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي. كل هؤلاء شعراء معرقون، إلا عطية، فهو ضعيف، وقل ما يروى نله. وأشعر ولد جرير بلال.

وأما الخطفي فهو حذيفة بن يدر بن سلمة بن عوف، وسمي الخطفي لقوله:

وطول رحال المطي اختلفا ... يرفعن لليل إذا ما أسدفا

أعناق حياتٍ، وهاماً رجفا ... وعنقاً، بعد الكلال، خيطفا

والخيطف: السريع. ومن شعر الخطفي:

عجبت لإرزاء العبيِّ لنفسه ... وصمت الذي قد كان بالقولِ أعلما

وفي الصمت سترٌ للعبيِّ، وإنما ... صحيفة لبِّ المرء أن يتكلما

ذكر جرير ولده

وولد جرير: حرزة، وزكرياء، والصفاح، وسوادة، والثبجان، وأمهم خالدة بنت سعد بن أوس. ولها يقول:

تشكت أمَّ حرزة، ثمَّ قالت ... رأيتُ الموردين ذوي لقاح

وكذا يقول:

حيوا أمانة، واذركوا عهداً مضى ... قبل التفرق من شماليِّ النوى

وبلال، ونوح، أمهما أم حكيم بنت سعد، من أهل الري، سبها قطري بن الفجاءة، فوقع في يدي

الحجاج، فوهبها لجرير، وفيها يقول:

لقد زدت أهل الريِّ عندي ملاحهً ... وحييت، أضعافاً، إليَّ المواليا

إذا عرضت بالبين منها تعرضت ... لأمِّ حكيمٍ حاجةً في فؤاديا

وفيها يقول:

ما استوصف الناس من شيء يروقههم ... إلا رأوا أم نوح فوق ما وصفوا
كأنها مزنة غراء رائحة ... أو درة ما يوارى ضوءها الصدف

وشعراء الاسلام اربعة: جرير، والفرزدق، والأخطل، وكثير. وسئل الأخطل عن نفسه وعن جرير
والفرزدق فقال: أنا أمدحهم للملوك، وأوصفهم للخمر، والفرزدق أفخرنا، وجرير أهجانا وأسينا وأسهبنا.
ويقال: الفرزدق ينحت من صخر، وجرير يغرف من بحر.

ومر الراعي في سفر فسمع إنساناً يغني بشعر جرير:
وعاوى عوى من غير شيء رميته ... بقافية إنفاذا يقطر الدما
خروج بأفواه الرواة كأنها ... قرا هندواي، إذا هنر صمما
فقال الراعي: لعن الله من يلومني إذا قلت: جرير يغلبي.

وسئل الأخطل عن جرير، فقال: دعوه، فإنه كان بلاء على من صب عليه، وما أحسن ناحيته، واشرد
قافيته، والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابه، والشابة على أحبابها، ولقد هنزه فوجدوه عند الهراش
ناجماً، ولقد قال بيتاً لأن أكون قلته أحب إلي مما طلعت عليه، وهو قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس، كلهم، غضابا
ويقال: إن جريراً هاجى ثلاثين شاعراً غلبهم، وأخباره كثيرة مسموعة، وقد تداولتها الألسن، فلا نذكر
منها إلا لمعاً، وكذا من أشعاره نذكر ما يتمثل به.

ومن العجب أن أم جرير رأت في نومها كأنها ولدت جريراً، والجرير: زمام النجيب، من سيور مضفورة،
وكان الجرير مطويماً، فجعل أهله يأخذونه فينثرونه ويجعلونه قلائد في أعناق رجال لا تعرفهم. فخبرت أباه
بذلك، فقال: لتلدن غلاماً يعد الناس بشر. فلما ولدت جريراً سألته أن تسميه جريراً، فكان منه ما كان.
وقال جرير: لا يقال للشعر شعراً إلا أن يكون بعضه أخذاً برقاب بعض.

وقيل لمسلم: أي الشاعرين أفضل، جرير أم الفرزدق؟ فقال: الفرزدق يني، وجرير يهدم. وقال: بيوت
الشعر أربعة: فخر، ومدح، وهجاء، ونسيب. وجرير غلب في هذه كلها. ويريد بالفخر قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم، غضابا
ويريد بالمدح قوله:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح
ويريد بالهجاء قوله:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت، ولا كلابا
ويريد بالنسيب قوله:

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلنا، ثم لم يمين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله أركانا

وقيل لبيدار: من أشعر الثلاثة؟ فقال: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه، وكان
لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق. ولقد ماتت النوار فكانوا ينوحون عليها بشعر جرير، الذي

رثى به أم حرزة، وهو:

لولا الحياء لعادني استعمار ... ولزرت قبرك، والحبيب يزارُ
ولقد أراك كسيت أجمل منظرٍ ... ومع الجمال سكينَةٌ ووقارُ
لا يلبثُ القرناء إن يتفرقوا ... ليلٌ يكرُّ عليهمُ ونهارُ

وقوله:

فإن أكَ مجنواً فأخسر صفقتي ... وإن أك متروكاً فلقوسٍ منزعُ

ولستُ أخوا ذنبٍ فأخشى نكالهُ ... وإن كنتُ ذا ذنبٍ فحلمك أوسعُ
وله أيضاً:

يا أيها المولى الذي لم أبتهل ... إلا سألتُ لهُ البقاءَ إلهي
أشكو إليك، وكيف أشكو خلتي ... إلا إليك، وأنتَ بابُ الله
وله أيضاً:

غاب عنا فغاب كلُّ سرورٍ ... وأتانا بالبشرِ والترحيبِ
طاوياً بالذنوبِ ما نشر البع ... د علينا من الجوى والكروبِ
سافراً عن أسرةٍ تخجل الشم ... س، وتخزي وجه الزمان القطوبِ
وله أيضاً:

نمّ في الليل عرفها وسناها ... ووشى حليها فهبَّ الرقيبُ
فخشينا الواشي فقلنا أستري ما ... نمّ، قال، والقول منها عجيبُ
هب سترت الحلي، أو ضوء وجهي ... كيف أخفي نشري، وكلي طيبُ
وله أيضاً:

إذا كنت لا أقري الضيوف وأحرق ... وأغني كلَّ عافٍ ومدقعٍ
وإلا فبدلتُ القناة بمغزلٍ ... وسرجي بخدرٍ، واللثام ببرقعٍ

ذكر أم غيلان بنت جرير

تزوج حبيب الرياحي أم غيلان. وكان لها ابن عم يدعى جعداً، قد خطبها، فأبى جرير أن يزوجها. فجعل
جعد وابن عم له يكنى أبا موزون يقعان في زوجها، ويزعمان أنه عين، فقال:
أصبح جعدٌ وأبو موزون ... يرمون قسطاطي بالظنون
ما ساق خمساً قبله عين ... يسأل في المهر ويستلين
فسمع جرير الشعر، فقال: هذا شعر أعرفه.

ذكر بلال بن جرير

له يرثي أباه جريراً:
إني رأيتُ جريراً يومَ فارقتنا ... أبكى ربيعة، وأختلتُ له مضراً
باتَ الخامي عن الأحساب قد علموا ... والمحرزُ السيقَ لما أعظمَ الخطرُ
إما ثويتَ مقيماً فوقَ رابيةٍ ... فقد مضت لك أيامٌ لها غررُ
قد كان في الحرب ليثاً ذا مزابنةٍ ... شعباً إذا استحصدت، من حربته، المررُ
وكان يكوي ذوي عرٍّ فيرئهم ... وكان يعفو كثيراً، وهو مقتدرُ
وربَّ داعٍ دعا في الكيل أطلقه ... والخطو من قيده في الخطو مقتصرُ
وباب ملكٍ نفعت النازلين به ... والبابُ ممن يردُّ الباب محتصرُ
فأنعى جريراً إلى الأخلافِ إذ نزلوا ... وللأرامل لما أخلفَ المطرُ
ويقول جامع هذا الكتاب: إني مجب بهذه القطعة، وهذا، والله، الشعر.

وولد بلال عقيل

قال عقيل: سمعتني إعرابية وأنا أنشد شعراً:
وكم ليلة قد بتها غير آثمٍ ... بمهضومة الكشحين، ريانة القلب
فقال لي: هلا أئمت أدينا أم عييناً؟ وقال في رجل حلف يمينا كاذبة:
لا حلف يقطع حقَّ خصمٍ شاغبٍ ... إلا كحلف عبيدة بن سميح
أمضى اليمين على الغموس لجاهةٍ ... عضَّ الجموح على اللجام المقدع

وعمارة ولد عقيل بن بلال

وكان عمارة اشعر ولد جرير، وهو غزير الشعر، كثير التصرف، وأخذ عنه ابن الأعرابي وابن السكيت.
ومن شعره:

أرى الناس طراً حامدين لخالدٍ ... ومأكلهم أفضت إليه صنائعه
ولن يترك الاقوام أن يحمداً القتي ... إذا كرمت أخلاقه وطبائعه
فتي أمعت ضراؤه في عدوه ... وخصت وعمت في الصديق منافعه
فأخذ هذا المعنى أبو هفان، فمدح به ابن أبي دواد، فقال:
ما لي إلى ابن أبي دؤادٍ حاجةٌ ... تحلو إليه، ولا له عندي يدُ
إلا يدُ عمته فكنت كواحدٍ ... ممن يعين على الشاء ويسعدُ
نال البعيد عرفه، فشكرته ... والحرُّ يشكرُ أن ينال الأبعدُ
وقال أيضاً:

وكم قد رأينا من كهامٍ وجفنه ... حديدٌ، ورث الغمد، وهو جديدي

ومغتمض في العين صدق لقاءه ... ومن مالى للعين وهو بليد
وشبيه بهذا المعنى:

خلاتق المرء في الدنيا ترينه ... ما إن يزينه طول ولا عظم
قد يخلف المرء، والمرأة معجبة ... وقد يسود الفتى في كشحه هضم
ومثله:

وقد يعجز المرء السمين عن العلى ... وقد يمنع الضيم الفتى وهو أعجف
وله وقد أسن:

كبرئت ودق العظم مني، وقني ... بني، وأجلت عن فراشي القعائد
وأصبحت أعمى لا أرى الشمس بالضحي ... تعيرني بين البيوت الولائد
وأكثر هجري أهل بيتي ومنزلي ... وبت كأي منهم متباعداً

وقد كنت أغدو في رضاهم كأنني ... من الطير أقتى يفض الطل صائد
ولن تلبث الأيام شيئاً طلبته ... وسود الليالي المخلدات الجدائد
ذهبن ياسحاق الجواد مع الذي ... ببغداد صادته المنايا الصوائد

يعني إسحاق بن إبراهيم المصعبي، وكان امتدحه فوهب له خمسين ألف درهم.
وقيل لعمارة بعدما عمي: أيما أشعر أنت أبو أبو تمام؟ فقال: أبو تمام، فقيل له: إنك لأشعر منه، فقال: أنا لا
أجيد إلا في وصف النوي والأثافي والديار، وأبو تمام يقول:
لولا العيون، وتفاح الحدود، إذا ... ما كان يجسد أعمى من له بصر
فما اشتبهت أن أكون بصيراً إلا مذ سمعت هذا البيت.

ولعمارة لما دخل بغداد:

ترحل، فما بغداد دار إقامة ... وما عند من أضحى ببغداد طائل
محل ملوك سمنهم في أديمهم ... فكلهم من حلة الجدي عاطل

إذا عظمت البحر العظام مأوه ... فليس عظيماً أن تفيض الجداول
قوله: سمنهم في أديمهم: كما يقال: سمنهم في عجينهم، أي ما يغذي فضلة.

وأنا أقول: قاتله الله، لو شاهد هذه الأيام المستنصرية، وهذه المواهب التي عمت البرية. ولقد أجاد من قال
في هذا العصر المذهب والزمان الفسيح المذهب:

أقم في ذرى بغداد، تلق إمامها ... مليكاً عليه للنبي دلائل

عجبت وقد أضحت أياديه أبحراً ... وليس لها إلا النوال سواحل

وفي أهل بغداد الكرام ثلاثة ... لهم محتد في المكرمات، ونائل

وزبور سما فضلاً، وأستاذ دارها ... حليف الندى، وابن الدوامي عادل

ثلاثة أجواد، لو أفتخرت بهم ... تميم وتيمم باهلوا وتطاولوا

ولعمارة أيضاً:

إذا ما سقى الله البلادَ فلا سقى ... بلاداً بما الميدانُ برقاً ولا رعدا
فيا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... على صدرٍ منها، كما جئتها وردا

ومن الشعراء المعرفين

متوج بن محمود بن مروان بن أبي الجنوب بن موان بن يحيى بن أبي حفصة، واسمه يزيد. فكل هؤلاء شعراء.
فمتوج معرق، وأبو حفصة بيت، ولهم من ولدهم شعراء لا يحصى لهم عدد، ونذكر العمود بن أبي حفصة
إلى متوج.

ومن شعر يحيى بن أبي حفصة يرثي عبد الملك بن مروان:
إنَّ المنايا لا تغادرُ حاسراً ... يشي بثوبيه، ولا ذا جنه
إنَّ المنايا لو تغادرُ واحداً ... كان الخليفةُ ناجياً منهنة
بكتِ المنايرُ يومَ مات، وإنما ... تبكي المنايرُ فقدَ فارسهنة
قد كان حلمك كالجبالِ رزاةً ... بل لو يوازننَّ مالَ بمنه
وله حين خرج يزيد بن المهلب:

لا يصلح الناس إلا السيف إن فتوا ... لهفي عليك ولا الحجاج للدين
لو كان حياً لحي الأزد إذ فتنوا ... لم يحص قتلاهم حسب دارين
وأما أبو السمط مروان الكبير، كان أبو عمرو الشيباني يقول: ختم الشعر بمروان. ودون شعر القدماء،
فلمما انتهى إلى شعر بشار لم يكتبه، واستخار عليه شعر مروان.
وكان مروان أبعد الخدثين من السخف، وأصلحهم مبالغة في المدح.
فمن أحلى قصائده التي اشتهر بها، وأعلى المهدي قدره وقرب مجلسه ووفر له العطاء، ولم يعط شاعر ما
أعطي، فهي قوله:

طرقتك زائرةٌ فحيَّ خيالها ... بيضاء تخطُ بالحياء دلالها
فلما أنشدها المهدي قال له: كم بيت؟ قل: مائة بيت، فأمر له بمائة ألف درهم، وقال له: لو زدتنا زدناك.
ومن القصيدة:

ما زال ينصبُ للهواجرٍ وجهه ... ويخوضُ في ظلم الدجى أهواها
حتى إذا وردت أوائلُ خيله ... جيحان، بثَّ على العدو رعاهها
وقال مروان خلف الأحمر: إسمع شعري وأصدقني عنه، قال: هات، فأنشده طرقتك زائرةٌ فحي خيالها، فلما
بلغ إلى قوله: حتى إذا وردت أوائل خيله قال: لأنت أشعر من الأعشى في قوله:
رحلت أميمةً غدوةً أجمالها

وفي هذه القصيدة يقول بالميراث للعباس:

حسدتكم ميراث أحمد عصبه ... لم ينه أهل حلومها جهالا

أسفوا لأن نالَ الوراثةَ دونهم ... عمُّ النبيِّ، وبالفريضةِ نالها
قلُّ للذين على الخلافةِ شايحوا ... ليفتحوا بمناهم أقالها

قد طال ما شغلَ الوراثةَ عنهم ... أربابها، فدعوا المنى وضلالها
كشفت الكتابُ عن العيونِ غطاءها ... وشفى الصدورَ، ونوره أشفى لها
شهدتْ، من الأنفالِ، آخرُ آيةٍ ... بترائهم، فأردتم إبطاها
هل تطمسون من النجومِ لجومها ... بأكفكم، أم تسترون هلالها
أو تسترون مقالةً عن ربكم ... جبريلُ بلغها النبيُّ فقاها
له في مثل ذلك:

يا ابن الذي ورثَ النبيَّ محمداً ... دون الأقاربِ من ذوي الأرحامِ
الوحيُّ بين بني البناتِ وبينكم ... قطعَ الخصامَ، فليس حين خصامِ
أنى يكونُ، وليس ذاك بكائنٍ ... لبني البناتِ وراثةُ الأعمامِ
أخذ هذا المعنى من قول طاهر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، حيث يقول للطلالين:

لو كان جدكم هناك وجدنا ... فتسارعا فيه لوقتِ خصامِ
كان التراثُ لجدنا من دونه ... فحواهُ بالقربي بالإسلامِ
حقُّ البناتِ فريضةٌ معلومةٌ ... والعمُّ أولى من بني الأعمامِ
وله حين سئل عن جرير والفرزدق والأخطل:

ذهبَ الفرزدقُ بالفخارِ، وإنما ... مرُّ القصيدِ وحلوهُ لجريرِ
ولقد هجا فأمضَ أخطلٌ تغلب ... وحوى النهى بمدحِهِ المشهورِ
كلُّ الثلاثةِ قد أبرَّ، فمدحه ... وهجاؤهُ قد سارَ كلَّ مسيرِ
ولقد جريتُ ففتُّ غيرَ مقصرٍ ... بجراء لا حصرٍ، ولا مبهورِ
إني لأنفُ أن أجيزَ بمدحه ... أبداً لغيرِ خليفةٍ ووزيرِ

ما ضربني حسدُ اللئامِ، ولم يزل ... ذو الفضلِ يحسدهُ ذوو التقصيرِ

وكان مروان شاعراً للهادي وللمهدي وللرشيد، وكان وصوله إلى المهدي من أطرف ما يحكى. وذاك أنه
قصد باب المهدي، وتمسك بوزيره يعقوب بن داود، وأقام سنة لم يوصله. واتفق أن المهدي قبض على
يعقوب، وبقي مروان حائراً. فهو في بعض الأيام على باب المهدي إذ خرج إليه يزيد بن منصور الحميري،
وقال: يا ابن ابي حفصة إن أمير المؤمنين ذكرك آنفاً وقال أنصرف عن بابي، ولا حاجة لي في شعرك. قال:
فانصرفت وأنا مغموم. ثم تذكرت رجلاً كنت أشكو إليه همومي، واستريح إليه، فجننته، فدلني على يزيد بن
مزيد، فشكوت إليه الحال، فقال: أدلك على رجل صدوق الحديث، له رقة، عساه ينفعلك، فقلت: ومن
هو؟ قال: الحسن الحاجب. فعدوت إليه، فشكوت حالي، فقال: اعمل قصيدة، وعرض بذكر يعقوب،
واهجه فيها. فقلت قصيدتي التي أقول فيها:

أتاني عن المهديِّ قولٌ كأنما ... به أحتزُّ أنفي، من ذوي الضغنِ، جادعُ
فقلتُ، وقد خفتُ التي لا شوى لها ... بلا حدثٍ: إني إلى الله راجعُ
فما لي إلى المهديِّ، إن كنتُ مذنباً ... سوى حلمه الضافي على الناسِ، شافعُ
هل البابُ مفضٍ بي إليك ابنَ هاشمٍ ... فعذري، إن أفضى بي البابُ، أوسعُ
أثبتَ أمراً طلقته من وثاقه ... وقد أنشبتُ في أخدعيهِ الجوامعُ
وقال في قصيدةٍ أخرى:

سيحشرُ يعقوبُ بن داودَ خائناً ... بلوحِ كتابٍ، بين عينيه كافرُ
خيانته المهديِّ أودتْ بذكره ... فأمسى كمن قد غيبته المقابرُ
بدا منك للمهديِّ، كالصبحٍ ساطعاً ... من الغشِّ، ما كانت تجنُّ الضمائرُ
وهل لبياضِ الصبحِ، إن لاحَ ضوءه ... فجابَ الدجى، من ظلمة الليلِ ساترُ
أمنزلةً فوقَ التي كنتَ نلتها ... تغاطيت، لا أفلتَ مما تحاذرُ
وما زلتَ ترقى فوقَ قدرِكَ صاعداً ... بأفكك، حتى قيلَ: يعقوبُ ساحرُ

قال: ثم أتيتُ بمهما الحسن بعد يومين، ودفعتهما إليه فقال: لست واضعهما حتى أضعهما في يد المهدي. ففعل
ذلك، وقرأهما على المهدي. فمضيتُ إليه وسألته عن الحال، فقال: لما قرأهما المهدي رق لك، وأمرني
ياحضارك إليه، فاحضر يوم الاثنين. فحضرت الباب، فخرج وقال: قد علم أمير المؤمنين مكانك، ولقد
أحب أن يجعل لك يوماً يشرفك فيه، ويشهرك، ويبلغ بك شأواً. فقلت: ومتى يكون؟ قال: يوم الخميس
تحضر. فحضرت، فإذا وجوه بي هاشم يدخلون. فلما غص المجلس دعاني، فدخلت، فسلمت بالخلافة، فرد
علي السلام، وقال: إنما حبسناك من الدخول لا تقطاعك إلى الفاسق يعقوب. فخدمت وافتتحت النشيد مما
قلت في يعقوب. ثم أنشدته قولي:

طرقتك زائرةٌ فحيَّ خيالها

فأعجب به وقال: جزاك الله خيراً، فقلت: اشهدوا أن أمير المؤمنين دعا لي. ثم أنشدته:

أعادك من ذكر الأعبة عائدُ

فلما صرت إلى قولي:

أيادي بني العباسِ ييضُ سوايغٍ ... على كلِّ قومٍ بادياتٌ عوائدُ

همُ يعدلونَ السمكَ من قبة الهدى ... كما يعدلُّ البيتَ الحرامَ القواعدُ

كأنَّ أميرَ المؤمنينَ محمداً ... برأفتهِ بالناسِ، للناسِ والدُّ

أشار بيده: امسك. فمسكت. ثم قال: يا بني العباس، هذا شاعركم المقطع إليكم، فأعطوه ما يسره.

فقلت: فداك أبي وأمي إذا علموا رأي أمير المؤمنين في فذاك الفرض. فقال: إني فارض لك عليهم مالا.

ففرض على ابنه موسى بخمسة آلاف درهم، وعلى ابنه هارون مثلها، ثم فرض على القوم على أقدارهم،

حتى فرض سبعة وثلاثين ألف درهم، والربيع يكتب، فاستكثر الربيع ذلك، فقال: ولك من الربيع مثل

ذلك، فصار المال ستين ألفاً. فدعوت وشكرت وقيمت بأسر ما يكون، فقلت: هل لأمير المؤمنين أن يجعل هذه الصلة غير مكدره سؤال غيره؟ قال: نعم، وكتب بما توقيعاً لا أحتاج فيه إلى سؤال أحد أو شفاعة. فخرجت، فلما صرت خلف الستر تبعتني خادم ومعه مندبل فيه أربعة أثواب من أفخر الثياب، وجبة وقميص من ملابسه الشريفة، وقال: أليسوه وأعيدوه إلي. فليست الثياب وعدت إليه. فلما رأني تبسم، ودعا بطيلسان، فشر ووضع علي بين يديه، وأمر لي بعشرة من الخدم، وضيعة ساجية السواد، وخيل فبعت الضيعة لعيسى بن موسى بعشرين ألف درهم وفرس مكمل العدة. ولم يزل مروان بباب المهدي حتى هلك، فقال يرثيه: لقد أصبحت تحتال في كل بلدة... بقبر أمير المؤمنين المقابر أتته التي ابتزت سليمان ملكه... وألوت بذي القرنين منها البوادر أتته فغالبته المنايا، وعدله... ومعروفه في الشرق والغرب ظاهر فلما قام موسى الهادي ولده مدحه، وقال من جملة مدحه: بسبعين ألفاً شدّ ظهري وراشني... أبوك، وقد عانيت من ذاك مشهدا وإني، أمير المؤمنين، لوائق... بأن لا أرى شرابي لديك مصردا فلما أنشده ذلك قال: ومن يبلغ مدى المهدي؟ ولكننا نبغ رضاك. فعاجلت موسى منيته قبل أن يعطي مروان جائزته. فلما مات رثاه، وهناً هارون فقال: أيا يوم الخميس ملأت حزناً... وتبريحاً قلوب المؤمنين خميس كان أوله بكاء... وآخرة يسر المهتدينا لئن جاء الخميس بما كرهنا... لقد جاء الخميس بما هويتنا أبو إسحاق مات ضحى، فمتنا... وأمسننا بهارون حيننا وهذا معنى مستملح.

فلما قام هارون مدحه فأجزل صلته، ومضى إلى اليمامة وعاد، فأقام بباب الرشيد حتى مات سنة إحدى وثمانين، ودفن ببغداد في مقبرة نصر بن مالك. ومن صلوات الرشيد له مائة ألف وألف درهم.

ذكر مروان الأصغر

شهر مروان هذا في زامن المتوكل، وتقدم على نظرائه. وسبب ذلك أنه كان يسفه رأي العلويين، الذين يخرجون على بني العباس. ولم يمدح الواثق، وإنما المتوكل أرسل أحضره من اليمامة. ولما دخل على المتوكل أنشده قصيدته التي منها:

أنا ابن الذي اشجى عداكم بمدحه... وما زاركم من شاعر، بعده، مثلي طلبتم، بني البنت، التراث بأمكم... وذاك لكم داع إلى البتل والشكل أبو طالب أولى بكم من محمد... إذا نسب الأقوام، في الجدل والهزل

فلما فرغ من انشادها أمر المتوكل، فشر عليه ثلاثمائة ألف دينار، وأمره بالجلوس، وأمر ولاية اليهود الثلاثة:

المنتصر والمعتز والمؤيد أن يلتقطوها فيجعلوها في حجره. وعقد له على اليمامة والبحرين وطريق مكة.
وحسدته الشعراء على مكانه من المتوكل، وهجاه خلق عظيم واستبردوا شعره. فمن ذلك قول الشافعي:

كزَّ أبو السمط بأشعاره ... فصار، من إنشاده، ميتا
فمن أراد الموتَ مستصلحاً ... فليرو، من أشعاره، بيتا
وللجماز فيه:

رأينا البردَ مشتداً ... فسائلتُ عن القصَّة

فقالوا: إنما أنش ... دَ شعراً ابنِ أبي حفصه

وهجاه البحري وعلي بن الجهم، بسبب أنه كان يعرض بذكر علي وولديه عليهم السلام فمما هجاه به
البحري:

ولو أعطاك ربك ما تمنى ... عليه، لزدَّ في عظم الأمورِ

لأيةِ علةٍ تمجو علياً ... بما لفتت من كذبٍ وزورِ

أمالك في استك الوجعاء شغل ... بكفك عن أذى أهل القبورِ

وأما علي بن الجهم، فكان يهجوهُ أبو السمط، وابن الجهم يصون نفسه عن هجائه، غير أنه كان يضع من
يهجوه. ولما مدح ابن الجهم المتوكل بقصيدته التي أولها:

الله أكبر، والنبيُّ محمدٌ ... والحقُّ أبلجٌ، والخليفةُ جعفرُ

قال أبو السمط:

أرادَ عليٌّ أن يحوكَ قصيدةً ... بمدح أمير المؤمنين، فأذنا

فقلتُ له: أذنتُ سرّاً، فلا تقم ... فليستُ على طهرٍ، فقال: ولا أنا

فلما لح في الهجاء لعلي قال فيه:

بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ ... عداوةٌ غيرِ ذي حسبٍ ودينِ

يبيحك منه عرضاً لم يصنه ... ويرتع منك في عرضِ مصونِ

وكان لأبي السمط ولد يقال له محمود وقد ذكرناه في النسبة، أعطاه المتوكل موضع أبيه، فقال في ذلك:

قد بارك الله في شعري وشعر أبي ... والله منَّ على أهل اليمامة بي

قد بارك الله في شعر، وليتُ به ... طرق الحجاج، وولاني على العربِ

أنا المؤدبُ حقاً، إنما أدبي ... ضربُ الرقاب، وليس السوطُ من أدبي

كم من فوارس قومٍ قد تركتهم ... بالمشرفية فرساناً على الخشبِ

تلقى اللصوص على الأقتابِ مقعياً ... ومن فلحتُ به ألقى على الذنبِ

ذكر متوج بن محمود بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان

قال يمدح الموفق، ويصف قتل العلوي، وكيف صار الجند إليه في المراكب:
ولما أقاموا البحرَ خندقَ خصمهم ... وظنوا بأنَّ البحرَ مركبهُ صعبُ
أقمتَ الشدا خيلاً، وسرتَ إليهمُ ... عليها، كأنَّ البحرَ مسلكهُ سهبُ
خيولُ يحلُّ الماءَ مدةَ عمرها ... وليسَ لها أكلٌ، وليسَ لها شربُ
إذا أسرجوها يركبونَ بطونها ... فما إنَّ لها لجمٌ، وما إنَّ لها ركبُ
تسيرُ مكاناً تعجزُ الخيلُ سيره ... وما عندها خطوٌ، وما عندها وثبُ
إذا عطفوها في ليلٍ تعطفتُ ... وإنَّ عطفتُ بالضربِ، لم يشنها الضربُ
فتجري، وبينَ الجوِّ والأرضِ جريها ... وإنَّ باشرتُ أرضاً فحيثنذِ تكبو
قطعتَ عليها البحرَ، والبحرُ زاخرٌ ... وقد سفرتُ للموتِ، عن وجهها، النقبُ
بفتيانِ إقدامٍ وفنكٍ، كأنما ... لكل فتى في كل جارحةٍ قلبُ
وهذا بيت نادر، وهو مأخوذ من قول من قال:
فمروا وكلُّ مسمتٌ كأنه ... إلى أن يلاقي حتفَ ميته صبُّ
ثم قال:

فدارتْ كؤوسُ الموتِ فيهم كأنما ... كؤوسُ مناياهم لهم مشربٌ عذبُ
فما رجعوا إلا برأسِ عميدهم ... قد اقتضبتُهُ منه هنديةً قضبُ
فإنَّ كانَ قلبٌ للقناةِ فقد غدتُ ... قناتك فيها رأسه، أبداً، قلبُ
وإنَّ كانَ للأفلاكِ قطبٌ يقيمها ... فللأرضِ أنتم، في خلافكم، قطبُ

ذكر من قال الشعر من ولد ابن ابي حفصة

منهم إدريس. له يرثي إسحق بن إبراهيم الموصلي:
سقى الله يا ابنَ الموصلي بوابلٍ ... من الغيثِ قبرا أنت فيه مقيمُ
ذهبتَ فأوحشتَ الكرامَ، فما يني ... بعبرته يبكي عليك كريمُ
إلى الله أشكو فقد إسحقُ إنني ... وإن كنت شيخاً، بالعراق يتيمُ
وله أيضاً:

قد تولى النهارُ، واشتبكَ اللي ... لُ، خليلي، فاشربا واسقياني
قهوةً تتركُ الفقيرَ غنياً ... حسنَ الظنِّ، واثقاً بالزمانِ

ومنهم محمد بن إدريس " ، وكان له شعر فيه تعسف. ومنه:

لما زحنا، دونَ فهرٍ، زحنا

زحَّ بنا الله الأعادي زحنا

فلم ندع من جمع قومٍ قلنا

إلا ملخنا الرأسَ منه ملخنا

رست أواخي مجدنا ولخا
في الأرض حتى لم نجد مصخا
بنى لنا عادية لا تلخا
عزاً قدامياً، ومجداً بلخا
لو زاحما دمخاً أزالا دمخا
إن لنا وبلاً وسيلاً جلخا
وعدداً جم الحصى وبذخا
نشدخ منهم، من أردنا، شدخا
ولو نفخنا الناس طاروا نفخا

ومنهم آمنة بنت الوليد بن يحيى بن أبي حفصة. كانت زوجة مروان بن سليمان، وهي أم أبي الجنوب
والسمط، فبلغها أن معن بن زائدة وهب لمروان زوجها جارية، فتسراها، وقد كان حلف لها مروان أنه لا
يتخذ صاحبة حتى يرجع إليها، فكتبت إليه:

أبا السمط إن كانت أحاديثك التي ... أتتنا يقيناً، فاثبت، الدهر، في اليمن
حلفت بأيمان غلاظ، فختنا ... ولو كنت تحشى الله، بالغيب، لم تخن
وكان سبب هذه الجارية أنه لما قدم على معن بن زائدة اليمن، وأحسن قرأه، وأكرم مثواه، واجزل صلته،
طلب المقام عنده. فلما طال عليه المقام كتب إليه:

من مبلغ معناً، حليف المجد ... أني من الليل أيت وحدي
أبيت كالسيف الحسام الفرد ... لا خود، إلا ما حلمت، عندي
كل يوارى سيفه في غمد ... أحلف بالله يمين الجهد
ما مس جلدًا، مذ قلمت، جلدي ... إلا منى، في مرقدى، لا تجدي
ويروى عن أبي السمط أنه قال: دخلت على الأمير عبد الله بن طاهر، فقال لي: إني بت البارحة قلقاً أرقاً
بتذكرى ذا اليمينين، فارتته لي في مقامك هذا بأبيات تجعل لي لذكرك طريقاً سهلاً. فوقف ساعة، ثم قلت:

إن المكارم إذ تولى طاهر ... قطع الزمان يمينها وشمالها
إن المنايا لو يبارز طاهراً ... لاقت، بوقع سيوفه، آجالها
أرسي عماد خلافة من هاشم ... ورمي عماد خلافة، فأزالها
بكت الأسنه طاهراً، لما رأته ... روى النجيع بسيفه أنماها
ليت المنون تجانفت من طاهر ... ولوت بذورة من تشاجى لها
ما كنت، لو سلمت يميناً طاهر ... أرزاً، ولا أسل الحواث ما لها
فأمر لي بخمسة آلاف درهم، وقال: ربنا عليك وخسرت علينا. وشم اعطاه في اليوم الثاني مثلها، ثم في اليوم
الثالث.

وله أيضاً:

يقول أناس: إن مرواً بعيدة ... وما بعدت مرواً، وفيها ابن طاهر
وأبعد من مرو أناس نراهم ... بحضرتنا، معروفيهم غير حاضر
عن العرف موتي، ما تبالي أزرهم ... على أمل، أم زرت أهل المقابر
والبيت الأول كما قال أبو نواس:
واستبعدت مصر، وما بعدت ... أرض يحل بها أبو نصر
ولقد وصلت بك الرجاء، ولي ... مندوحة، لو شئت، عن مصر

ومن الشعراء المحدثين الذين هم بيت

رزين بن سليمان بن تميم بن هشود بن خراش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمية بن مازن بن
الحارث. منهم علي بن رزين، ودعبل بن علي، ورزبن بن علي، وأبو الشيبص محمد بن عبد الله بن رزبن،
وعبد الله بن أبي الشيبص، والحسن بن دعبل.
فأما علي بن رزبن فهو مقل من الشعر. ومن شعره:
قد قلت، لما رأيت الموت يطلبي ... يا ليتني درهم في كيس مياح
وأما رزبن بن علي فمقل أيضاً. أنشد له أخوه دعبل:
أغرى بني جعفر بي أن أمهم ... كانت تلم برحلي حين تغتم
قوم إذا فرعوا، أو نالهم حدث ... كانت خصومهم الأعراض والحرم

ذكر دعبل بن علي بن رزبن

دعبل أكثر القوم شعراً، هو وأبو الشيبص بحران. واسم دعبل محمد ودعبل لقب، يقال: هو الناقة الهرمة.
وقل أحمد بن يحيى: إنه مشتق من الدعابة، أو الناقة السمينة. وكان دعبل، مع جودة شعره وفخامة لفظه،
رجلاً ذا همة ونبل في نفسه، ويهجو من الخلفاء فما دون، وكان شعره أكثر من شعر نظرائه. وقيل: كان
عند ولده الحسين من شعره ستة مجلدات ضخمة، في كل مجلد ثلاثمائة ورقة، وشعره قليل السقط. وسئل
عبد الله بن مسلم عن جيد شعره، فقال: القصيدة القديمة قوله:

أفيقي من ملامك يا ظعينا

وهي القصيدة التي يرد فيها على الكميث، في قصيدته التي يقول فيها:

ألا حييت عنا يا مدينا

وكان دعبل عالماً بصيراً بالغريب والأخبار وأيام العرب، وشعره يدل على ذلك. وكان معاصراً لأبي نواس
ومسلم. وقال دعبل: اجتمعت أنا وأبو الشيبص ومسلم وأبو نواس في مجلس، فقال لنا أبو نواس: إن مجلسنا

هذا قد شهره باجتماعنا فيه، ولا بد للناس أن يسألوا على ما انعقد وعلى ما انحل، فليأت كل امرئ بأحسن ما قاله. فأنشد أبو الشيص:

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي ... متأخرٌ عنه، ولا متقدمٌ
وأهنتني، فأهنتُ نفسي جاهداً ... ما من يهونُ عليكِ من أكرمُ
أجدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً ... حباً لذكركِ، فليلمني اللومُ
فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر. فأنشد مسلم من شعره:
موفٍ على مهجٍ في يومٍ ذي رهجٍ ... كأنه أجلُّ يسعى إلى أملٍ
تكسو السيوفُ نفوسَ الناكثينَ به ... وتجعلُ الروسَ تيجانَ القنا الذليلِ
فقال أبو نواس: هذا الشعر الذي لم يقل قبلك مثله ولا يقول بعدك. ثم قال له: كأني بك وقد جئتنا بواسطة عقلك. وأنشد دعبل:

لا تعجبي يا سلمٍ من رجلٍ ... ضحك المشيبُ برأسه فبكي
أين الشبابُ؟ وأية سلكا؟ ... لا أين يطلبُ ضلٌّ، بل هللكا
قصر الغواية عن هوى قمرٍ ... وجد السبيلَ إليه مشتركا
فقال: كأنك كت في نفسي. فسألناه أن ينشد، فأنشد:
لا تبك ليلى، ولا تطربِ إلى هندٍ ... وأشربُ على الوردِ من حمراءِ كالوردِ
كأساً إذا انحدرت من حلقِ شاربها ... أخذتهُ حمرةُها في العينِ والحدِّ
فالخمرُ ياقوتةٌ، والكأسُ لؤلؤةٌ ... من كفٍّ لؤلؤةٍ، مشوقة القدِّ
تسقيك من عينها سحراً، ومن يدها ... سكرًا، فما لك من سكرين من بدِّ
لي نشوتانٍ، وللدمانِ واحدةٌ ... شيءٌ خصصتُ به، من دوهمٍ وحدي
فقمنا، فسجدنا له، فقال: افعلتموها؟ والله لا كلمتكم ثلاثاً، وثلاثاً، وثلاثاً.
ومع ما ذكرنا من غرارة شعر دعبل، فيحسن أن نذكر له الأبيات التي تحتوي على الأمثال، أو تصلح للمذاكرة. فمن شعره إلى المأمون:

أيسومني المأمونُ خطة عاجرٍ ... أو ما رأى، بالأمسِ رأسَ محمدٍ؟
نوفي على هام الخلائفِ مثلما ... توفي الجبالُ على رؤوسِ القردِ
ونحلُّ في أكنافِ كلِّ ممنعٍ ... حتى ندللَّ شاهقاً لم يصعدِ
إني من القوم الذين همُّهم ... قتلوا أخاك، وشرفوك بمقعدِ
شادوا بذكركِ بعد طولِ حموله ... واستنقذوك من الحضيضِ الأوهدي
كم من كريمٍ قبله، وخليفةٍ ... أضحى لنا دمه لذيذ المقصدِ
مثل ابن عثمان، ومثل وليدهم ... أو مثل مروانٍ، ومثل محمدِ
وإنما فخر برأس محمد لأن طاهر بن الحسين قتله، وطاهر مولى خزاعة، وكان جده زريق مولى عبد الله بن

خلف الخزاعي، وهو أبو طلحة الطلحات، وعثمان سارت إليه اليمانية من مصر، والوليد قتله يزيد بن خالد القسري، ومروان قتله عامر بن إسماعيل.

وقال قثم بن جعفر بن سليمان: بينا أنا في مجلس المأمون، إذ جرى ذكر دعبل، فقال إبراهيم بن المهدي: يا أمير المؤمنين اقطع لسانه واضرب عنقه، قال: ولم؟ قال: لأنه هجاك، قال: وإن هجاني فما أباح الله دمه بهجائي. فقال بعض من حضر: يا أمير المؤمنين، إنه قد هجا إبراهيم، قال: بماذا؟ فأنشده:

أني يكون، ولا يكون، ولم يكن... يرث الخلافة فاسقٌ عن فاسقٍ
إن كان إبراهيمُ مضطلعاً بها... فلنصلحن، من بعده، لمخارقٍ

فقال المأمون: حسبك. ثم قال: يا ثابت، هل تحفظ ما هجاني به، فقلت: لا والله، فقال: لا بد أن تجيئي بما هجاني به، وإلا رأيت مني ما تكره، وأنا مقيم على ذلك. قال: فانصرفت ولم تكن لي همة إلا تحصيل شيء من ذلك، فحصلت لي القطعة الدالية، فكتبته في رقعة، وجمت بها، فنظرها وهي بين إصبعي، فقال لي: هذه الورقة حاجة ذاك الرجل؟ فقلت: نعم، فاخذها وقرأها وكررها، ثم لما وصل إلى قوله:

شادوا بذكرك بعد طول حموله... واستتقدوك من الحضيض الأوهدي

قال: يا قوم، رأيتم أظلم من دعبل؟ ومتى رأي هذا الحضيض، وأنا رضيع الخلافة، وما زلت منذ نشأت خليفة، إلا أن القدر صدفها تلك المدة، وكت مالك البلاد. ثم القى القرطاس، وقال: شأنك، فقد علمنا ما فيه.

وحدث محمد بن موسى الحمال، قال: رأيت دعبلاً عند خشبة بابك، وهو واقف، فقلت: ما تصنع يا أبا علي، فأنشد:

الحمد لله لا صبرٌ ولا جلدٌ... ولا رقادٌ، إذا أهل الهوى، رقدوا
خليفة مات لم يجز له أحدٌ... وآخر قام لم يفرح به أحدٌ
قد مر هذا، فمر الشؤم يتبعه... وقام هذا، فقام الشؤم والنكد

عني بما قاله: أن المعتصم مات، وقام الواثق. فقلت: يا هذا أمسك عليك لسانك، فكأنني أراك سوف تجني على نفسك جنابة، فقال: دعني، فأني أتصدق من ربي خشية أصلب عليها من عشرين سنة، فما جاد لي بما.

ولما قتل الواثق أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي وصلبه، قال دعبل:

بني مالك صونوا الجفون عن الكرى... ولا ترقدوا بعد ابن نصر بن مالك

فقد حملته للقبور مطية... أنافت بهاديه على شخص بابك

وسلوا من الأجفان كل مهندي... بصير بضرب للطلبي متدارك

يقوم به للهاشميات مأم... له ضجة يبكي بها كل ضاحك

تذكرهم قتلى بيلر تنوشهم... سباع وطير من سباع بوارك

كما فتكت أسياهم بمحمد... وهدت مباني عرشه المتماسك

فطل دم المخلوع، وانتهكت له... ذخائر من مقوشة، وسبائك

فأن غصَّ هارونٌ بجرعةِ عمه ... فأيسرُ مفقودٍ، وأهونُ هالكٍ
وله أيضاً:

نعويني، ولما يعني غيرُ حاسدٍ ... وغيرُ عدوٍّ قد أصيبتُ مقاتلةً
يقولون: إن لاقى الردى ماتَ شعره ... وهيهاتَ عمرُ الشعرِ طوائله
وهبْ شعره، إن مات، ماتَ فأينَ ما ... تحملهُ الراون والخطُّ حابله؟
سأقضي بيتَ يحمِدُ الناسُ صدقهُ ... ويكثرُ من أهلِ الروايةِ ناقله
يموتُ رديءُ الشعرِ من قبلِ موتهِ ... وجيدهُ يبقى، وإن ماتَ قاتله
ومن معاني دعبل، وإن كانت موجودة، قوله:
وإذا حلمتَ فأعطِ حلمكُ كنههُ ... مستأنياً، وإذا كويتَ فأنضح
وإذا التمسْتَ دخولَ أمرٍ فالتمسْ ... من قبلِ مدخله سبيلَ المخرج
ومنه قوله:

فلا تحسدِ الكلبَ أكلَ العظامِ ... فعندَ الخراقةِ ما ترجمهُ
تراهُ وشيكاً تشكى آسته ... كلوماً جناها عليه فمه
إذا ما أهانَ امرؤُ نفسه ... فلا أكرمَ اللهُ من يكرمه
وأولُ هذا المعنى لحاتم في قوله:
ونفسك أكرمها، فإنك إن تهنَّ ... عليك، فلنْ تلقى لها، الدهر، مكرما
وقال زهير:

ومن لا يكرمُ نفسه لا يكرمُ
ومثل ذلك:

وكان غنيَّ النفسِ أيامَ فقره ... فصارَ فقيراً في الغنى، خيفةَ الفقرِ
بخلتَ بما آتاك ربك خيفةً ... من العسرِ، ويك الآن صرتَ إلى العسرِ
ولابن عباد المهلبي:

تجوذُ بالمالِ على وارثٍ ... ولا ترى أهلاً له نفسكا
قدمَ حسنَ الظنِّ بالله من ... جاد، وأخطأ الظنُّ من أمسكا
وله أيضاً:

فأقسمتُ: لا عن جفوةٍ، لا ولا قلى ... ولا مللٍ أبطأتُ عنك أبا بكرٍ
ولكنني لما رأيتك زائراً ... فأفرطتَ في بري، عجزتُ عن الشكرِ
فملاَن لا آتيك إلا مسلماً ... أسلم في الشهرين يوماً، وفي الشهرِ
فإن زدني براً تزيدتُ جفوةً ... فلا نلتقي، طولَ الحياة، إلى الحشرِ
المعنى مأخوذ من أبي نواس:

قد قلتُ للعباسِ معتذراً ... من ضعفِ شكره، ومعتزفاً

أنت امرؤٌ جليلني نعماً ... أوهتُ قوى شكري، فقد ضعفا
لا تسدين إليّ عارفةً ... حتى أقومَ بشكرٍ ما سلفا
وقال البحترى:

أحجلتني بندي يديك، فسودتُ ... ما بيننا تلكَ اليدُ البيضاءُ
صلةٌ غدتُ في الناسِ وهي قطعةٌ ... عجباً، وبرُّ راحٍ وهو جفاءُ
وقيل في صفةِ جولانِ القوافي:

ألستُ إذا ما قلتُ بيتاً تناوحتُ ... به الریحُ في شريقيها والمغاربِ
يقصرُ للسارينَ من ليلةِ السرى ... ويغدى عليه بالقيانِ الصواربِ
ولدعبل في المعنى:

من كلِّ عابرةٍ إذا وجهتها ... طلعتُ بها الركبانُ كلَّ نجدِ
طوراً يمثلها الملوکُ، وتارةً ... بين التديِّ تراضُ والأكبادِ
ولمروان بن أبي حفصة:

إني أقولُ قصائداً جوالَةً ... أبداً تجولُ خوالعاً أرساها
من كلِّ قافيةٍ إذا أجريتها ... جمحتُ، فلم تملكُ يدايَ عناها
ولبشار:

ومثلکَ قد سيرتهُ بقصيدةٍ ... فسارَ، ولم يبرحْ عراضَ المنازلِ
رميتُ بها شرقاً وغرباً فأصحتُ ... به الأرضُ ملامی من مقيمٍ وراحلِ
وما أحسن قول ابن حازم:

أبي لي أن أطيلَ الشعرَ قصدي ... إلى المعنى، وعلمي بالصوابِ
فأبعثنَّ أربعةً وستاً ... مثقفةً بألفاظِ عذابِ
وهنَّ إذا وسمتُ بمنَّ قوماً ... كأطواقِ الحمامِ في الرقابِ
وهنَّ إذا أقمنَ مسافراتٍ ... تمادها الرواةُ مع الركابِ
وقول البحترى:

وأنا الذي أوضحتُ غيرَ مدافعٍ ... نهجَ القوافي، وهي رسمٌ دارسُ
وشهرتُ في شرقِ البلادِ وغربها ... فكأنني في كلِّ نادٍ جالسُ
ولبعضهم:

فلا تبعديني من نداءك فإنَّ لي ... لساناً ملا الدنيا، وأنتَ ابنُ خالدِ
وكان دعبل صاحباً للفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث بن عقبة، مكلم الذئب الخزاعي،
وغزا كابل وافتتحها، ودعبل يدل عليه لأنه أدبه، فعاتبه في جملة قصيدة، قال:
ألا أيها القطاعُ هل أنتَ عارفٌ ... لنا حرمةً، أم قد نكرتَ التحرماً

فهلا بطوس، والبلاذ حميدة... تعول الليالي والمطي المرهما
وأسلمتني من بعد ما صوح الكلا... وغاضت بقايا الحسي، والمزن أنجما
ستعلم إن راجعت نفسك أوسخت... عن الضف يوماً: أينا كان ألوما
قال دعبل الخزاعي: حججت أنا وأخي رزين، وأخذنا كتباً إلى المطلب، صاحب مصر، فصرنا من مكة إلى
مصر، فصحبنا رجل يعرف بأحمد بن السراج، ما زال يحدثنا ويؤنسنا ويتولى خدمتنا، وكان شاعراً، وكنمنا
نفسه.

فعرضنا عليه أن يقول في المطلب قصيدة ننحله إياها، فقال: إن شئتم. فعملنا له قصيدة، فلما دخلنا إلى
المطلب وأوصلنا إليه الكتب التي كانت معنا، وأنشدنا ووصفنا له أحمد بن السراج، فأذن له، ونحن نظن أن
سينشده القصيدة التي لنحناه إياها. فلما مثل بين يديه عدل عنها وأنشده:

لم آتِ مطلباً إلا لمطلب... وهمة بلغت بي غاية الرتب
أفردته برجائي أن تشاركه... في الوسائل، أو ألقاه بالكتب
رحلت عسي إلى البيت الحرام على... ما كان من نصب فيها، ومن صب
ألقي بها وبوجهي كل هاجرة... تكادُ تقدح بين الجلد والعصب
حتى إذا ما قضت حاجاً ثبيت لها... عطف الزمام فأمّت سيد العرب
فيممّتك وقد ذابت مفاصلها... من طول ما تعب لاقى ومن نصب
إني استجرت بأستارين مستلماً... ركنين: مطلباً والبيت ذا الحجب
فذاك للأجل المرجو آمله... وأنت للعاجل المرجو والطلب
هذا ثنائي، وهذي مصر سائحة... وأنت أنت، وقد ناديت من كتب
قال: فصاح المطلب: ليك، ليك ثم قام وأخذ بيده وأجلسه معه، واستدعى بالبدر فأحضرت، ثم الخلع
فنشرت، فأمن له بذلك ما ملأ عينه، وحسدناه على ذلك.
ولدعبل:

فأنت إذا ما التقوا آخر... وأنت إذا انهزموا أول
وعاديت قوماً فما ضرهم... وقدمت قوماً فلم ينبلوا
إذا الحرب كنت أميراً لها... فحظهم منك أن يقتلوا
شعارك في الحرب يوم الوغى... إذا انهزموا: عجلوا، عجلوا

ذكر أبي الشيص

أبو الشيص كان شاعراً مجيداً في كثرة البكاء على سالف أيامه، ومدح الرشيد وولد محمد بن الأشعث
الخراعي. وهو ودعبل من الكوفة. وفي أول ما اشتهر بالشعر قال قصيدته التي مدح بها عقبة بن جعفر بن
محمد:

ألقي الزمانُ به ندوبَ عضاضٍ

وعرض هذه القصيدة على بشار، فقال له بشار: قد بقيت قافية إن علمتها فأنت شاعر، قال: وما هي؟
قال: المقرض، فأنشده:

وجناح مقصوص تحيف ريشه ... ريبُ الزمانِ، تحيفَ المقرضِ
فقال له: أنت أشعر أهل عصرك. وهذه القصيدة تفضل على كل قصيدة نظمت في وزنها، وفيها معان نادرة
منها:

لا تنكري صدي ولا إعراضي ... ليسَ المقلُّ على الزمانِ براضِ
وعصائبٍ صرفت إليك وجوهها ... نكباتُ دهرٍ للفتى، عضاضِ
شدوا بأعوادِ الرحالِ مطيهمُ ... من كلِّ أهوجٍ للحصى رضاضِ
أكل الوجيفُ حومها ولحومهم ... فأنتك أنقاضاً على أنقاضِ
ومثله قول ابن الأحنف:

أنضاء شوقٍ على أنضاء أسفارِ
ومثله:

رأت نضو أسفارٍ أميمةً شاحباً ... على نضو أسفارِ، فجنَّ جيونها
ومن القصيدة الضادية:

إنَّ الأمان من الزمانِ وريبه ... يا عقبَ شطا بحركِ الفياضِ
ومن معانيه المستحسنة:

أتى الموتُ عدلَ الموتِ في سطواته ... فيا من رأى موتاً على الموتِ أقدماً
أخذته ابن جملة فقال يرثي حميداً:
حمامٌ رماه من خصاصة أمنه ... حمامٌ، كذاك الخطبُ بالخطبِ يقرعُ
وأخذه البحترى فقال:

حتوفٌ أصابتها الحتوفُ، وأسهمٌ ... من الموتِ، كَرَّ الموتُ فيها بأسهمِ
ومنه قوله يرثي الرشيد، ويمدح الأمين حين قام:

جرت جوارٍ بالنحسِ والسعدِ ... فالناسُ في وحشةٍ وفي أنسِ
والعين تبكي والسنُّ ضاحكةٌ ... فنحن في ماتمٍ، وفي عرسِ
يضحكننا القائمُ الأمين، وتبكي ... نا وفاةً المهديِّ بالأمسِ
بدران: بلرُّ أضحى ببغداد في ... الخلدِ، وبدرُّ بطوسٍ في الرمسِ
ومن مختار شعره:

أشاقك والليلُ ملقي الجرانِ

وهي إحدى النونيات، ويصف فيها ساقياً ويقول:

يطوفُ علينا بما أغيدٌ ... يده من الكأسِ مخضوبتانِ

غزالٌ تميلُ بأردانهِ ... قناةٌ تعطف كالخيزرانِ

ومنها في المدح:

إلى ملكٍ من بي هاشمٍ ... كريمِ الضرائب، سبطِ اليدانِ

فتى البأسِ للجودِ في كفه ... من البحرِ عينانِ نضاحتانِ

ومن مختار شعره:

لله أنتَ، أبا بشرٍ، إذا برزتُ ... سوقُ النساءِ، ولاح القلبُ والقرطُ

وأبرزَ الخدرَ من ثنبيهِ بيضتهُ ... واعجلَ الروعَ نصلُ السيفِ يخترطُ

فتمَّ تفديكُ منا كلُّ غانيةٍ ... والكهْلُ تفديكِ، والمولودُ، والشمطُ

وأنتَ أصلهمِ عوداً، إذا عجموا ... وأنتَ أرحمهمُ باعاً إذا اختبطوا

ومن شعره:

كريمٌ يعضُّ الطرفَ فضلُ حياتهِ ... ويدنوا، وأطرافِ الرماحِ دوانِ

وكالسيفِ إن لا يئته لأنَّ حلهُ ... وحداهُ، إن خاشتهُ خشانِ

ومما يستطرف من شعره:

جاريةٌ تسحرُّ عيناها ... أسفلها يجذبُ أعلاها

أصبحتُ أهواها، وأهوى الردى ... لكلِّ من أصبحَ بهواها

نفسي على أمرينِ مطبوعةٌ ... من حبها، أو بغضِ ملاها

قد ملكني، وهي مملوكةٌ ... فصرتُ أخشاهُ وأخشاها

وأول هذا المعنى لأبي دلامة:

إني أراي سوف أصبحُ ميتاً ... أولاً، فأصبحُ ثم لا أمسي

من حبِّ جاريةِ الجنيد، وبغضه ... كلاهما قاضٍ على نفسي

فكلاهما يشفى به سقمي ... فإذا تكلمَ عاد لي نكسي

أخذه الآخر فقال:

لي مولى يسيءُ ملك العبيدِ ... مخلفُ الوعدِ، منجزٌ للوعدِ

لي من حبه، ومن بغضِ مولا ... هُ بلاءٌ، ما فوقه من مزيدِ

ومن شعر أبي الشيص:

ما فرقَ الأحبابَ بع ... دَ الله إلا الإبلُ

والناسُ يلحونَ غرا ... بَ البينِ لما جهلوا

وما على ظهرِ غرا ... بَ البينِ تمطى الرحلُ

ولا إذا صاحَ غرا ... بَ في الديارِ احتملوا

وما غرابُ البينِ إل ... ا ناقةً، أو جملُ

وهذا المعنى من قول عوف الراهب:

غلطَ الذين رأيتهم بجهالةٍ ... يلحونَ كلهمُ غراباً ينعقُ
ما الذنبُ إلا للجمالِ، فإنها ... مما تشتُّ جميعهم، وتفرقُ
إنَّ الغرابَ يمينه تدنو النوى ... وتشتُّ بالشملِ الجميع الأيقُ

ذكر عبد الله بن أبي الشيص

كان عبد الله هذا يقيم بسر من رأى، وله أشعار حسنة، وكان لا يفارق أباً تمام، وكان الحسن بن وهب قابلاً له، محسناً إليه. ومما يرثي به أباً تمام:

ماتَ بديعُ الشعرِ، والظرفُ ... والأدبُ الموصوفُ والوصفُ
يا جدثاً حلَّ ابنُ أوسٍ به ... واغتاله من زمنٍ صرفُ
إن لم يكنْ جادكُ مزناً فقد ... جادتكُ منا أعينٌ ذرفُ
وله أيضاً:

أظنُّ الدهرَ قد آلى فبرا ... بألا يكسبَ الأموالَ حرا
كأنَّ صفائحَ الأحرارِ أردت ... أباهُ، فحاربَ الأحرارَ طرا
وأصبحَ كلُّ ذي شرفٍ ركوباً ... لأعناقِ الدجى براً وبحرا
يهتكُ جيبَ درعِ الليلِ عنه ... إذا ما جيبُ درعِ الليلِ زرا
يراقبُ للغنى وجهاً ضحوكاً ... ووجهاً للمنية مكفهرأ
ليكسبَ من أقاصي الأفقِ كسباً ... يحلُّ به الخللُ المشمخرا

ومن جعلَ الظلامَ له قعوداً ... أصابَ يدَ الدجى خيراً وشرا
وكان عبد الله هذا كثير الدم لسر من رأى، ومنه قوله:
لَعَنَ اللهُ سراً منْ را بلاداً ... ورماها بالقحطِ والطاعونِ
بعثُ في الصيفِ عندهم قبة الحى ... ش، وبعثُ الكانونَ في كانونِ
ومنه قوله:

لعمرك ما سررتُ بسرّ من را ... ولكني عدمتُ بها السرورا
رأيتُ بها القصورَ مشيداتٍ ... على قومِ يشينونَ القصورا
إذا قيل: البسوا، لبسوا المخازي ... وإن قيل: اركبوا، ركبوا الأيورا

وكتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق لأجله كتاباً، وهو: كتابي إليك كتاب خططته بيدي، وفرغت له ذهني، فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني؟ أتراني أقصر في الشكر عليها، أم أقبل العذر فيها. وابن أبي الشيص ممن عرفت حاله وخالص مودته، وصفاء سريرته. ولو كانت الدنيا تنبسط بيده ما عدانا إلى غيره. فاكفف

بهذا مني فيه وله، والسلام.

وكتب إلى بعض إخوانه:

رداؤك في الحرب العوان هو الردى ... ورأيك في داجي الخطوب هو الفجر
ولو أن للأوعار والسهل ألسناً ... لأثني عليك السهل بالجوذ، والوعر
أسلك بحق الراح والرشأ الذي ... له في حواشي طرفه، أبدأ، سحر
ترى منك ماء الوجه في ماء وجهه ... وللعين في ديباج بهجته زهر
فإن له حقاً على كل ذي هوى ... وللكأس أجر حقه، أبدأ، وزر
بحقيهما ألا قبلت مموهاً ... من العذر يهديه امرؤ ماله عنذر
فإن يك غداراً فمن آل دعبل ... فإنهم قوم، وفاؤهم غدر
إذا عاهدوا فالنكت بحت عهدهم ... وإن وصلوا خلا، فوصلهم هجر
سأكفيك يا ابن المجد ذمي، ولم تكن ... لتبلغ من ذمي الذي بلغ الشعر

ومن الشعراء المعرفين

أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي عتاهية، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد، وبلده الكوفة.

ذكر أبي عتاهية

كان من أكثر الخدثين شعراً، واسهلهم في المعاني والألفاظ، وأبعدهم عن التكلف. وقال ابن الأعرابي: إن أبا عتاهية وبشاراً أجود الخدثين شعراً، وأبعدهم من التكلف. وقيل لربة بن العجاج: من أشعر الخدثين؟ قال: الذي إذا جد جد، وإذا هزل هزل، كأنما يتناول الكلام من كفه. يعني أبا عتاهية. وقال مسعود بن بشر الأزدي: قلت بمكة لابن مناذر: من أشعر الناس؟ قال: من إذا شب لعب، وإذا جد جد. قلت: مثل من؟ قال: مثل جرير حيث يقول:

إن الذين غدوا بقلبك غادروا ... وشلاً بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراقتن، وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى، ولقينا
ثم قال حين جد:

إن الذي حرم الخلافة تغلباً ... جعل الخلافة والنبوة فينا
هذا ابن عمي في دمشق خليفة ... لو شئت سأقكم إلي قطينا
فيروى عن الوليد أنه قال: لو قال جرير: لو شاء لفعلت، ولكن جعلني شرطياً له. ثم قال ابن الأعرابي: ومن هؤلاء الخدثين هذا الخيث، الذي يتناول الشعر من كنب، يعني أبا عتاهية، حيث يقول:

الله بيني وبين مولاتي ... أبدت لي الصد والملالات
ثم يخرج من الغزل فيجد ويقول:

ومهمه، قد قطعت، طامسة ... قفر على الهول والمخافات
بحرة، جسرة، عذافرة ... حوصاء عبراة علنداق

تقولُ للريح كلما بسمتُ ... هل لك يا ريحُ في مباراتي
وبهذا الشعر قال ابن العجاج ما قال، لأنه كان أنشده إياه، فقال: ما كنت أظن أنه يكون بحضرتي مثل
طبعك.

وسمعه أبو نواس ينشد بحضرة قوم، فقال: أفجر هذا، أم أنتم لا تبصرون. وبطريق هذه التائية تاب عن
الشعر، وذلك أنه رأى في منامه كأن شخصاً يقول له: ما كان في الدنيا احد يكون بينك وبين مولاتك
وحبيبتك إلا الله تعالى، حتى تقول: بيني وبين مولاتي. فصار يميل في أشعاره إلى الزهديات.
وكان أبو عمرو الشيباني يفضلهُ. وقد ذكر محمد بن يزيد في كتاب الروضة من أخبار أبي عتاهية جملاً، فلم
أت في هذا بشيء مما ذكره، ذلك إلا القليل، قصداً للفائدة. حدث أبو عمرو الشيباني قال: جاء أبو
عتاهية، ومسلم بن الوليد، وأبو نواس إلى أبي، فاستنشد أبا عتاهية، فأنشده قوله:

وعظمتك أجداتٌ صمتُ ... ونعتك ساكنةٌ خفتُ
وتكلمتُ عن أعظمٍ ... تبلى، وعن صورٍ سبتُ
وأرتك قبرك في القبور ... ر، وأنتَ حيٌّ لم تمتُ
والدهرُ كم من غيرِ ... لك في نوائبه الثبتُ
غيرٌ مقلعةٌ لأو ... تادٍ وأطابِ ثبتُ
لا تغفلن، فإنه ... من تمضِ ساعته تفتُ
ولربما انتقلَ الشما ... ت، فحلَّ بالقومِ الشمتُ
وهذه أبيات ما وجد لمحدث مثلها.
وله أيضاً:

لكم من رجاء، ومن شدةٍ ... إلى غايةٍ وإلى مدةٍ
وكم عقدَ الدهرُ من عقدةٍ ... فرقتُ، وكم حلَّ من عقدةٍ
على سرعةِ الشمسِ في سيرها ... ديبُ الخلوقةِ في الجدةِ
وأنشدهم أيضاً:

يا عجيبي للبلبي وجدته ... يدبُ في الخلقِ ساكناً حركا
ثم انصرفوا، ولم يستنشد مسلماً، ولا أبا نواس شيئاً، فعادوا إليه بعد أيام، فاستنشد مسلماً، فأنشده قصيدته
التي منها:

أجرتُ جبلَ خليعٍ في الصبا، غزلٍ
حتى إذا بلغ إلى قوله:

ينالُ بالرفقِ ما تعيا الرجال له ... كالموتِ مستعجلاً يأتي على مهلٍ
قال له أبو عمرو: أحسنت يا أبا الوليد، إلا أنك أخذت قول أبي إسحاق، حيث يقول:
وحكتُ لك الساعاتُ سا ... عاتٍ أتياتٍ بغتُ

ثم استنشد أبا نواس، فأنشدته:

يا شقيق النفس من حكم

حتى بلغ إلى قوله:

فتمشت في مفاصلهم ... كتمشي البرء في السقم

قال له أبو عمرو: احسنت يا ابا علي، غلا أنك أخذت معنى قول أبي إسحاق:

على سرعة الشمس في مرها ... ديب الخلوقة في الجدة

ولأبي عتاهية:

كل على الدنيا له حرص ... والحادثات أناقما غفص

وكان من واروه في جدث ... لم يبد منه لناظر شخص

ليد المنية في تلمسها ... عن ذخر كل شقيقة فحص

نبغي من الدنيا زيادتها ... وزيادة الدنيا هي النقص

وأخذ هذا المعنى مؤلف هذا الكتاب فقال:

زيادة عمر المرء نقص حياته ... فكيف غدت تلك الزيادة نقصانا

وللمتني:

لا يكثر الأموات كثرة قلة ... إلا إذا شقيت بك الأحياء

وأما قول أبي عتاهية:

لم يبد منه لناظر شخص

فمأخوذ من قول الأول:

وكان أقواماً مضوا لم يخلقوا

وأما قوله:

ليد المنية في تلمسها ... عن ذخر كل شقيقة فحص

وقوله:

نبغي من الدنيا زيادتها ... وزيادة الدنيا هي النقص

فقد تردد هذا في كثير من شعره. فمن ذلك:

إذا ازددت من عمري قربت من البلى ... وألقيت نقصي بيناً في زيادتي

وقوله:

وكل زيادة فليوم تقص ... وكل جماعة فليوم بين

وقوله:

وأسرع في نقضه امرئ تمامه ... يا لك أمراً نقصه إبرامه

وقوله:

وأسرع ما يكون المرء نقصاً ... وأقرب ما يكون من الزيادة

ومعانيه قريبة بعضها من بعض. وللنمر بن تولب مما يلزم بهذا المعنى قوله:
يحبُّ الفتى طولَ السلامةِ جاهداً ... فكيف ترى طولَ السلامةِ يفعلُ
ويروى عن النبي، صلى الله عليه وسلم: " كفى بالسلامة داء " .
وقال حميد بن ثور:

أرى بصري قد رابني بعدَ صحّةٍ ... وحسبك داءً أن تصحَّ وتسلما
وهذا من كلام الحكماء. قال بعض الحكماء، وقد سئل كيف أنت، فقال: كيف حال من يفنى ببقائه،
ويسقم بصحته، ويؤتى من مأمته. وقال بعض الشعراء:
وما ازدادَ شيءٌ قطُّ إلاّ لنقصه ... وما اجتمعَ الالفانِ إلاّ تفرقا
وقال آخر:

كانتُ قناتي لا تلبينُ لغامزٍ ... فألأهما الاصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربي بالسلامةِ جاهداً ... ليصحني، فإذا السلامةُ داءُ
وقال آخر:

يحبُّ الفتى طولَ البقاءِ، وإنه ... على ثقةٍ أنَّ البقاءَ فناءُ
زيادتهُ في الجسمِ تقصُّ حياته ... ليس عى طولِ البقاءِ بقاءُ
ولأبي عتاهية في الشيب ما قد أكثر فيه، فمن ذلك:
إنما الشيبُ لابنِ آدمٍ ناعٍ ... قام في عارضيه، ثمَّ نمأه
وهذا المعنى قس اتسع فيه الشعر، وقالته الخطباء والوعاظ. وقد قال عدي بن زيد:

وابيضاضُ المشيبِ من نذرِ الموتِ ... وهل بعدهُ لحىٌ نذيرُ
وقال مزرد:

فلا مرحباً بالمشيبِ من وفدِ زائرٍ ... متى زارَ لا تحجب عليه لمداخلُ
وقال بعض أهل العصر:

إن الشبابَ نذيرُ الموتِ، ثمَّ إذا ... جاءَ المشيبُ، فذاك القبرُ والكفنُ
وقال المتنبي:

وإذا الشيخُ قال: أف، فما ملَّ ... حياةً، وإنما الضعفُ ملا
وقال أيضاً:

وقد أراي الشبابُ الروحَ في بدني ... وقد أراي المشيبُ القصَّ في بدني
وقال آخر:

والشيبُ ضيفٌ إذا ما حلَّ ربعَ فتى ... أعبى ترحله، أو يرحلانِ معا
وعن أبي شقيقة الوراق قال: أتاني أبو عتاهية يوماً فجلس في دكاني، وجلس الناس حوله وكتبه عنه، ثم
تناول دفترًا من كتبي فكتب عليه:

أيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحدُه الجاحدُ
ولله في كل تحريكة ... وتسكينه، أبداً، شاهدُ
وفي كل ما أبصرته العيون ... دليل على أنه الواحدُ
ثم قام، وجاء أبو نواس فظفر إلى الكتاب، وقرأ ما تب أبو عتاهية، فسألني عن قائل الأبيات، فأخبرته، فقال:
أحسن والله لوددت أنما ي بجميع شعري. ثم تناول القلم وكتب:
سبحان من خلق الخلق ... ق من ضعيف مهين
يسوقه من قرار ... إلى قرار مكين
يجوزُ شيئاً فشيئاً ... في الحجب دون العيون
حتى بدت حركات ... مخلوقة من سكون
فجاء أبو عتاهية فظفر إليها: فقال: لمن هذه؟ لوددت أنما لي بجميع شعري فانظر إلى اتفاق قوليهما.
ومن معنيه:

نراع إذا الجنائر قابلتنا ... ونلهو إن تولت مدبرات
كروعة ثلة لمغار سيع ... فلما غاب عادت راعات
وقول الآخر:

نراع لذكر الموت ساعة ذكره ... ونعرض الدنيا فلهو ونلعب
ومثله لابن دريد:

هال للشيء الذي يرونا ... ونرتعي في غفلة إذا انقضى
ومثل ذلك:

إذا مرضنا نوبنا كل صالحة
ومن معانيه المسترقة:

ألا يا موت لم أر منك بدأ ... أبيت فما تحيف، ولا تحابي
كأنك قد هجمت على مشيبي ... كما هجم المشيب على شبابي
وله أيضاً:

نحمد الله كلنا سنموت ... لخراب البيوت تبنى البيوت
وهذا معنى أخذه من قول أبي ذر رحمه الله، فإنه قال: تلدون للموت، وتعمرون للخراب، وتلدون ما يبقى،
وتحرصون على ما يفنى.

وقال الآخر:

وللموت تغذو الوالدات سخاها ... كما لخراب الدور تبنى المنازل
وله أيضاً:

من أحب الدنيا تحير فيها ... واكتسى عقله التباساً وتيها
قنع النفس بالكفاف، وإلا ... طلبت منك فوق ما يكفيها

ليسَ فيما مضى، ولا في الذي لم ... يأت من لذّةٍ لمستحليها
إنما أنتَ طولَ عمرِكَ ما عمر ... تَ في الساعَةِ التي أنتَ فيها
أخذَه غيره:

ما مضى فات، والمؤملُ غيبٌ ... ولكِ الساعَةُ التي أنتَ فيها
وهذا المعنى يروى عن محمد بن الحسن بن عبيد اله الكوفي، قال: كتب إلي داود الفارسي: يا ابن أخي الدنيا
دار زلل وزوال، وتغير حال عن حال. ثم كتب في آخر كتابه:
أفرطتَ في العيشِ وتأميله ... وللمنايا شيمٌ نكدُ
وإنما عيشُ الفتى ساعَةٌ ... لا قبلها منه، ولا بعدُ
ما أوسعَ الدنيا على أهلها ... لو لم يكنْ آخرها لحدُ
وأتى بهذا المعنى ذو اليمينين طاهر بن الحسين فقال:
ديناكَ دنيا هوىٍّ ومتعبةٍ ... يشقى بها مستهامها الأشرُ
تبدي لأبنائها مساوئها ... عوداً وبدءاً، وليس معتبرُ
ما فاتَ منها كأنه حلمٌ ... ليسَ له لذّةٌ، ولا خطرُ
وليسَ للمرءِ غيرُ ساعتهِ ... إن طال، أو لم يطلْ به العمرُ
وقال محمود في معنى بديع:

ما زالَ يظلمني وأرحمهُ ... حتى بكيتُ له من الظلمِ
أخذَ هذا المعنى من أبي ذر، إذ أتاه رجل فقال: رأيتَ فلاناً شتمك حتى رحمتك، فقال: هل سمعتني شتمته؟
فقال: لا، قال: فياه فارحم. وقال محمد ابن الحجاج: حضرت مجلساً فيه بشار وأبو عتاهية، فقال بشار لأبي
عتاهية: أنشدني، فأنشده:

كمُ من صديقٍ لي أسا ... رقةُ البكاءِ من الحيا
فإذا تفتنَ لامني ... فأقولُ ما بي من بكاءِ
لكنْ ذهبتُ لأرتدي ... فطرفتُ عيني بالرداءِ
قال بشار: يا عتبه ما أشعرك! إلا أنك سرقني، قال: وما قلت يا ابا معاذ؟ قال:
وقالوا: قد بكيت، فقلت: كلا ... وهل يبكي من الجزعِ الجليدُ
ولكني أهابُ سوادَ عيني ... عويدُ قذى له طرفٌ حديدُ
فقالوا: ما لدمعهما سواءٌ ... أكلتا مقلتيك أصابَ عودُ؟
فقال له أبو عتاهية: وأنت يا بشار أخذت هذا المعنى من قول الآخر:
يقولُ خليلي يومَ أكثبةِ النقا ... وعيناي من فرطِ البكا تكفانِ
أمنْ أجلِ دارٍ بين لوزانَ فالنقا ... غداةَ اللوى عيناكِ تبتدرانِ
فقلتُ: ألا لا، بل قديتُ، وإنما ... قدى العينِ مما هيحِ الطللانِ

ومن معاني أبي عتاهية المخترعة:

وإذا شكوتُ إلى الحبِّ رأيتُهُ ... يجدُّ الذي أشكو إليه لديه
وإذا شكاً أيضاً إليّ ظننتُهُ ... قد مسَّ قلبي، مرةً، بيديه
منْ لم يكنْ فيما شكوتُ به الذي ... في الحبِّ مثلي، هانَ ذاكَ عليه
إنَّ الحبَّ إذا تناولَ سقمه ... يلقي الحبَّ، فيستريح إليه
أخذه بعضُ الخدثين فقال:

لو علقتَ الهوى عذرتَ، ولكن ... إما يعذرُ الحبُّ الحبُّ
ومثله:

لا تلمَّ صبوتي فمن حبِّ يصبو ... إنما يرحمُ الحبُّ الحبُّ
ويقال: إن أبا عتاهية غلب على قلب الرشيد، فغضب عليه موسى الهادي بذلك السبب، وتوعده، فقال
يخاطب المهدي:

ألا شافعَ عندَ الخليفةِ يشفعُ ... فيدفع عني كربَ ما أتوقَّعُ
فإني، على علمِ الرجاءِ، لخائفٌ ... كأنَّ على رأسي الأسنَّةَ شرعُ
رمانِي وليَّ العهدِ موسى بغضبةٍ ... فلم يكُ لي، إلاَّ الخليفةُ، مفرغُ
وليس امرؤٌ يمسي ويصبحُ عائداً ... بظلِّ أميرِ المؤمنين، مروغُ
ثم أقبل على مديح موسى. فمن مدائحه قوله:

لهفي على الزمنِ القصيرِ ... بين الخورنقِ والسديرِ
إذ نحنُ في غرفِ الجنا ... نِ نعومُ في بحرِ السرورِ
في فتيةٍ ملكوا عنا ... نَ الدهرِ، أمثالِ الصقورِ
ما منهمُ إلاَّ الجسو ... رُ على الهوى، غيرُ الحصورِ
يتعاورونَ مدامةً ... صهباءَ من حلبِ العصيرِ
عذراء، رباها شعا ... ع الشمسِ في حرِ الهجيرِ
حلبتُ على قومٍ كرا ... مِ سادقِ، في درعِ قيرِ
ومشمر يسعى أما ... م القومِ كالرشأ الغريرِ
بزجاجةٍ تستخرجُ ال ... سرَّ الدفينِ من الضميرِ
تذرُ الحليم، وليس يد ... ري ما قبيلٌ من دبيرِ
ومخدراتِ زرننا ... بعدَ الهدوِّ من الخدورِ
نفحُ روادفهنَّ يل ... بسنَ الخواتمِ في الحصورِ
متغمساتٍ في النعي ... م، مضمخاتٍ بالعبيرِ
يرفلنَ في حلالِ الجمما ... ل، وفي الجاسدِ والحريوِ
ما إنْ يرينَ الشمسَ إلاَّ ... الفرطِ من خللِ الستورِ

ولقد غططنا البؤسَ في ... لجحِ الغضارةِ والسرورِ
فمحا لذاذةَ عيشنا ... مرُّ الليالي والشهورِ
وغدا فألمب في الرؤو ... س، وفي اللحى شعلَ القنبرِ
فألى ولي العهدِ مه ... ربنا من الدهرِ العثورِ
وإليه أتعبنا المط ... يَّ بالرواحِ، وبالبحورِ
صعرَ الحدودِ كأنه ... نَّ كسينَ أجنحةَ النورِ
هوجاً يطرنَ بزائرٍ ... يهدي المديحَ إلى مزورِ
أضحتْ لموسى بيعةً ... في الملكِ أثبتُ من ثبيرِ

فرضي عنه وأجازه. فلما أفضت الخلافة إلى الرشيد قدمه ووفر له الجراية، وأمره بملازمته. فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر. وقيل: إنه حج مع الرشيد، فجاء الرشيد يوماً في الطريق، وقد استلقى في ظل ميل، وهو يقول:

ألا يا طالبَ الدنيا ... دع الدنيا لشانिका
فلما تصنعُ بالدنيا ... وظلُّ الميلِ يكفيكا
فعجب الرشيد من بديهته.

وعمر أبو عتاهية إلى أيام المأمون، وقد جاوز لسبعين، فقال:
أعيني هلا تبكيانِ على عمري ... تناهت الأيامُ عمري ولا أدري

ألا في سبيل الله سوفتُ توتي ... ودفعتُ أيامي، وفرطتُ في أمري
إذا كنتُ قد جاوزتُ سبعينَ حجةً ... ولم أتأهبُ للمعادِ، فما عندي
أمني البقا نفسي أحاديثَ ظلمةً ... وقد أشرفتُ بي الحادثاتُ على قبري
وكان أبو عتاهية ي قول: إن المكارم موصولة بالمكاره، فمن أراد مكرمةً إحتمل كروهاً. وولد أبو عتاهية في سنة إحدى وثلاثين ومائة، وتوفي في أيام المأمون سنة عشر ومائتين.

ذكر أبي عبد الله محمد بن أبي عتاهية

لم تكن ل محمد غزارة أبيه في الشعر، ولكنه كان ذا طبع مجيب بغير تكلف، وفي شعره لين. ومن شعره يرثي أباه:

أيا دهرُ كم لك من بائقهُ ... وكم لك من نكبةٍ طارقة
فكم لك من غمزةٍ في القلوب ... وكم لك من دمةٍ دافقة
إذا درجَ القرنُ في وقته ... فإنَّ القرونَ به لاحقة
عوالقُ دنياك مسمومةٌ ... توقُّ، فقد تقتلُ العالقة
أيا كبدًا ماها سكنةٌ ... فتسكن أحشاؤه الخافقة

كأَنَّ و سادي على جمره ... به، في توقدها، لاصقة
أبي يا صريع ثرى حفرة ... نعت بالسنه ناطقه
وقد كت تنعى برجم الغيو ... ب، فقد جاءت النعيه الصادقه
وله يرثي أباه:

يا أبي ضمك الثرى ... وطوى الموت أجمعك
ليتني يوم مت صر ... ت إلى حفرة معك
رحم الله مصرعك ... برد الله مضجعك

ولأبي عبد الله محمد ولد يقال له أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي عتاهية. وهذا كان متقدماً في صناعة الكلام، ألد في الجدال. وله كتب مؤلفة في الرد على أهل البخل، وله معان مستحسنة، وكان مطبوعاً، ظريفاً، دعياً. ومن شعره يرثي أمه، وإن كان معنى قد سبق إليه: يقول أناس: قد جفا قبر أمه ... وما قبرها إلا الفؤاد الذي فجع لقد ضاق بي من عالم الله كله ... عشية أودت روحها كل متسع وله فيها أيضاً:

باد أنسي، فربع دار ... ي من الأنس مقفر
كيف يقلا قبر هو ال ... قلب، أم كيف يهجر
من فؤادي دون الأما ... كن أمي ستحشر

المعرقون من الرجاز

ومن المعرقين في شعر الرجز، وهم الرجاز

عقبة بن رؤبة بن العجاج، وحومة أخت رؤبة شاعرة أيضاً. حدث أبو دهمان الغلابي قال: حضرت مجلساً فيه بشار وعقبة بن رؤبة وابن المقفع، فتحدثوا، وتناشدوا، فأنشدهم بشار أرجوزته:
يا طلل الحى بذات الصمد
بالله خبر كيف كت بعدي
فسمع فيها عقبة كثرة الغريب، فاغتاظ، وقال: أنا وأبي وجدي فتحنا الغريب للناس، وإني، والله، لخليق أن أسده عليهم.

فقال بشار: رحمهم الله، فقال عقبة: أتستخف بهم، وأنا شاعر بن شاعر ابن شاعر؟ فقال له، يتماجن عليه: أنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، طهرهم تطهيرا.

ذكر العجاج

ولد العجاج وأبو النجم جميعاً بالقاعة. والقاعة أرض بكر بن وائل دون البحرين. وهو العجاج بن ربيعة، وهو أول من أطال الرجز، وكان في الرجز ك امرئ القيس في الشعراء. وقيل ليونس: من أشعر الناس؟ فقال: العجاج، قيل: لم نسأل عن الرجز، قال: وأشعر أصحاب القصيد، إنما الشعر كله كلام، فأجودهم كلاماً أشعرهم، ليس في شيء من شعر العجاج شيء من الكلام يستطيع قائل أن يقول: لو كان مكانه غيره كان أجود. قال العجاج:

قد جبرَ الدينَ الإلهُ فجبرَ

وهي نحو من مائتي بيت، وهي مقيدة القافية، فلو أطلقت قوافيها كلها كانت منصوبة.

وسئل الأصمعي عن أشعر الرجز، فقال: العجلي، ثم السعدي، ثم العجلي، ثم السعدي. يريد بالعجلي الأول: الأغلب، وبالسعدي الأول: العجاج، وبالعجلي الثاني: أبا النجم، وبالسعدي الأخير: سليمان بن ربيعة.

وإنما سمي شعر الرجز رجزاً لتدارك أجزائه. وهو مأخوذ من الإرتجاز، وهو صوت الرعد المتدارك. والرجز مصدر يرجزون ويرتجزون إرتجازاً. الواحدة أرجوزة، والجمع الأراجيز. قال أبو عبيدة: قال العجاج أبيتاً من رجزه في الجاهلية، ولم يدرك سلطان سليمان بن عبد الملك. وقال له عبد الملك بن مروان: أتحسن الهجاء؟ قال: إن لنا حلماً يمنعنا أن نظلم، وعزاً يمنعنا أن نظلم.

وكان العجاج يرى المتعة بغير شاهد. وقيل: إنه قدم إلى والي اليمامة امرأة، ادعى تزويجها، فأنكرت المرأة، فسأله البينة، فأنشد:

وفالقِ الحبَّ، وفلاقِ النوى
لقد مددنا أيدياً تحتَ الدجى
تحت. . . الليل، والليلُ يرى
صفتاً، وكلُّ معجبٍ بما اشترى
وله يهجو بنيه:

إنَّ بنيَّ للثامِّ زهدهُ

ما عندهم لأحدٍ من موددهُ

إلاَّ كودٌ مسدٍ لقرمدهُ

فقال ولده ربيعة يجيبه:

عجاجُ ما كنتَ بأرضٍ مأسدهُ

إنَّ بنيكَ لكراهُمُ مجدهُ

ولو دعوتَ، لأنوكَ حفدهُ

الاحتفاد: السرعة، والحفد في الخدمة.

وقيل: إن العجاج استقرض من بنته حومة بكراً، فمطلها به سنة وشهراً، وكان له جمل، يقال له جوجله،

فسألته حومة أن يدفع إليها ذلك الجمل، بدلاً من بكرها، فقال العجاج:

قد أقرضت حومة قرضاً عسرا

ثم تعدت بازلاً ضبطاً

حوجلة القبعثري الدمثرا

الدمثر: الكبير الفم.

فأجابته حومة:

يا أبتى زادك ربّ وفرا

وزاد في عمرك، أيضاً، عمرا

بعد نسائي سنةً وشهرا

تمتعي حوجلة الدمثرا

وقال العجاج:

والشمسُ قد كادتُ تكونُ دنفا

أدفعها بالراح كي ترحلنا دنفا: قوت، أو تصفر للغروب. وترحلف: تنحى وقال الآخر:

تنورتها من أذرعَاتِ وأهلها ... بيثرب، أدنى، أدنى دارها نظرٌ عالٍ

تنورتها: رأيت نارها.

ومثله:

أليس بصيراً من يرى، وهو قاعدٌ ... بمكة، أهل الشام يختبئونا

قال بعضهم: رأى أهل الشام بمكة وهم يختبئون.

وقال ابن شبة: اجتمع على باب عبد العزيز كثير والعجاج ونصيب، فأبطأت عليهم جوائزهم، فأرادوا

تحريكة، فقال كثير في ذلك:

ولقد علمت، وأنت تعلمه ... أن العطاء يشينه الحبسُ

وقال العجاج:

إني امرؤٌ قد ثبتتُ فراستي

فأنجزن، يا هديت، حاجتي

وقال نصيب:

حتى متى حاجة، لو شئت، قد قضيت ... محبوسةً ما لها وردٌ ولا صلرٌ

ويروى أن العجاج أنشد سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز حاضر قوله:

يا خيرَ نفسٍ خرجتُ من نفسٍ

خرجتَ بينَ قمرٍ وشمسٍ

ومما يشبه هذا أن كعب بن زهير أشد أبا بكر، رضي الله عنه، قصيدة زهير، فلما بلغ إلى قوله:

لو كنتَ من شيءٍ سوى بشرٍ ... كنتَ المنورَ ليلةَ القدرِ

والستر دون الفاحشات، ولا ... يلقاك، دون الخير، من ستر
فدرفت عينا أبي بكر، وقال: هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر رؤية بن العجاج

كان يكنى أبا الجحاف، وكان رجلاً كاملاً، وكان أبوه تزوج امرأة غير أمه، اسمها عقرب، فولدت له
أولاداً، كان يؤثرهم على رؤية، ويهب لهم الشيء بعد الشيء من الإبل والغنم وغير ذلك. فقال رؤية: إن
هذه الإبل أنا اكتسبتها لأبي، وما زلت أذب عنها، وأدور معها الغمرات، وأتبع بها الأرياف أرهاها،
ويأخذها أبي ويعطيها لمن لا تعب فيها. فأخبر بذلك العجاج فقال:

لطالما أجرى أبو الجحافِ

لفرقة، طويلاً التجافي

لما رأني أرعشتُ أطرافي

وقد مشيتُ مشيةً الدلافِ

كان مع الشيبِ من الدفافِ

إستعجلَ الدهرُ، وفيه كافِ

يخترمُ الألفَ مع الألافِ

ليسَ كذاك ولُدُّ الأشرافِ

وهو عليكِ واسعُ العطفِ

فلما سمع رؤية شعر أبيه خرج إلى رعاء إبله، وقال: هو أعلم بالشعر مني، فاسمعوا ما أقول، فإن كان شعراً
فأنا شاعر، وإن لم يكن شعراً أقبلت على رعاء الإبل، فقالوا: هات ما سنح لك، فقال:

إنك لم تنصفَ أبا الجحافِ

وكان يرضى منك بالإنصافِ

فليتَ حظي من جدك الضافي

كفافِ، إن تتركني، كفافِ

قالوا: والله أحسنت، وسلكت طريق الشعراء، وما أبوك بأشعر منك.

قال: فوالله، لا أتبع ذنب بعير أبداً. وسمع أبوه فنخرج إليه، وقال له: خدعك الشيطان، هات ما قلت، فوالله
لأنت عندي أوغد من أن تقول شعراً، فأنشده، فقال: اشهدوا، إن أمر زوجتي عقرب بيده، قال: فاشهدوا
إنها طالق من أبي، ثم عكف عليه.

قال: وبلغ العجاج أن رؤية قال: أنا أشعر من أبي، فقال له أبوه أنت أشعر مني؟ قال: نعم، قال: ومن أين

أتاك ذلك؟ قال: من حيث أتاك، إنك أشعر من أبيك رؤية، فسكت.

وتنازعا معاً بحضرة عبد الملك بن مروان في قول:

وقاتم الأعماقِ حاويِ المخترقِ

وكانت لرؤية دون العجاج، فأخذها العجاج ثم أنشدها لعبد الملك، وأخذ جائزتها، فقال رؤية لأبيه: ما
أنشدت أمير المؤمنين؟ فقال:

وقاتم الأعماقِ حاويِ المخترقِ

فقال: والله لقد سرقت شعري، ولست أفارقك أو تدفع إلي جائزتها، وإلا بيني وبينك عبد الملك. فرجعا إلى
عبد الملك، فقال رؤية: يا أمير المؤمنين، إن أبي سرق قصيدي، وأنشدكها. فوجد أبوه أنها لولده، وقال: هي
لي دونه، وأنا قاتلها. فقال له: خل عن أهلك، فقد جاء عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن
أحل، ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه ". فلا ضمير إن اكتسب أبوك بشعرك. فأعاظ العجاج
ما صنعه به ابنه رؤية، فقال له: إن قلت وادعيتك لنفسي، فأنا شاعر. فقال: إن كنت شاعراً فلست ابن
شاعر، وأنا شاعر ابن شاعر. فأنشأ العجاج يقول:

يردُّ عليَّ الشعرَ منْ أمه ... ثلاثينَ عرداً في ثلاثِ ليلِ

فأجابه رؤية:

فقد جدي جدي، با بن جدي ... ثمانينَ عرداً في ثلاثِ ليلِ

فضحك عبد الملك حتى علا صوته، وأجازه كما أجاز أباه.

ومات رؤية سنة خمس وأربعين ومائة. وفي اسمه لغات: روبة، غير مهموز، ورؤية مهموز، ورؤية بفتح الراء.
وسئل يونس عن رؤية المهموزة، قال: هي قطعة من خشب، يرأب بها القدح والجفنة. ورؤية الفرس جماعه.
ورؤية الليل: ساعة منه. ورجل رائب، ورجل روبي: تعني النعاس. ويقال: فلان لا يقوم برؤية أهله: أي لا
يقوم بما يسندون إليه من حوائجهم. ويقال: روب لبنك برؤية، أي بخميرة تدرك بها اللبن.

قال الأصمعي: حدثنا رؤية قال: دخل علي ذو الرمة، فسمع قولي فسرق أول أرجوزتي.

قال الأصمعي: دخلنا على أبي عمرو بن العلاء، فقال: سمعت رؤية يقول: دخلت على أبي مسلم، بعد قتل
مروان، وهو في بهو له بالشام، فسلمت عليه، فرد السلام وقال: أنشدني قصيدتك التي في وصف البعير،
فقلت: بل أنشد مدحي فيك، وأنشأت أقول:

ما زال يأتي الأمر من أقطاره

على اليمين، وعلى يساره

مشمرٌ لا يصطلي بناره

حتى أقرَّ الملك في قراره

فقال: ويحك أنشدني ما قلت لك أولاً، فقلت:

خفضت بيتاً ورفعت بيتاً

في الأكرمين من قريش بيتاً

فقال: ويحك أنشدني ما قلت لك أولاً، فقلت:

ما زال بيني خندقاً ويهدمه

وعسكراً يشرعه فيهزيمة

ومغنماً يجمعه فيقسمه

مروان لما غره منجمه

فقال ويحك أنشدني:

وقاتم الأعماق خاوي المحترق

فأنشدته، فلما انتهيت إلى قولي:

ترمي الجلاميد بجلمودٍ مدق

قال: قاتلك الله لقد صليت حافره. ثم دعا وصيفاً له وأسر إليه شيئاً. فقمتم والوصيف في الباب، فأعطيني ألف دينار.

ومن معاني رؤية:

قد رفع العجاجُ ذكري فادعني

باسم، إذا الأسماء طالت، يكفني

وهذا المعنى من قول الآخر يمدح قيس بن معدي كرب:

قيسُ أبو الأشعث بطريقُ اليمنِ

لا يسألُ السائلُ عنه ابنُ منْ

وأخذ هذا المعنى دعبل فقال:

إذا تسميتَ فذاك نسي

ولستُ أحتاجُ إلى ذكرِ أبي

ومن أخبار رؤية قال الأصمعي: إن رؤية قال: كانت لي حاجة إلى بعض عمان السلطان، فاستشفعت ببعض

أهل البصرة وبالشعر فلم تنجح، فرشوت فلت حاجتي، فقلت:

لما رأيتُ الشعراءَ بلدوا

وسألوا أميرهم فأنكدوا

هزمتهم برشوة فأقردوا

فسهلَ اللهَ بما ما شددوا

وشبيه بهذا قول الأعرابي:

وكتُ إذا أخصمتُ خصماً كبيتُه ... على الوجه، حتى خاصمتني الدراهمُ

فلما تنازعنا الخصومة صدقتُ ... عليّ، وقالوا: قم فانك ظالمٌ

وكان دعبل إذا أنشد هذا البيت:

عليّ، وقالوا: قم فانك ظالمٌ

يصيح صيحة قوية في قوله: قم. فقيل له: لم تصيح؟ فقال: كذا صاحوا علي لما قالوا: قم.

وقال ابن العلاء: كنت عند بلال بن أبي بردة، إذ قدم عليه الطرماح والكميت، ودخل رؤبة فقال له ابن العلاء: أتدري من هذان؟ قال: لا، فقال: هذا الكميت وهذا الطرماح، الساعة يسرقان شعرك، ويهدمان قوافيك. فقال: هلا أعلمتني قبل ذلك فلا أنشدكما.

ونشأ لرؤبة ولد اسمه عقبة، ونحن نذكره. وقيل لرؤبة: إن ولدك عقبة قد أحسن في الشعر، قال: بل ما لشعره قران التشابه والموافقة. ولذلك قال عمرو بن لجأ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك، قال: ولم؟ قال: لأنني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه.

الأخوة من الشعراء

وأما الأخوة من الشعراء، فالشماخ، واسمه معقل، ومزرد واسمه يزيد، وجزء، وكلهم كان شاعراً. وهم أبناء ضرار بن سنان بن أمامة. فأرادت أمهم أن تتزوج رجلاً بعد موت أبيهم، يقال له آوس، وكان أيضاً شاعراً. فلما رآه بنو ضرار أتى أمهم يحطّبها، وهم على بئر يستقون الماء منها، تناول شماخ الدلو، ثم منح، وهو يقول:

أمُّ أويسٍ أويسا

وجاء مزرد، فتناول الحبل، وهو يقول:

أعجبها حدارةٌ وكيسا

وجاء جزء، فتناول الحبل، وقال:

أصدق منها لجةٌ وتيسا

فلما سمع آوس رجز الصبيان هرب، وترك أمهم فهذا أول شيء تفوه به بنو ضرار من الشعر. وقال أبو عمرو بن العلاء: قيل للحطية في اليوم مات فيه: أوص، قال: ويل للشعراء من رواية السوء. قيل: أوص، قال: أخبروا شماخ أنه أشعر غطفان.

وكان شماخ يجيد إذا وصف الحمر، حتى قال الوليد: إني لأظن أن أبا شماخ كان حماراً، لكثرة وصفه للحمير في شعره.

وروي أن ابن داب خرج من حضرة المهدي، فقيل له: أنشدنا أبياتاً من أشعر ما قالت العرب، فأنشد قول شماخ:

وأشعثٌ قد قدَّ الشفأُ قميصُهُ ... وجرَّ شراباً بالعصا غيرَ منضج

دعوتُ إلى ما فاتني، فأجابني ... كريمٌ من الفتيانِ غيرُ مزج

فتيَّ يملاً الشيزى ويروي سنانهُ ... ويضربُ في رأسِ الكميِّ المدجج

فتيَّ ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ... ولا في بيوتِ الحيِّ بالمتولج

ومما يتمثل بشعره:

وكتبتُ إذا حاولتُ أمراً رميتهُ ... بعيني، حتى تبلغاً منتهاهما

وكتبتُ إذا ما شعبتنا الأمرِ شككتنا ... عليّ، فلم يصدر جميعاً هواهما

عمدتُ إلى ذات المغبة منهما ... وخليت نفسي من طلاب سواهما
ويروى: سدھما، أي المهلة بينهما. قال الأصمعي: قال لي الرشيد يوماً، وقد هم بأخذ العهد لحمد الأمين،
وقد فكر فيه طويلاً: من القائل:
وكتتُ إذا حاولتُ أمراً رميته ... بعيني، حتى تبلغاً منتهاهما
وأشددني باقي الأبيات، قلت: السماخ، وأنشدت باقي القصيدة، فقال: قاتله الله، ما أرضن شعره وأحكمه:
ومن شعره السائر:

رأيتُ عرابةَ الأوسيِّ يسمو ... إلى الخيرات، منقطعَ القرينِ
أفاد سماحةً، وأفاد مجداً ... فليس كجامدٍ لحزٍ ضنينِ
إذا ما رايةً رفعتُ لجِدِّ ... تلقاها عرابةُ باليمينِ
إذا بلغتني وحللتِ رحلي ... عرابةً، فاشركي بدمِ الوتينِ
فنعَم المعتزى ركدت إليه ... رحي حيزومها كرحى الطحينِ
ومن معانيه التي يختلف فيها قوله:

إذا دعتُ غوثها ضرائقها فزعتُ ... أثباجُ بني علي الأَعقابِ منصودُ
الضرة: مجتمع اللبن، والشج: أعلى الظهر، النبي: الشحم كأنها منصودة عقب على عقب. والمعنى قال
الأصمعي وغيره: يقول: هذه إبل سمان، إذا احتاجت إلى الدر أتناها شحومها باللبن. وقوله: فزعت، أي
لقاتت، والجرت والفرع: الاغاثة.
ومن معانيه المستحسنة:

بها شرقٌ من زعفرانٍ وعنبرٍ ... أطارتُ من الحسنِ الرداءَ المحبرا
أخذه ابن أبي ربيعة، فقال:
فلما توافقتنا وسلمتُ، أشرقتُ ... وجوةٌ زهاها الحسنُ أن تتقنعا
أخذه الآخر فقال:

تمشي الهوينا مائلاً خمّارها

أي من حسنهما، أي لا تخمر بخمار.

ومن معانيه المستطرفة، وقد ادعت عليه امرأته أنه طلقها، فألزمه عثمان رضي الله عنه باليمين، فأعانها قومها
من بني سليم، فقال:

أتني سليمٌ، قضها وقضيضها ... تمسحُ حولي بالبيع سبالها
يقولن: إحلف، قلتُ لستُ بحالفٍ ... أحاتلهم عنها، لكيما أناها

ففرجتُ همَّ النفسِ عني بحلفةٍ ... كمتنِ جوادٍ شقَّ عنه جلالها
أخذ هذا المعنى بعضهم فقال:

خوفوني اليمينَ فارتعت منها ... كي يغروا بذلك الارتياح

ثم أرسلتها كمنحدر السيل ... تداعى من المكان اليفاع
وأخذه الآخر فقال:

وقالوا: اليمين، فمن لي بذاك ... ياليتهم يطلبون اليمينا
فأمنحهم حلقة لذة ... تنجي المدين، وتردي المدينا
وأخذه أخوه مزرد فقال:

إذا أحلفوني باليمين منحتهم ... عيناً، كسحق الأحمي الممزق
وإن أحلفوني بالعناق فقد درى ... دهيم غلامي أنه غير معتق
وإن أحلفوني بالطلاق رددتها ... كأحسن ما كانت كأن لم تطلق
وله التشبيهاة الحسنة. فمن ذلك قوله:

رأيت، وقد أتى نجران دوني ... وليلى دون منزلها السدير
بدالي بالعميم ضوء نار ... تلوح كأنها الشعري العبور
أخذ هذا المعنى كثير فقال:

رأيت وأصحابي بمكة موهناً ... وقد لاح ضوء الكوكب المتصوب
لعزة ناراً ما تبوح، كأنها ... إذا ما رمقناها من البعد، كوكب

قال الأصمعي: أول درهم أصبته من الرشيد مائة ألف درهم، أعطانيها على بيتي كثير هذين. وذلك أنه
كنت في خدمة يحيى بن خالد في بعض أسفاره مع الرشيد. فنظر الرشيد ليلة إلى نار بعيدة، فقال ليحيى بن
خالد: هل تحفظ في صفة هذه النار شيئاً، فقال: لا، ولكن معي رواية يقال له الأصمعي، قال: تحضره. فلما
وقفت بين يديه قال: انظر إلى هذه النار، فنظرت، قال: هل تحفظ فيها شيئاً؟ قلت نعم، وأنشدته البيتين،
فاستحسنهما، وقال: ما أخطأت ما في قلبي من تشبيهاها، وأمر لي بمائة ألف درهم.
وقد ذكرنا مزرداً أولاً، وأردنا بذكره قصيدة له نادرة، فذكرناها هنا على غير ترتيب. والقصيدة قوله:
صحي القلب من سلمى، وملّ العوائل

وهي قصيدة منوعة قد جمع فيها أشياء مما يستجد منها:

ومن يك معزال اليدين فانه ... إذا كشرت عن نابها الحرب، خامل
وقد علمت شيبان ذبيان أنني ... أنا الفارس الحامي الذمار المقاتل
وأني أرد الكبش، والكبش جامع ... وأرجع رمحي، وهو ريان ناهل
وعندي، إذا الحرب العوان تلقحت ... وأبدت هواديهها، الخطوب الزلازل
طوال القرا قد كاد يذهب كاملاً ... جواد المدى والعقب، والخلق كامل
أجش صريح كأن سهيله ... مزامر شرب جاوبتها خلاخل
ومسفوجة فضفاضة تبعية ... وآها القتير تجويها المعابل
موشحة بيضاء، دان حبيكها ... لها حلق، بعد الأنامل، فاصل
وتسبعة في تركة حميرية ... دلامصة، ترفض عنها الجنادل

وأملسُ هنديٌّ متى يعل حدهُ ... ذرى البيضِ لا تسأمُ عليه الكواهلُ
ومطرْدٌ، لدنُ الكعوبِ، كأنما ... تغشاهُ منباغٌ من الزيتِ سائلُ
أصمُّ إذا ما هزَّ مارتُ سراتهُ ... كما مارَ ثعبانُ الرمالِ الموائلُ
وقد عن لنا أن نعود نذكر شيئاً من حديث ذي الرمة. لأننا ذكرنا سبب كنيته في الألقاب. ولم نذكره ها هنا
إلا لما أردنا أن نذكر الأخوة من الشعراء، كما ذكرنا الشماخ وأخوته.

كان أبو عمرو بن العلاء يقول: ختم الشعر بذى الرمة. وسئل جرير عنه، فقال: بعز ظباء يفوح، ونقط
عروس. أراد به بعز ظباء، يعني أول ما تأخذ بعز الظباء تفوح منه رائحة المسك، ثم يرجع إلى حالته. يعني
شعر ذي الرمة أول ما يطرق السمع توجد له حلوة، ثم لا.

ومن الفرزدق بذى الرمة، وهو ينشد شعره، فلما فرغ قال: كيف ترى شعري؟ قال: أنت شاعر. قال: فلم
فضل علي غيري؟ قال: لأنك كثير البكاء على الدمن، وكثير الوصف لأبوال الأبل وذكر الديار البلاقع،
فإذا صرت إلى الهجاء والمدح أكديت، وقيل لذي الرمة: إنما أنت رواية الراعي، ومنه تعلمت، فقال: ما
مثلي ومثل الراعي، إلا مثل شاب صحب شيخاً، فسلك به طرقاً، ثم فارقه، فسلك الشاب بعده شعاباً
وأودية لم يسلكها الشيخ قط.

وكان يقال: أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس، وأحسن الأسلاميين ذو الرمة. وروي عن ذي الرمة أنه
قال: إذا قلت كان فلم أجد، فلا إنطلق لسانى.

ويروى عن أبي بكر عباس أنه قال: كنت إذا أصبت بأمر لم أبك، وكنت أتجلد، وكنت أستضرر وبأخذي
الكمد. فمررت يوماً، فإذا أنا بذى الرمة ينشد:

لعلَّ الحدارَ الدمع يعقب راحةً ... من الوجدِ، أو يشفي نجيَّ البلابلِ
فأصيبت بعد ذلك، فبكيت فاسترحت.

وأخذ المعنى الفرزدق فقال:

ألم ترَ أنى يومَ جوِّ سويقةٍ ... بكيتُ، فنادتني هنيئاً: ماليا

فقلتُ لها: إنَّ البكاءَ لراحةٌ ... به يشنفي من ظنِّ الأتلاقيا

وذكر أن ذا الرمة كان يشبب بامرأة من بني منقر، وإسمها مي، وما رأى وجهها قط. وكانت تعاديه امرأة
من سلبهة، فعملت شعراً تهجوماً، ونحلتها إياه، ومنه:

على وجهِ ميِّ مسحةٌ من ملاحيةٍ ... وتحتَ الثيابِ الشينُ، لو كان باديا

فلما بلغ ذلك ذا الرمة امتعض، وحلف أنه ما قاله. وبلغ ذلك ميّاً فنبرت إذا رأت ذا الرمة تنحر بدنه.

فلما رأته، وكان دميماً، قالت: واسواتاه، وابؤساه.

فبلغه ذلك، فقال: ما كنت قلت ذلك الشعر، وإنما أنا الآن أقوله وأزيد عليه.

وقوله فيه:

على وجهِ ميِّ مسحةٌ من ملاحيةٍ ... وتحتَ الثيابِ الشينُ، لو كان باديا

ألم تر أن الماء يخبثُ طعمه ... وإن كان لون الماء أبيضَ صافياً
وكان أيضاً يشبب بامرأة أخرى اسمها خرقاء، وكانت من ولد ربيعة.
وروى محمد بن الحجاج بن عمرو بن يزيد بن أخي ذي الرمة، قال: حججت، فمررت على خرقاء التي
كان يشبب بها ذو الرمة، وهي بفلجة، فملت إليها، فقالت: أفضيت حجك وأتممته؟ قلت نعم، قالت: أما
علمت أي منسك من مناسك الحج؟ أما سمعت عمك يقول:
تمامُ الحج أن تقفَ المطايا ... على خرقاء، بادية اللثام
فقلت: لقد أثر فيك الدهر! فقالت: أما سمعت قوله أيضاً:
وخرقاء لا تردأد إلا ملاحه ... ولو عمرتُ تعميرَ نوح، وجلت
ثم قالت: رحم الله عمك، شهرني بين الناس، وما رأى وجهي، ولا سمع كلامي. وما يستحسن من قوله
فيها:

لها بشرٌ مثلُ الحرير، ومنطقٌ ... رخيماً الحواشي، لا هراء ولا نر
وعينان، قال الله: كونا، فكانتا ... فعولان بالألباب ما تفعل الحمر
وتبسمُ لمح البرق عن متوضح ... كلون الأفاحي، شاب ألوانها القطر
وما يستحسن من معانيه المتدعة:

وأرمي إلى الأرض التي من ورائكم ... لترجعني يوماً، إليك الرواجعُ
ووالله، إن هذا معنى حسن، وسبك بديع. وقوله:
لئن قطع اليبس الرجاء، فإنه ... رقوء لتنراف اللموع السوافك
لقد كتأت الأرض، لا يستفزي ... لها الشوق، إلا أنها من ديارك
ومن غزله:

ألا لا أرى المهجران يشفي من الهوى ... ولا واشياً عندي بسوء يعيها
إذا هبت الأرواح من نحو جانب ... به أهل مي، هاج شوقي هبوبها
هوى تنرف العينان منه، وإنما ... هوى كل نفس حيث حل حبيها
قال المبرد: مات ذو الرمة بأصبهان بالجدري، وآخر ما قاله ساعة مات:
يا مخرج الروح من جسمي إذا احتضرت ... وفارج الكرب، زحزحي عن النار
وكان مسعود أخو ذي الرمة شاعراً مجيداً. وله يرثي أوفى ابن دهم:
نعى الركب أوفى، حين آبت ركابهم ... لعمري لقد جاءوا بشر، فأوجعوا
نعوا باسق الأفعال، لا يخلفونه ... تكأذ الجبال الصم منه تصدع
خوى المسجد المومر بعد ابن دهم ... وأضحى بأوفى رهطه قد تضععوا
تعزيت عن أوفى بغيلان بعده ... عزاء، وجفن العين ملآن مترع
ولم ينسني غيلان من مات قبله ... لكن نكأ القرح بالقرح أوجع
وكان له أخو اسمه هشام. ومن شعره:

وخرق تموتُ الريحُ في حجراته ... دآميمةً موصولةً، وسباسبه
قطعتُ، ويومٍ ذي همادي تنظي ... به القورُ من وهج اللظا، وقراهبه
القور: الظباء. والقراهب: مسان الخمر. وهمادي من الحر: مثل جمادى بالبرد.
كأني ورحلي فوقَ أحقبَ لاحه ... من الصيف أجاجُ تلظى صياهة
طوى بطنه طولُ الطرادِ، فأصبحتُ ... تقلقلُ من طول الطرادِ زواجبه

ومن الأخوة الشعراء: بنو مرة القردي. كان بنو مرة عشرة، وهم أبو خراش، وعروة، وأبو جندب،
والأبح، والأسود، وأبو الأسود، وعمرو، وزهير، وجناد، وسفيان. وامهم لبنى، وبها شهرتهم، يقال لهم: بنو
لبنى. وذكر أن هؤلاء كلهم قالوا الشعر، وما اشتهر إلا ثلاثة، وسنذكرهم، ونذكر أشعارهم، وهم أبو
خراش، واسمه خويلد، وعروة، وأبو جندب.

وكان أبو خراش شاعراً، وأدرك الإسلام. فمن أجود شعره المختار، الذي لم يسبق إليه قوله يرثي أخاه
عروة، وقد سلم ولده خراش:

حمدتُ إلهي بعدَ عروةَ إذ نجا ... خراشٌ، وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ
فوالله لا أنسى قتيلاً رزنته ... بجانب قوسى ما مشيتُ على الأرضِ
بل إنهما تعفو الكلوم، وإنما ... نوكلُ بالأدنى، وإن جلاً ما يمضي
ولم أدرِ من ألقى عليه رداءه ... سوى أنه قد سلَّ عن ماجدٍ محضِ
ولما قتل عروة ألقى عليه رجل من دارم رداءه.
وقول طرفة:

أبا منذرٍ أفيتت، فاستبقِ بعضنا ... حنانيك بعض الشرِّ أهونُ من بعضِ
وقال دعبل:

وإذا انقضى همُّ امرئٍ فقد انقضى ... إنَّ الهمومَ أشدهنَّ الأحداثُ
وقال أبو خراش من باقي تلك القصيدة يرثي عروة:

ولم يكُ مثلوجِ الفؤادِ مهيجاً ... أضاعَ الشبابَ في الريلةِ والخفضِ
ولكنه قد نازعته مخامصٌ ... على أنه ذو مرة، صادقُ النهضِ

يقول: لم يكن مثقلاً مقيماً في الدعة والأكل والشرب، ولكنه جاذبه الجوع، وكان إذا فُض بحقيقة لم
يكذب. ثم وصف سرعة انهزام خراش من القتل، وحسن نجائته وأصحابه:

كأنهم يشبثون بطائر ... خفيف المشاش، عظمه غيرُ ذي نحضِ

يبادرُ قربَ الليلِ فهو مهابذٌ ... يحثُ الجناحَ بالبسيطِ، أو القبضِ

يقول: هؤلاء الذين يعدون خلف خراش كأنهم يتعلقون بطائر. ومهابذ: جاد مسرع.

فقال خراش ولده يذكر مفره وسرعة النجاة من بني خزاعة:

رفوني، وقالوا: يا خويلد لا ترعُ ... فقلتُ: وأنكرتُ الوجوة: همُّ همُّ

تذكرتُ ما أين المفرُّ، وأني ... بعونِ الذي ينجي من الموتِ معصمُ
فوالله ما ربدأ أو علجُ عانةٍ ... أقبُّ، وما إن بين رملِ مصممُ
بأسرعَ مني إذ عرفت عديهمُ ... كأني لأولاهم من القربِ توأمُ
أوائل بالشدِّ الذليقِ، وحنني ... لدى المتن مشبوخُ الذراعين، خلجمُ
فلولا دراكُ الشدِّ ظلت حليلتي ... لدى المتن في خطابها، وهي أيمُ
فتسخطُ، أو ترضى مكاني خليفةً ... وكادَ خراشُ، يومَ ذاكِ، ييتمُ
وقل أبو خراش:

لما رأيتُ بني نفاثةَ أقبلوا ... يشلونَ كلَّ مقلصِ خنابِ
فنشيتُ ريحَ الموتِ من تلقائهم ... وكرهتُ وقعَ مهندي، قرصابِ
أقبلتُ لا يشتدُّ شدي واحداً ... علجُ أقبُّ، مسيرُ الأقرابِ
ورفعتُ ساقاً لا يخافُ عثارها ... وطرحتُ عني بالعراءِ ثيابي
وقال أبو خراش يرثي اخاه عروة:

لعمري لقد راعتُ أميمةَ طلعتي ... وإن ثواني عندها لقليلُ
تقولُ: أراه بعدَ عروةَ لاهياً ... وذلك رزءٌ، لو علمت، جليلُ
فلا تحسبي أني تناسيتُ عهدهُ ... ولكنَّ صبري، يا أميمُ، جميلُ
أبي الصبرِ أني لا يزالُ يهيجني ... ميتٌ لنا، فيما خلا، ومقبلُ
وأني إذا ما الصبحُ آنستُ ضوءهُ ... يعاودني قطعُ عليّ ثقيلُ
ألم تعلمي أن قد تفرقَ قبلنا ... خليلاً صفاء: مالكٌ وعقيلُ
ومن شعره:

وإني لأثوي الجوعَ حتى يملني ... فيذهبَ لم تدنسُ ثيابي ولا جرمي
أردُّ شجاعِ الجوعِ قد تعلمينه ... وأوثرُ غيري من عيالكِ بالطعمِ
مخافةً أن أحيا برغمٍ وذلةٍ ... وللموتِ خيرٌ من حياةٍ على رغمِ
ومات أبو خراش زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بنهشة حية. فقال قبل موته:
لعمركِ والمنايا غالباتُ ... على الإنسانِ تطلعُ كلَّ مجدِ
لقد أهلكتِ حيةً بطنِ أنفٍ ... على الفتیانِ ساقاً ذاتِ فقدِ

ذكر أبي جندب بن مرة

قال: قتل رجل من بني قردة، يقال له ناصرة بن رباب بن مؤمل الأسود بن مرة أخي بني جندب، فقال أبو جندب يرثيه:

فقدتُ بني لبني، فلما فقدتهم ... صبرتُ، فلم أقطع عليهم أباجلي
حسان الوجوه، طيب حجاتهم ... كريم ثاهم، غير لف المغازل
رماح من الخطي، زرق نصالها ... حداد نواحيها، شداد الأسافل
فلهفي على عمرو بن مرة، هفة ... ولهفي على ميت بقوسى المعافل
فتلت فتيلاً لا يخالفُ عدوة ... ولا سواة لا زلت أسفل سافل
أذلوه هذيلاً، يا ابن لبني، وجدعوا ... أنوفهم باللودعي الخلال
ومن شعرة:

وغربتُ الدعاء، وليس مني ... أنس بين مرّ، وذو ردوم
هنالك ناصري، وهم أرومي ... وبعض القوم، ليس بذي أروم
هنالك لو دعوت أتك منهم ... رجال بين أرمية الحميم
أرمية الحميم: سحابات شديديات القطر. الواحدة: رمى. والحميم: حر الصيف، وذلك أن سحاب الصيف
أشد بياضاً.

ومن شعر عروة:
سحّ من القوم، عريان أشاجعهُ ... خفّ النواشز منه، والطنائبُ

المعرقون من القواد

ومن الشعراء المعرقين من القواد والأمراء والوزراء

حمزة بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق، مولى خزاعة، لعبد الله أبي طلحة
الطلحات الجواد. وكان عبد الله بن خلف كاتباً لعمر بن الخطاب.
فالذين قالوا الشعر من الحسين بن مصعب أربعة على التوالي: طاهر بن الحسين، وعبد الله بن طاهر، وعبيد
الله بن عبد الله، وحمزة بن عبيد الله. ومن ولد عبد الله بن طاهر: محمد بن عبد الله، وسليمان بن عبد الله.
وطاهر بيت، وحمزة وأخوته معرقون.
ولم يدخل هؤلاء في غط الشعراء المتكسبين، ولكنهم قوم حظوا بالرئاسة والسياسة، وأحبوا الشعر وعدوه
أجمل فضائلهم. ول هؤلاء فضائل وتواريخ وسير وفتوح وعزائم وملك قد نطقت به التواريخ والسير. ومع
ذلك افتخروا بما أبانوا به عن فصاحتهم وبلاغتهم في الشعر والرسائل، وعلموا أن الملك يفنى، والفضائل
تبقى. وقد كان الشعر في ذلك الوقت شريفاً جليلاً. أما ترى الجوائز عليه من المائة ألف درهم إلى ما دون
ذلك؟ لأن شعراء ذلك الوقت كانوا يعزونه، ويأتون به في وقته، وكانوا كما يقال على الحقيقة شعراء. وفي
عصرنا كل من صح له الوزن والقافية ظن أنه شاعر، فمدح وتعاطى. فإذا وقفت على أشعارهم تجد
ألفاظها متداولة في الشعر، ومعانيها قد ملئت بها دواوين الشعراء. فلا تعثر منها على معنى بديع، ولا لفظ
ظريف، ولا طرز مبتكر، ولا أسلوب مبتدع. ويتعاطى أحدهم أنه ينظم في يومه قصيدة، فرخص الشعر

ودحض ورفض، وأصبح يتعاطاه من ليس من شكله، ويدخل فيه من يزري بالأدب وأهله، مع كثرة
منتحليه وقلة طالبيه، وكما قيل:
ومع الكسادِ يحانُ فيه، ويسرقُ

ذكر ذي اليمينين طاهر بن الحسين

لما دخل بغداد، وقتل محمداً الأمين، وجاء برأسه إلى المأمون، ونصب جثته، واستتر في مستتره، بلغه أن
إبراهيم المهدي عازم على الخروج للطلب بدم الأمين، واتصل به أن إبراهيم قال:
ألا إنما حزني عليك سجيةً ... وما عذرٌ مثلي أن يكون مقصراً
بكيك إذ قلّ النصيرُ، ولم أجد ... عميرةً وهن في العدو، فأثراً
واتصل بالمأمون. فيروى أن المأمون كان إذا رآه بعد ذلك قال: وجدتها بعد يا بن شكلة. وكانت أم إبراهيم
اسمها شكلة. فكتب إليه طاهر: عافانا الله وإياك من السوء، أما أنه قد كان يعز علي أن أكتب إلى رجل من
أهل الخلافة بغير الإمرة، ولكني ظننت بك، وتوهمت عليك أنك مائل بالرأي، مضيع بالهوى إلى الناكث
المخلوع. فإن يك ما ظننت بك كالذي ظننت بك، فكثير ما كتبت به إليك، وإن يكن غير ذلك فالسلام
عليك، أيها الأمير، ورحمة الله وبركاته. وقد كتبت إليك بأبيات:
ركوبك الأمر ما لم تبلُ فرصته ... جهلٌ، ورأيك بالأقحامِ تغريرُ
أقدرُ بدنيا ينالُ المخطئونَ بما ... حظَّ المصيينَ، والمغرورُ مغرورُ
تالله ما زالت الدنيا، وصاحبها ... يضحى سليماً، ويمسي وهو مقبورُ
فإن ظفرت مصيباً، أو هلكت به ... فأنت، عند ذوي الألباب، معذورُ
فاعمل صواباً، وخذ بالحزم ماثرةً ... فلن يدم لأهل الحزم تديراً
فإن ظفرت، على جهلٍ، ففزت به ... قالوا: جهولٌ أعانته المقاديرُ

وهذه أبيات رضية حسنة جداً، جزلة بما حكمة. وله أيضاً:
ملكْتُ الناسَ قهراً واقْتداراً ... وقتلت الجابرةَ الكبارا
ووجهتُ الخلافةَ نحو مرو ... إلى المأمونِ تبتدرُ ابتدارا
نصبتُ لا المنايا فاستدارت ... لقاحاً، بعد ما كانت نوارا
حبيتُ المترفَ المخلوعَ حتى ... نسجتُ من الدماء له إزارا
هتكتُ حجابهُ، وسريتُ عنه ... رداءَ الملك ذلاً واقتسارا
فتكتُ به برغم بني أبيه ... ولو نطقوا لصاروا حيث صارا
أصمُّ عن العتاب، ويزدهيني ... قراعُ الخيلِ، إما النقعُ ثارا
وكان طاهر، مع جودة شعره، ظاهر البلاغة. ولما قتل علي بن عيسى بن ماهان، كتب إلى المأمون بخطه:
كتابي إلى أمير المؤمنين، أطل الله بقاءه، من مضرب ابن ماهان، ورأسه بين يدي، وخاتمه في إصبعي.

والسلام. ولما قتل الأمين ما في الكتاب الآن إنشاء رسالة، لتعرض على طاهر، فيكتب ما يستحسن، فدعا بكتابه، وقال: اكتب: أما بعد، فإن المخلوع، وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرق بينهما حكم الكتاب في الولاية والحرمة، لمفارقته وفيه عصمة الدين، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين. يقول الله عز وجل في حق نوح وابنه: " يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح " ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وكتابي إلى أمير المؤمنين، وقد قتل الله المخلوع، ورداءه رداء عمله ونكته، وأحمد لأمر المؤمنين أمره، وأنجز له ما كان ينتظر من صدق وعده، والحمد لله رب العالمين.

ولما قدم المأمون مدينة السلام ولى طاهراً خراسان، وصار إلى سمرقند، فصعد المنبر فحمد الله، واثني عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه، ثم قال: من كان أقلته خوف، أو أرقه جور، فهذا أوان العدل، فلينم. فلما تمكن بخراسان، جعل إبراهيم بي المهدي وغيره يحضون المأمون على قتله، ويجذرونه غائلته، فهم المأمون بالإيقاع به، وإعمال الحيلة عليه. فاتصل به بعض ذلك، فقال:

عتبتُ على الدنيا، فجفتُ ضروعها ... فما الناسُ إلا بين راجٍ فعافٍ
وأصبحتُ في دهرٍ، كثيرٍ صروفه ... كأني فيه من ملوكِ الطوائفِ
قتلتُ أميرَ المؤمنين، وإنما ... بقيتُ فداءً، بعده، للخلائفِ
وقد بقيت في أمِّ رأسي فتكةً ... تكونُ لحزماً، أو لرأيٍ مخالفٍ
فاتصل شعره بالمأمون، فأظهر خلاف ما كان عزم عليه.

ذكر أبي العباس عبد الله بن طاهر

أجمع الرواة أن عبد الله بن طاهر أشعر من أبيه. وكان المأمون يدعي تربيته، ويسميه غرس يدي. وكان ذا بأس ونجدة وسخاء وحلم. ومن شعره:

إذا أنا لم أقضِ الحقوقَ، ولم تكن ... تغولُ يدا جودي العقيلة من مالي
فلا كان لي مالٌ، ولا زلتُ معدماً ... فأحسنُ من بخلٍ على الناسِ إقلالي
دعي عنك لومي يا أميم، وأيقني ... بأنَّ قضاء الحقِّ مني على بالي
يلوموني أن أكسبَ الحمدَ والثنا ... بهذا الحطامِ الزائلِ التافهِ البالي
لهجتُ بأبياتِ امرئ القيسِ هذه ... فأكثرنَ إسراجي وحطي وترحالي
فلو أن ما أدعي لأدني معيشةً ... كفاني، ولم أطلب، قليلٌ من المالِ
ولكنني أسعى لمجدٍ مؤثلي ... وقد يدركُ المجدَ المؤثلاً أمثالي
وله أيضاً:

واعجبني من فتى، شبيبته ... في عنفوانٍ وماؤها خضلُ
وهو مقيمٌ بدارٍ مضيعةٍ ... طباعه، في امتحانه، الفشلُ
راضٍ بقوتِ المعاشِ، متضعٌ ... على تراثِ الآباءِ يتكلُّ
لا حفظُ الله ذاك من رجلٍ ... ولا رعاة، ما حنتُ الإبلُ

كلا، وربِّي حتى يكون فتىً ... قد محنتهُ الأسفارُ والرحلُ
تغدو به همّةٌ تنازعهُ ... وطرفهُ بالسهادِ مكتحلُ
تحالهُ المرهفَ الحسامَ إذا ... همَّ بأمرٍ لم يشنه الكسلُ
نال بلا ذلّةٍ، ولا ضرعٍ ... ولا بوجهٍ تقودهُ الحيلُ
إلا بعضبٍ أومتُ بشقوتهِ ... كفُّ تمطى به فتىً بطلُ
فتاةٌ طولاً على السيوفِ، كما ... أدبها في الجماجمِ العملُ
أعلتُ له ذكرهُ فكافأها ... ما إن تولتُ في طغوها القبلُ
حتى متى تخدمُ الرجالَ، ولا ... تخدمُ يوماً، لأمكّ الهبلُ
متى يرجى الغنى، إذا نزلتُ ... بعقوتيكِ الأسقامُ والعللُ
ومما يستحسن من شعره:

فتىً إذا ما الحربُ قامت به ... قامَ مقامَ الأسدِ الوردِ
تحسبهُ عبداً لأخوانه ... وليس فيه خلقُ العبدِ
قال: وأخذه من قول عروة بن الورد:
وإني لعبدُ الضيفِ ما دامَ ثاوياً ... وما فيّ إلا تلكَ من خلقِ العبدِ
وقال الآخر:

مخدمون، كرامٌ في مجالسهم ... وفي الرحالِ، إذا صاحبهم، خدمُ
وما أجالسُ من قومٍ فأذكرهم ... إلا يزيدهم حباً إليّ همُ
وقال آخر:

لعمري أليك الخيرُ إني لخدمٌ ... صحابي، وإني، إذ ركبْتُ، لفارسُ
وإني لعبدُ الله من غير ريبةٍ ... وحاميتهمُ بالسيفِ، والدين قابسُ
وقال الآخر:

عبيدُ أخوانهم، حتى إذا ركبوا ... يومَ الكريهةِ، فالآسادُ في الأجمِ
وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى، ومما يستحسن من شعره في الغزل:
نحنُ قومٌ تديننا الأعينُ النج ... ل، على أننا نذيبُ الحديدِ
وترانا عندَ الكريهةِ أحرأ ... رأ، وفي السلمِ للغواني عبيدا
تملكُ البيضُ، ثم تملكنا البي ... ض الرقيقاتُ أوجهاً وخدودا
لا نصدُّ الوجوهَ من خشيةِ المو ... ت، ونخشى من الغواني صدودا
أخذ هذا المعنى الحديثين فقال:

تقتنصُ الآسادُ من غيلها ... وأعينُ الغيدِ لها صائدةُ
ينبو الحسامُ العضبُ عنا، وقد ... تقدحُ فينا أعينُ قاصدةُ

تهابنا الأسد، ونخشى المها ... أبدة ما مثلها أبدة

ومن هذا قول صريع الغواني:

نبادرُ أبطالِ الوغى فنبيدهم ... ويقتلنا، في السلم، لحظ الكواعبِ
وليست سهامُ الحربِ تعني نفوسنا ... ولكن سهامُ فوقتُ بالحوجبِ
ومن هذا:

فيا عجباً أنَّ الليوثَ تهابنا ... وتلعبُ بالألبابِ منا الجآذِرُ
ومات عبد الله بن طاهر وهو ابن ثمان وأربعين سنة. ومن جيد قصائده:
سحابُ الصبي عنا جميعاً تقشعا ... فأورقَ عودُ الحلمِ فينا، وأينعا
خليلي قد بان الشبابُ، وأصبحتُ ... ديارُ التصابي والذذاذةِ بلقعا
عنيتُ زماناً بالشبابِ، ولم أزلُ ... بجدته، قبل المشيبِ، ممنعا
فلما تفرقنا كأنَّ الذي مضى ... من العيشِ لم ننعَمْ به ليلةً معا
وعاذلةً هبت بلبيلِ تلومني ... على أربع، أكرمُ بما هنَّ أربعاً
رأتني أهينُ المالَ في طلبِ العلي ... وأبذله للضيفِ جاءَ مروعا
وأغضي على أشياء، مما تربيني ... ولو شئتُ غصَّ المرءُ بالماءِ مجرعا
وأركبُ حدَّ السيفِ في حومةِ الوغى ... إذا لم أجدُ إلا إلى السيفِ مفرعا
وأسحبُ ذيلي في الرخاءِ بخردٍ ... حسانِ، كنظمِ الدرِّ لما ترصعا
فيوماً تراني في شبابٍ أجرها ... ويوماً تراني في الحديدِ مقنعا
أعاذلُ من لم يبذلِ المالَ في العلي ... يكن لتي يسمو إليها مطيعا
فلستُ بيدع في سموي إلى العلي ... ورفضني دنياي الأمورِ ترفعا
أبي رجع الإسلامَ غضاً لأهله ... وقد مالَ ركنائهُ، بهم، وتضعضعا
وآبَ على مخلوعها بمصمم ... فطارَ من الدنيا جناً مفرعا
عشية ألقى الموتَ بالخلدِ بركه ... ولله يوم كان ما كان أشعنا
وكان حسينٌ لا كفاءَ لفضله ... وجدُّ أبي كان الرئيسَ المشيعا
أولئك أصلُ، لم تخنه قرومه ... ولم يلدوا إلا همأماً سميدعا
أعاذلُ من لم يغض عيناً على قدى ... يعيشُ واحداً في الناسِ، حتى يودعا
ومن مرثي عبد الله قوله يرثي أخاه:

من ذا يساعدي على الدهرِ ... أم من يعينُ بعبرةٍ تجري

دهرٌ غدا من غيرِ مآثرةٍ ... عندي، ولا نبلٍ، ولا وترٍ

إلا تكن ترةً لديك له ... فلقد رماك بقاصمِ الظهرِ

فعدا على كهفِ الأنامِ، إذا ... ما ضنَّ عنا الغيثُ بالقطرِ

عمتُ مصيبتُهُ، ولا جليلٌ ... ما عمَّ أهلَ البدوِ والحضرِ

ولقد يكونُ وحولهُ عصبٌ ... كالليثِ وسطَ مزاعمِ غيرِ
لا يسأمونَ، ولا يرونَ لهم ... حصناً، سوى الهنديِّ، والصبرِ

فمضى وقلبي له ألمٌ ... متوقِّدٌ كنوقدِ الجمرِ
عجباً لأرضٍ كان يسكنها ... ولقد يضيقُ بجوده الغمرِ
حتى إذا أودى به حدثٌ ... وارتتهُ عنا ظلمةُ القبرِ
لا كالحسينِ فما لصاحبهِ ... وشجى لأهلِ النكتِ والغدرِ
يا ابن الجحاجةِ الذين مضوا ... فضلوا الأناجَ بأحسنِ الذكرِ
الواهبينَ طريفَ ما لهم ... وتليدهُ في العسرِ واليسرِ
يسقونَ ضيفهمُ الحليبَ من ال ... لأدمِ الغزارِ، مواترَ الدرِّ
حتى إذا ضنتِ بدرتها ... درتُ لضيفهمُ من النحرِ
وهمُ الملوكةُ على الأناجِ، وهم ... أهلُ القبابِ، وساسةُ الأمرِ
فورثتِ صالحَ ما حووا، ولقد ... زيتُ ذاكِ بأطيبِ الخبرِ

ذكر أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

كان عبيد الله أغزر القوم شعراً، وأكثرهم بيتاً نادراً، وله أشعار قديمة، أيام أبيه، وكان له بنون يقولون
الشعر كلهم، منهم: محمد وسليمان. وقال:

وإني لأعطي كلَّ أمرٍ بقسطه ... إذا الخطبُ عن حزمِ الرويةِ أجهضاً
فأستعجبُ الأحبابِ، والحدُّ ضارِعٌ ... وأستعجبُ الأحبابِ، والسيفُ منتضى
وقال في ابن له سماه يحيى فاخترم:
وسميتهُ يحيى ليحيا، فلم يكنُ ... لردِّ قضاء الله فيه سبيلُ
تيمنتُ فيه الفألَ لما رزقتهُ ... ولم أدر أنَّ الفألَ فيه نبيلُ
وله أيضاً:

وإني لأعفى ما أكونُ، إذا اعتلتُ ... بالانتقامِ أناملي وذراعي
والناسُ يلزمُ أن يكونَ أمنهمُ ... بالعفوِ أقدروهم على الإيقاعِ
وقول الأخطل:
شمسُ العداوةِ، حتى يستقادَ لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدرُوا
وقال أيضاً:

إذا بلغَ المكروهُ أقصى حدودهم ... ولم تكُ فيه حيلةٌ لحاولِ
فهبهُ، إذا، كالموتِ، واجعل أشدهُ ... كأهونه، وافترعْ إلى صبرِ عاقلِ
وله أيضاً:

ألم ترَ منْ تذوي عليه يمينه ... فيقطعها عمداً، ليسلمَ سائرهُ
فكيف ترأهُ بعدَ يمينه فاعلاً ... بمنْ ليس منه حينَ تذوي سائرهُ
وله أيضاً:

ليسَ في كلِّ حالةٍ وأوانٍ ... تنهيا صنائعُ الأخوانِ
فإذا أمكنتُ تقدمتَ فيها ... حذراً منْ تعذرِ الإمكانِ
وهذا المعنى مأخوذ من قول الأول:

وما كلُّ حينٍ يسعدُ الدهرُ أهلهُ ... ولا يمكنُ المعروفُ أهلُ التواصلِ
وما الناسُ إلا حالةٌ بعدَ حالةٍ ... فمهما ترد من فعلٍ خير، فعاجلِ
وقال في الغزل:

حمى الأعمى علينا الوصلُ فانفقتُ ... أسرارنا، فتقاطعنا بإعلانِ
وحسبنا أن تراضينا على ثقةٍ ... بجفوةٍ، فنواصلنا بهجرانِ
وله أيضاً:

تريدين أن أرضى وترضى، وتمسكي ... زمامي، ما عشنا معاً، وعناي
إذاً، فانظري الدنيا بعيني، واسمعي ... بأذني، وانظقي بلساني
وله أيضاً:

فبتنا على رغمِ الحسودِ، وبيننا ... حديثُ كريحِ المسكِ شبيتُ به الخمرُ
حديثٌ لو أنَّ الميتَ يجي بذكرو ... لأصبحَ حياً، بعدما ضمهُ القبرُ
وله أيضاً:

ولما رأيتُ البينَ قد جدَّ جدُّه ... وقد حانَ من ليلِ الفراقِ ركودُ
بكيتُ فأمطرنا دموعاً، سماؤها ... جفونُ عيونٍ، والبقاعُ حدودُ
أخذه من أبي تمام:

مطرٌ من العبراتِ خدي أرضه ... حتى الصباحِ، ومقلتناي سماؤه
وقال:

ومنتصبٍ لصبوحِ المدامِ ... نازعتُهُ الراحَ حتى المنجلُ
ومنجلٍ بنعاسِ الخمارِ ... نازعتُهُ الراحَ حتى اعتدلُ
وله أيضاً:

يا صاحِ هلا زرتنا في مجلسٍ ... حضرَ السرورُ به، فنعمَ الحاضرُ
زمنُ المغني فيه من إحسانه ... والكأسُ دائرةً، وغنى الزامرِ

ذكر محمد بن عبد الله ابن طاهر، ابي العباس

كان محمد شعراً دون شعر أبيه. إنما كان بليغاً في التوقيعات والرسائل، وكان يعرف النجوم معرفة حسنة. ومرض مرة، فلم يعه أخوه، فكتب إليه:

إني رأيتُ على سلو ... لك من فعالك شاهداً
إني اعتللتُ فما فقد ... ت، سوى رسولك، عانداً
ولو اعتللت، ولم أجد ... شيئاً إليك مساعداً
لاستشعرت عيني الكرى ... حتى أزورك راقداً

فكتب إليه عبيد الله:

كحلتُ مقلتي بشوكِ القتاد ... لم أذق، مذحمت، طعم الرقادِ
يا أخي الحافظ المودة، والنا ... زل من مقلتي مكان السوادِ
منعني، الغداة، رقة قلبي ... من دخولي عليك في العوادِ
لو بأذني سمعتُ منك أنيناً ... لقطع مع الأنين فوادي
وهذا المعنى مأخوذ من قول محمد بن مسعود البجلي، حيث يقول:
لا تلمني إذا لم أعدك، فإني ... لم تطق أن تراك عيني مريضاً
ودخل سوار بن عبد الله القاضي على محمد بن عبد الله فقال:
لنا حاجة، والعذر فيها مقدم ... خفيف معلاها، مضاعفة الأجرِ
فإن تقضيها، فالحمد لله وحله ... وإن عاق مقدار، ففي أوسع العذرِ
وأعلم أن الله معطي ومانع ... وللنجاح أسباب بما قدر يجري
فقال محمد بن عبد الله بديهاً:

فسلها، تجدني موضعاً لمكانها ... سريعاً إليها، لا يخالجي فكرُ
وإني لذو جودٍ عليك بضعفها ... وإن لم يكن فيما حوته يدي شطرُ
فهذا قليل في الذي قد رعيتُه ... بحقك، لا من عليك، ولا فخرُ

فقال القاضي: أريد كتاباً إلى موسى بن عبد الملك في تعجيل أرزاقِي. قال: أوخير من ذلك أعجلها من مالي، وأكتب إلى موسى، فإذا وصلت كنت محيراً في ردها أو أخذها. قال: وأنت والله يا أمير كما قال القائل:

فبابك ألين أبواهم ... ودارك مأهولة عامرة

وكفأك أندی من المع ... صرات في الليلة الشجة الماطرة

وكهك ألف بالمعني ... ن من الأم بابنتها الزائرة

فمنك العطاء، ومنا الث ... ناء بكل محبرة سائرة

ومن قصائده المختارة التي ذهب فيها مذهب العرب، واستطرف قافيتها ورويتها، وهذب ألفاظها:

يا من لصب أصاب مقلته ... بين مشت، بالأمس، حم له

فشفه هم، وكابد من ... حنوس ليل التمام أطولة

ولم تذق عينه الرقاد إلى ... أن شقَّ نور الصباح عيطة
لما تقضى بالهمَّ آخره ... أعادَ ذكر الفراقِ أوله
وباتَ يرعى النجومَ مرتفقاً ... قد غره دمعُه فأهمله
فأهملَ كالغربِ أعملوه ... وقد أوهت يمينُ الصناعِ أسفله
يجري على الخدِّ والسوالف حتى ... غاص في ثوبه فبلله
ما كان أهأه قبل ذلك، وما ... كان بقرب الحبيبِ أجذله
فإن يكن حادثُ الزمان رمى ... الجسمَ بخطبٍ، تراه أنحله
وأصبح الشيبُ في المفارق قد ... غالَ قناع الصبا، وبدله
كما حدا الليلَ بعدَ عسعسةٍ ... ضوءُ نهارٍ بدا، فرحله
فقد ترى الخردَ الحسانَ به ... يطفنَ أو يقتربنَ منزله
يلهيه منهنَّ من يشاء ومن ... شاءَ بحلو الحديثِ علله
يقلنَ جهراً، وفي الضمائر ما ... أحسنَ هذا القتي، وأجمله
لو لم تبنرُ كفاه ما حوتا ... ولم يباشرُ في البأسِ أهوله
أردنَ نصحاً فيما كرهنَ له ... ولم تكنَ نفسه لتقبله
لن يدركَ المجدَ من يحاوله ... حتى ينالَ الغنى فيبدله
ويرهبُ المعتدونَ صولته ... ورحمته، في الوغى، ومنصله
إن يعمهم من خطوب دهرهم ... يكفيهمُ الرأي منه مفصله
فيحمدُ المعتقونَ نائله ... والخائفُ المستجيرُ مائله
يا ربَّ غيثٍ قد بتُ أرقبه ... أشتمُّ من برقه تملله
كأما لمعه مهندُ ذي ... طائلةٍ سلته، فأعمله
وخلته، والعراقُ مهبطه ... يضيء من ليل نجدِ ليله
ورعدُه إذ دنا له رحلٌ ... كجندل الطود، هدَّ جندله
ما زال نوءُ السماءِ يجمعه ... حتى إذا ما استتمَّ، أسبله
فأمرعَ الناسَ والسوامَ حياً ... أحى به الله حين أنزله
ثم اغتدينا للصيِّد، حيثُ سقى ... من طفِّ أرض القرى فأخضله
بأعوجيِّ في عطفه أرناً ... أدمج في خلقه، فأكملة
صافي أديم الأهاب تعرفُ من ... ذي العنق، في حده، تسهله
فهو كأثفيةٍ ململمةٍ ... لا عيب فيه لمن تأمله
تراه يوم الرهان من زمعٍ ... بيدي استماع الصهيل أو كله

وإن تراه والخيل في قورٍ ... سمعتَ بين الضلوعِ أزملةُ
مجاهد الصيّد، مبتغيه به ... ولم يضائلُ شخصاً ليختلهُ
كأنما كنَّ إذ دعونَ به ... قطعاً تراءت بالجوِّ أجدلهُ
وكفه بالعنان قابضةً ... ليبصر القصد، ثمَّ أرسلهُ
فبلَّ شأوَ الجواد في طلقٍ ... ظليمه راغماً، ومسحلهُ
والناشط المستطير بعدهما ... ألحق حدُّ السنانِ مقتلهُ
والظيُّ لما شأه أدركه ... بالعفو من جريه، فجدلهُ
فكلهم لم يبلِّ بمهجته ... ولم يفت جهده تمهلهُ
عفرَ منها الوجوه فارشةً ... من قبل، بلِّ الحميمِ أطلهُ
بذي غرانين كالهلال إذا ... خالط عضواً، أبان مفصلهُ
يعله من نجيعه دفعاً ... من بعدما كان منه أهلهُ
وراح والغاياتُ قد خضبتُ ... بالدمِ أرساغه وأكحلهُ
ومن مختار غزله ومليح تشبيبه:

وأحورَ مسترخي الجفون كأنه ... به سنّة، أو قد أطاف به السكرُ
له وجنات من بياض وحمرةٍ ... فحافاتها بيض، وأوساطها حمراً
رقاقٌ يجولُ الماء فيها كأنها ... زجاجٌ تلالا في جوانبها الخمرُ
تروقُ عيونَ الناظرين نعوتهما ... ويجرحها، في نورها، النظرُ الشزرُ
وله أيضاً:

أما عجيبي مني وقوفي على الدهر ... وطول انتظاري في الهوى دولة الصبرِ
أكاتم حبيبها، مخافة هجرها ... فقد خفتُ منه أن أموتَ ولا أدري
أراني سأبدي عند أولِ سكرةٍ ... هواي إليها في سكونٍ وفي سترِ
فإن رضيت كان الرضا سببَ الهوى ... وإن سخطتُ مني أحلتُ على السكرِ

ذكر سليمان بن عبد الله بن طاهر

لم تكن له قصيدة طويلة، وإنما كانت له مقطعات حسنة. منها يصف جارية مغنية، وهي أبيات مشهورة ما رأيت أحداً يعرف قائلها:

جاءت بوجه كأنه قمرٌ ... على قوامٍ كأنه غصنُ
غنت فلم تبقَ في جارحةٍ ... إلا تمنتُ أنما أذنُ
وله أيضاً:

ما استضحك الطيبُ إلا عن تراقيكِ ... ولا بدا الحسنُ إلا في نواحيك
من مقلتيك رأينا الحسنَ مبتسماً ... زهواً، كما ابتسم الأغريرُ من فيك

يا منية النفس ردي غير صاغرة ... علي قلباً ثوى رهناً بحبيك
ما استحسنت مقلتي شيئاً فأعجيني ... إلا رأيتُ الذي استحسنته فيك

أسماء شعراء الكتاب

وما يختار من اشعارهم

لم يكن للكتاب: ، في صدر الغسلام، كبير حظ في الشعر ولا في ايام مروان، لأن عبد الملك كان كاتباً
لعاوية، وزيدا كاتب المغيرة، وعمرو الأشدق كاتب المدينة، وقبيصة بن ذؤيب كاتب عب الملك، والحسن
البصري كاتب الربيع بن زياد، ومحمد بن سيرين كاتب أنس، والشعبي كاتب عبد الله بن مطيع، وسعيد بن
نصير كاتب عبد الله بن عروة، وعبد الحميد كاتب مروان. هؤلاء الكتاب المعروفون. وإنما لم يكثر الكتاب
من الشعر والبلاغة إلا في ايام بني العباس، وصل الله أيامهم بيوم الساعة، وفرض لهم على الخلائق أجمعين
صدق الإخلاص ومحض الطاعة، خصوصاً على أغزهم جوداً، وأنجزهم وعوداً، واشدهم قوة، وأوفرهم
مروءة، سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين، الذي أصبحت أيامه في وجه الدهر غرة شادخة، وخلافته في
الإسلام عزة باذخة، وإمامته لبني العباس رتبة شامخة، وكما قلت فيه:

كسا بني العباس كل مفخر ... أسلف منه رحمةً للسلف
وأكرم القوم الألى من هاشم ... لما سما أشرفهم للشرف
أعطى، إلى أن قال جودُ كفه ... كف، فقد جاوزت حدَّ السرف
تمشي عفاة برةً جائزة ... بما حباها، لتعود تقنفي

ولي فيه:

خليفةً من بني العباس ما تركت ... آلاؤه مفخرًا ينمى إلى أحد
وكلما ازداد إنعاماً، يقول له ... علو همته في المكرمات: زد
وفيه أيضاً:

روت الخلافة عنه كل فضيلة ... بيد الكرام الكاتين تبجل
ما زينته وإنما هو لها ... وكذا المليحة للحلي تجمل
وفيه أيضاً:

قرشيٌّ نمأه من محتد العب ... اس فرغ يعلو به كيوانا
كل جدُّ يروي الخلافة عن جد ... د، فيرضي النبي والرحمانا

شرفوا دهرهم، وشرفهم من ... هم إمامٌ قد شرف الأيماننا
لو رأوه صلوا عليه، وألقو ... ه إماماً يدعوته مولانا
فلهذا أجنى لهم ذكر فخرٍ ... قد غدا، في كتابهم، عنوانا

وفيه أيضاً:

قسماً لو رأته يوماً قريشاً ... فضلتُه على بني البطحاء
أو أتاهم يومَ السقيفةِ لم يل ... تفً للعنبرِ سعدُها بكساءٍ
وفيه أيضاً:

يروى الخِلافةُ فيه عن آبائه ... بأصحِّ إسنادٍ، وعن أعمامه
أعطى إلى أن لم يدع في عصره ... ذا فاقَةَ شكواه من إعدامه
وإذا حبا البحرُ السحابَ بمائه ... فغلامُهُ يعطي الندى لغلامه
تجدُ العفاةَ ببابه، فتظنهم ... من كثرةِ الإكرامِ من الزامه
فمن شعراء الكتاب من كان شعره حسناً، وله سعادة. ومنهم من كان شعره جيداً، وكان متجماً. ومنهم
من جمع بين السعادة وجودة الشعر. فمنهم من ذكره في هذا الباب، في دولة بني العباس: يعقوب بن الربيع،
وغبراهيم بن العباس الصولي، وسعيد بن حميد، وأحمد بن يوسف، والحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك،
والحسن بن رجاء، وجابر بن يزيد الكاتب، وإبراهيم بن المدبر، وعلي بن يحيى.

ذكر يعقوب بن الربيع

كان يعقوب شاعراً حلواً، طريفاً، مقبولاً. وأكثر شعره، الذي اشتهر عنه، ما رثى به ملك جاريته. ولها وله
قصة عجيبة، وحكاية غريبة. وذلك أنه هوى جارية اسمها ملك، هوى كاد يتلفه. وبقي سبع سنين يجتهد في
تحصيلها، ويبدل في ثمنها كل ما يقدر عليه، فلا يتهيأ له. فلما رأى أهله ما يحل به، ويقاسي من البكاء
والحزن، عدلوه ولاموه، ثم حثوه على مداومة اللهو ومعاقرة الشراب، والتسلي بغيرها، لعسى يجد في ذلك
بعض سلو وراحة مما هو عليه من عذاب المحبة. فأجاب إلى ذلك أياماً، فما رؤي يزداد إلا غراماً على
غرامه، وهياماً على هيامه. فترك ذلك، ورفض اللهو والشراب، وقال:

زعموا أن من تشاغل بالله ... و، سلا عن حبيبهِ، وأفاقا
كذبوا، ما كذا بلونا، ولكن ... لم يكونوا، فيما أرى، عشاقا
كيف شغلي بلذةِ عنكِ، واللذ ... اتُ يحدثن لي إليك اشتياقا
كلما رمت سلوةً، تذهبُ الحر ... فةً، زادتُ قلبي عليك احتراقا
وله أيضاً:

زعموا أن من تشاغل باللذ ... اتِ عمن يحبه يتسلى
كذبوا، والذي تقادُ له البد ... ن، ومن طاف بالحجيج وصلّى
لرئيسِ الهوى أحرُّ من الجم ... ر على قلبِ عاشقٍ يتقلّى
والناس في طريق السلو على اختلاف. فمنهم من زعم أن التشاغل يسلي، ومنهم من زعم أن الأسفار
وإدمان السير يسلي، ومنهم من زعم أن قطع الرجاء واستعمال اليأس يسلي ومنهم من زعم أن العاشق إذا
تسلى بمن يماثل محبوبه، أو يماثله ويشغل قلبه بمحجوب آخر يتسلى. وسنذكر في ذلك ما يسبح.

فمن صرف الهوى إلى غير من يهوى، زعم أن ذلك زاد غرامه وصبايته، وهيح شوقه وكآبته. وقال دعبل:
ولما أبى إلاّ جاحاً فؤاده ... ولم يسأل عن ليلى جمال، ولا أهل
تسلى بأخرى غيرها، فإذا التي ... تسلى بما تغري بليلى، ولا تسلى
وقال الآخر خلاف ذلك:

ولما رأيتك خوانة ... ترين القبيح فعلاً جميلاً
تسليتُ عنك بما لا أحبُّ ... ودبّ السلو قليلاً قليلاً
وقال الآخر:

سألتُ المحينَ الذينَ تكلفوا ... تكاليفَ هذا الحبِّ في سالفِ الدهرِ
فقالوا: شفاءُ الحبِّ حبُّ يزيله ... لآخر، أو نأى طويلاً على بحر
وقال الآخر:

إذا ما شئتُ أن تسلو حبيباً ... فأكثرُ دونه عددَ الليالي
وقال الآخر يرد ذلك:

وقد زعموا أنَّ أحبَّ إذا دنا ... وأنَّ النأى يشفي من الوجدِ
بكلِّ تداوينا فلم يشفَ ما بنا ... على ذلكِ قربُ الدارِ خيرٌ من البعدِ
فقال دعبل يرد ذلك:

فلا البعدُ يسليني، ولا القربُ نافعي ... وفي الطمع الأذنأ، واليأسُ لا يبيري
وقال الآخر:

تداويتُ من ليلى بليلى من الهوى ... كما يتدوى شاربُ الخمرِ بالخميرِ
يقولونَ عن ليلى صبرتَ، وإنما ... بي اليأسُ من ليلى، وما بي من صبرِ
وقال الآخر، وهو مليح:

فإنَّ تسلُّ عنك النفسُ، أو يذهلُ الهوى ... فباليأسِ أسلو عنك، لا بالتجلدِ
وقال الحارث بن حلزة:

ويئستُ مما قد شغفتُ به ... منها، ولا يسليك كاليأسِ
وقال الآخر يرد هذه الأقاويل:

أرى الألفَ يسلو للتنائي وللهوى ... ولليأسِ، إلاّ أنني لستُ ساليا
وقال الزبير بن بكار:

ولما بدا لي أنها لا تحبني ... وأنَّ فؤادي ليسَ عني بمنجل
تمنيتُ أنْ تهوى سواي، لعلها ... تذوقُ حراراتِ الهوى، فترقُّ لي

ثم قال الآخر: طرقتنا إلى السلو وبرد الأكباد من الغرام والاكتئاب، وكأنه أصاب في هذا الباب:
شفاءُ الحبِّ تقبيلٌ وضمٌّ

وقال بعض أهل العصر:

والله ما يشفي الحبّ ... سوى اعتناقٍ والتزامٍ

ودوامٍ ما تختاره ... حتى تملّ من الدوامِ

رجعنا إلى قصة يعقوب بن الربيع وقصة ملك، التي كان يهواها. قال: فلما جاوز السبع سنين ظفر بها، فلم تلبث عنده إلا ستة أشهر، ثم ماتت. فنال من الحزن والجزع عليها أكثر مما كان يلقاه من حبها. فما رثاها به قوله:

إنما حسرتي، إذا ما تفكر ... ت، عنائي بها، وطولُ طلاي

لم أزل في الطلابِ سبعِ سنينٍ ... أتأتى لذكّ من كلّ بابٍ

فاجتمعنا على اتفاقٍ وقدرٍ ... وغينا، من فرقةٍ، باصطحابِ

أشهرٍ ستّةٍ صحبك فيها ... كنّ كالحلم، أو كدمعِ السرابِ

فأتى في شعره بجملة خبره. وقال في شعرٍ آخر:

خلسَ الزمانُ أعزَّ مخلصٍ ... ويدُ الزمانِ كثيرةُ الخلسِ

لله هالكةٌ فجعتُ بها ... ما كانَ أبعدُها عن الدنسِ

أنتِ البشارةُ والنعيُّ معاً ... يا قربَ مأتمها من العرسِ

فشاركه في هذا المعنى جماعة. وألطف ما سمعت قول لبابة بنت علي بن المهدي، وكانت زوجة الأمين، فقتل ولم يدخل بها:

أبكيتُ لا للنعيمِ والأنسِ ... بل للمعالي والرمحِ والفرسِ

أبكي على فارسٍ فجعتُ به ... أرملني قبلَ ليلةِ العرسِ

ولإبراهيم بن المهدي يرثي ابنه أحمد:

بكيْتُ على أحمدَ المختلسِ ... بدمعٍ يردُّ مجاري النفسِ

وناديتُ في القبرِ جثمانه ... فلا الرمسُ ردّ، ولا المرتسُ

ويومٌ وفاتك يومُ الملاكِ ... ويومُ الختانِ، ويومُ العرسِ

ومن أجاد وبرز في وصف قرب الحياة من المات محمد بن حسان، في قوله يرثي ولده أحمد، وقد توفي طفلاً:

هبي لأحمدَ في الثرى بيتُ ... وخلا له من أهله بيتُ

فكأن مولده ومأتمه ... صوتٌ دعى، فأجابه صوتُ

ولحمد الأموي يرثي طفلاً له:

فطمتك المنون قبلَ الفطامِ ... واعتراك النقصانُ قبلَ التمامِ

بأبي أنتَ ظاعنٌ، لم أمتع ... بوداعٍ منه، ولا بسلامِ

ومن أحسن ما سمعت في هذا الباب للتهامي في طفل له:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره ... وكذا تكون كواكب الأسحار

وأحسن من هذا لابن رومي:

بني الذي أهدته كفاه للثرى ... فيا عزة المهدي، ويا خسارة المهدي
لقد قل بين اللحد والمهد لبته ... فلم ينس عهد المهدي، إذ ضم للحد
عجبت قلبي كيف لم ينظر له ... ولو أنه أقسى من الحجر الصلد
وهذا باب يطول. وقال يعقوب، أيضاً، يرثي ملكاً:

أمر بقبر فيه ملك مجانباً ... كأني لا أعنى بصاحبة القبر
أمر إذا جاوزته متلفتاً ... تلاحظه عيني، ودمعتها تجري
فلو أنني إذ حل وقت حمامها ... أحكم في عمري، لشاطرها عمري
فحل بنا المقدار في ساعة معاً ... فماتت ولا أدري، ومت ولا تدري
فإن تبقي الأيام للدهر لعبة ... فقد كنت، قبل اليوم، ألعب بالدهر
وهذا معنى مليح جداً. وقد تقدم في ذلك قول بشار:

الله صيرها وصورها ... لاقتك، أو أتبعها ترها
نصباً لعينك لا ترى نرها ... إلا ذكرت بها لها شبيها
إني لأشفق أن أؤخرها ... بعدي، وأكره أن أقدمها
وقول الآخر مطبوع:

لا مت قبلك، بل حيننا ... نكوي قلوب الحاسدينا
نجي جميعاً، والسرو ... رلنا جميعاً ما حيننا

فإذا المنية أقصدت ... كنا جميعاً ميتينا

ومن هاهنا أخذ محمد بن يزيد:

لا مت قبلك يا أخي، لا بخلة ... بالنفس عنك، ولا تمت قلبي
وبقيت لي، وبقيت منك كذا ... متمتعين بأجمع الشمل
حتى إذا حضر الحمام لبيتنا ... فرمى لمدة غاية المهل
متنا جميعاً، لا يؤخر واحد ... عن واحد، لحرارة النكل
وكفأك من نفسي شهيد صادق ... يا صاح إنك عندها مثلي

وحكى الأصمعي قال: عرضت على الرشيد جاريتان، فقالت الأولى منهما وسابقت: السابقون السابقون،
أولئك المقربون. ثم تقدمت الثانية فقالت: وللآخرة خير لك من الأولى، فاشتراهما لظرفهما. فقلت: يا أمير
المؤمنين أتأذن لي أن أفأكهما؟ قال: شأنك. فقلت لإحدهما: من أحسن عيشاً؟ قالت: من قنع ثن ساعده
القدر، فاستمتع بهواه قبل أن تخلفه الأيام. ثم أقبلت على صاحبتها لأسألهما، فقالت: يا بغيض، الجواب
واحد، والقلوب متفقة، ولا فرق بيننا، ونحن كما قال الشاعر:

نجي معاً، ومعاً نمو ... ت، ولا نموت، كذا، سريعاً

وكما اجتمعنا في الحيا ... ق، نفارقُ الدنيا جميعا
وله أيضاً فيها:

يا أعظمَ بليتٍ في قعرِ مظلمةٍ ... في حفرةٍ قد سلا عنا بواكيها
لو تسمعينَ دعائي لا استجبتِ له ... وهل تُحِبُّ عظامَ من يناديها
صوتٌ يناديك أن لو تعلمين به ... أغررتِ دعوتُهُ ألا تجيبها
هذا الذي كنتِ في الدنيا ضجيعتهُ ... لم تستعضُ نفسه إلفاً يسليها
وله أيضاً:

حتى إذا افتَرَ اللبانُ، وأصبحتُ ... للموتِ قد ذبلتُ ذبولَ النرجسِ
وتسهلتُ منها محاسنُ وجهها ... وعلا الأنيبَ تحتهُ بتنفسِ
رجعَ اليقينُ مطامعي يأساً، كما ... رجعَ اليقينِ مطامعِ المتلمسِ
فلما أكثرَ يعقوبُ المراثي وأفرطَ، وبقي لا ينام الليل، وقل أكله، وكثر جزعه، خيف عليه الهلاك. وكان
لملك رفيقة يقال لها طرب أنس بها، فاشتروها له، وأمرها بمداعبته وملازمته، ليسلو بها عن ملك. فكان
ذلك كما راموا، أن طرباً تمكنت من قلبه. فقال:

فجعتُ بملكٍ وقد أینعتُ ... وتمتُ، فأعظمُ بها من مصيبةِ
فأصبحتُ مغترباً بعدها ... وأمستُ بجلوانِ ملكٍ غريبةِ
أراني غريباً، وإن أصبحتُ ... منازلُ أهلي مني قريبةِ
حلفتُ على أختها بعدها ... فصادفتها ذاتَ عقل، أديبةِ
وقلتُ لها: مرحباً، مرحباً ... بوجهِ الحبيبةِ أختِ الحبيبةِ
سأصفيكِ ودي حفاظاً لها ... كذاك الوفاءُ بظهرِ المغيبةِ
أراكِ كملكٍ، وإن لم تكنِ ... لملكٍ من الناسِ عندي ضريبةِ

فلم تلبث، أيضاً، طرب أن لحقت بملك. فلقي جهداً، واشفى على الموت، وقال:

لقد سخنتُ عيني بملكٍ، وسهدتُ ... فما رقدتُ حتى وصلتُ سهادها
وكانتُ لنا ناراً توقدُ في الحشا ... فما خباتُ، حتى شبيتُ وقودها
أنستُ بروعاتِ المصائبِ بعدها ... وبعديك، حتى ما أبالي مزيدها
رأيتُ ثيابَ الناسِ في كلِّ مآتمٍ ... إذا اختلفوا، بيضَ الثيابِ وسودها
وإني على ملكٍ لبستُ ملاءةً ... من الحزنِ لم يبيل الزمانُ جديدها

قال مؤلف الكتاب: وجدت أبا الحسن محمد بن عبد الله الموصلي، مؤلف كتاب أصناف الشعراء قد أظنب
في وصف بيت واحد في هذه القطعة، وهو:

أنستُ بروعاتِ المصائبِ بعدها ... وبعديك، حتى ما أبالي مزيدها
وذكر أنه من نادر الشعر، مع ما فيه من الجرالة والرقة. وللخنساء في معنى هذا البيت، ولليلي الأخيلية،
ولخرنق بنت هفان، وعقيل بن علقمة. فأما الخنساء فقالت:

وقاتلة، والنفسُ قد فاتَ خطوها ... لتدركه: يا لهفَ نفسي على صخرِ
ألا هبلتُ أمّ الذينَ اغتدوا به ... إلى القبرِ، ماذا يحملونَ إلى القبرِ
فشأنُ المنايا إذ أصابكَ ربيها ... لتغدو على الفتیانِ بعدك، أو تسرى
وقالت ليلي الأخيلية ترثي توبة:
فأقسمتُ أبكي بعدَ توبةٍ هالكاً ... وأحفلُ من دارتُ عليه الدوائرُ
وقلت خرتق ترثي زوجها بشراً:
فلا، وأبيك، آسي بعدَ بشرٍ ... على حيٍّ يموتُ، ولا صديقٍ
وقال عقيل:

كأنّ المنايا تبغي في خيارنا ... لها ترة، أو تتهدي بدليل
لنأتِ المنايا حيثُ شاءتُ، فإنها ... محللةٌ بعدَ الفتى بن عقيل
فتى كان مولاهُ يحلُّ بنحوه ... محلّ الموالى بعده بمسيل
أخذ هذا المعنى جماعة، منهم الأحنف، فقال:
لئن كانتِ الأحداثُ أطولنَ عبرتي ... لفقدك، أو أسكنَّ قلبي التخشعا
لقد آمنتُ نفسي المصائبَ كلها ... فأصبحتُ منها آمناً أن أروعا
فما أتقي للدهرِ، بعدك، نكبةً ... ولا أرتحي للدهرِ، ما عشتُ، مرجعا
فسلمَ على اللذاتِ، واللهو، والصبي ... تولى بها ريبُ الزمانِ فأسرعا
فأخذه ابن المقفع، فقال يرثي أبا عمرو بن العلاء:
رزينا، أبا عمرو، ولا حيٍّ مثله ... فله صرفِ الحادثاتِ بمن يقعُ
فإن تكُ قد فارقتنا وتركتنا ... ذوي خلةٍ ما في السوادِ لها طمعُ
فقد جرَّ نفعاً فقدنا لك، أننا ... أمنا على كلِّ الرزايا من الطمعِ
وأخذ هذا يعقوب بن الربيع فقال:

لئن كانَ قربكَ لي نافعاً ... لبعذكُ أصبحَ لي أنفعا
لأني أمنتُ رزيا الدهورِ ... وإن جَلَّ خطبُ، بأن أجزعا
وأخذ أبو نواس فقال:

طوى الموتُ ما بيبي وبين محمدٍ ... وليسَ لما تطوي المنيةُ ناشرُ
وكتتُ عليه أحذرُ الموتِ وحده ... فلم يبقَ لي شيءٌ عليه أحاذرُ
لئن عمرتُ دورٌ بمن لا نجبه ... لقد عمرتُ ممن نُحبُّ المقابرُ
وقال العتبي:

فيا فجعةً الدنيا بمن شبتُ بعده ... فسيانَ مضمونٌ به وضمينُ
وقال مروان:

رمتنا المنايا، يومَ بانَ، بحادثٍ ... بطيءٍ تداني شعبه المتبدلِ
فقلّ للمنايا ما أردتِ بقيةً ... علينا، فعيشي كيفما شئتِ، وافسدي
وأنشد مؤرج:

وفارقتُ حتى ما أبالي من النوى ... وإن بانَ جيرانُ عليّ كرامُ
فقد جعلتُ نفسي، على النأي، تنطوي ... وعيني، على فقد الصديقِ، تنامُ
وقول الآخر:

روعت بالبينِ حتى ما أراعُ له ... وبالمصائبِ في أهلي وجيرانِ
لم يتركِ الدهرُ لي شيئاً أضنُّ به ... إلا أتاهُ بموتٍ، أو بهجرانِ
ولله قول أبي الطيب إذ قال:
فصرتُ إذا أصابني نصالٌ ... تكسرتِ النصالُ على النصالِ
وها أنا لا أبالي بالرزايا ... لأني ما انتفعتُ بأن أبالي
وقوله:

أنا الغريقُ، فما خوفي من الليلِ
وقوله:

أنكرتُ طارقةَ الحوادثِ مرةً ... حتى ألفتُ بها فصارتُ ديدنا

ذكر إبراهيم بن العباس

كان إبراهيم مولى لبني المهلب بن أبي صفرة. فلذلك كان يفخر في شعره بالعرب، ويذهب فيه مذهبه. ورأيت جماعة من أدباء أهل الموصل خاصة يقدمون إبراهيم لى شعراء الكتاب، ويقولون: قد جمع مع رقة شعره فخامة اللفظ وجزالته وإصابة المعنى. ولشعره ديباجة ورواق ظاهر فيه. وشعره لا يفرق بينه وبين شعر العرب في الجاهلية والمخضرمين. فمن شعره قوله:

لنا إيلٌ غنٌّ يضيئُ بها الفضا ... وتفترُّ عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها أن تستباحَ دماؤنا ... ومن دوننا أن تستدمَّ دماؤها
حمىً وقرىً، فالمتُّ دونَ مرامها ... وأيسرُ خطبٍ، يومَ حقَّ فناؤها
وله أيضاً:

تلجُ السنونُ يوتهم، وترى لها ... عن بيت جارهمُ ازورارَ الناكبِ
وتراهمُ بسيو فهم وشفارهم ... متسرعينَ لراغبٍ، أو راهبِ
حامينَ، أو قارينَ حيثُ لقيتهم ... نهبَ العفاة، ونهزةً للراغبِ
ومما يتمثل به من شعره:

خلَّ النفاقَ لأهله ... وعليكِ فانتهجِ الطريقا
واذهب بنفسك أن ترى ... إلا عدواً، أو صديقا

وقوله في الفضل بن سهل:

الفضل بن سهل يدُ ... تقاصرَ عنها المتلُ

فنائلها للغنى ... وسطوتها للأجلُ

وباطنها للندى ... وظاهرها للقبلُ

وقوله:

أسدُّ ضارٍ إذا ما نعتُهُ ... وأبُّ برٍّ إذا ما قدرا

يعلمُ الأبعدُ إن أترى، ولا ... يعلمُ الأدينُ إذا ما افتقرا

وله أيضاً:

ولكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى ... وصارَ له من بين أخوانه مالُ

تلقى ذوي الخلاتِ منهم بماله ... فساهمهم حتى استوت بهمُ الحالُ

ومما يسحسن له من المراثي قولك

لئن كنتَ ملئاً للعيون، وقرّةً ... لقد صرتَ قرحاً للقلوبِ الصحاحِ

وهونَ ما بي أن يومكَ مدركي ... وأني غداً من أهلِ تلكِ الضرائحِ

أخذ هذا البيت من دريد بن الصمة في قوله يرثي أخاه:

وهونَ وجددي أنما هو فارطٌ ... أمامي، وني وارِدُ اليومِ، أوغدِ

وأخذه الآخر فقال:

وهون ما ألقى من الوجدِ أني ... مجاوره في قبرهش اليومِ أو غدا

وقال إبراهيم في إخوانه:

يا من رماني لما ... رأى الزمانَ رماني

ومن ذخرتُ لدهري ... فصارَ ذخرَ الزمانِ

لو قيل لي: خذ أماناً ... من أعظمِ الحدثنِ

لما التمسْتُ أماناً ... إلا من الأخوانِ

وله أيضاً:

بلوتُ الزمانَ، وأهلَ الزمانِ ... وكلُّ بلومٍ وذمٍ خليقُ

وله أيضاً:

دعوتك عن بلوى ألت صروفها ... وقلدتُ من ضغنِ عليّ سعيها

وإني إذا أدعوكَ عندَ ملمةٍ ... كداعيةٍ، بينَ القبورِ، نصيرها

وله أيضاً:

وإني وإعدادي لدهري محمداً ... كملتتمسِ إطفاءَ نارِ بنافخِ

أخذه من قوله:

والمستعينَ بعمرٍ عند شدته ... كالمستغيثِ من الرمضاءِ بالنارِ
وله أيضاً:

لئن صدرت بي زورَةٌ عن محمدٍ ... بمنعٍ، لقد فارقتُهُ ومعِي قدرِي
أليستَ يداً عندي لمثلِ محمدٍ ... صيانتُه عن مثلِ معروفيهِ شكري
وله أيضاً:

من يشتري مني إخاءَ محمدٍ ... بل من يريدُ إخاءَهُ مجاناً
بل من يخلصُ من إخاءِ محمدٍ ... ولهُ مناهُ كائناً من كانا
وله أيضاً:

كانَ إخاءُ، فصارَ لي أملاً ... فبتُ بين الرجاءِ والأملِ
تصبحُ أعداؤُهُ على ثقةٍ ... منه، وأخوانُهُ على وجلِ
وله أيضاً:

ولربَّ خدنٍ كانَ إن ... عدَّ الصديقُ، يعدُّ وحدهُ
رفعتُهُ عيني رتبةً ... فذمتُ خلتُهُ وعهدُهُ
فالدهرُ كم من صاحبٍ ... إبتزنيهِ، ثم ردهُ
وكتب إبراهيم إلى إسحاق بن إبراهيم:

ولي ثناءنِ فاخترُ، والخيارُ لمن ... في مثلك أن لا تأخذ الفينا
واعلم بأنك ما أسديت من حسنٍ ... أو سيء، أبداً، أوفيتك الثمنا
وكتب لرجل طلب شفاعته إلى عائِلِ السندِ، وركب في البحرِ:
إن امرءاً رحلتُ إليك به ... في البحرِ بعضُ مراكبِ البحرِ
تجري الرياحُ به فتحمِلُهُ ... وتكفُ أحياناً، فلا تدري
ويروى المنيةُ كلما عصفتُ ... ريحُ به للهولِ، والذعرِ
للمستحقِّ بأن تزوده ... كتب الأمان له من الفقرِ
وكتب لأبي الهذيل المتكلم إلى أحمد بن يوسف:

إنَّ الضميرَ، متى سألتك حاجةً ... لأبي الهذيلِ، خلافُ ما أبدي
فألنْ له كنفاً ليحسنَ ظنُهُ ... في غيرِ منفعةٍ، ولا رِفدِ
وامنعهُ دفعَ اليأسِ، ثم امددْ لَهُ ... حبلَ الرجا بتخلفِ الوعدِ
حتى إذا طالتْ شقاؤُهُ جدُهُ ... بترددٍ، فأجبه بالردِ

ثم ختم الرقعة. وكان أبو الهذيل قد كف بصره، فلما خرج من عنده دفعها إلى من قرأها. فلما سمع ما فيها
رجع إلى إبراهيم فقال: ما هذا؟ قال: وما أنكرت؟ قال: كل ما كتبت. قال: يا ابا الهذيل أنت متكلم،
والذي كتبت إليه كذلك، و، ما قلت:

إنَّ الضميرَ متى سألتك حاجةً ... لأبي الهذيلِ، خلافُ ما أبدي

فأبديت فيك المكروه، وضميري على خلافه، فإذا وقف على ما كتبت عاملك بخلاف ظاهره، فبرك
وأكرمك، وأحسن سراحك. فاقطع أبو الهذيل.
وله في مغنية:

وغريرة لما تغنت خلطنا ... وكأننا، مما نوذ، يهود
تمت محاسنها، وساعد صوقها ... إذ رجعت زميرها والعود
وكاننا في الخلد نسقى قهوة ... مشمولاً، وكأنها داود
وله أيضاً:

أما من معين لصب حزين ... كثير الأئين، طويل الحين
وقد أثر الحزن في خده ... أخايد تجري بماء الشؤون
عدو الرقاد، صديق السهاد ... صحيح الجفون، قريح الجفون
أخي زفرا، تأوبنه ... صباح، مساء لريب المنون
وله أيضاً:

نجوم سماء الله تشهد أنني ... إذا رقد العشاق، أكأها فردا

وآرق حتى لو تكلفت عداها ... لأحصيتها، في ليلي، كل ما عدا
فيا ويلتي كم ذا العذاب الذي أرى ... أبعد خرج الروح تلعقني شهدا
وله أيضاً:

يا صديقي بالأمس صرت عدواً ... سؤتني ظالماً، ولم تر سوا
صرت تغري بي الهموم، وقد كن ... ت قلبي، من الهموم، سلوا
أي واش وشي، وأي عدو ... نم حتى نبوت عني نبوا
كلما ازددت ذلة لك في الخ ... ب، ترايدت جهوة وعوا
وله أيضاً:

يمضي الأمور على بديهته ... فيعم شاهدها، وغائبها
فتريه فكرته عواقبها ... فيظل يوردها، وبصرها
وله أيضاً:

سلكت بي منهجاً أعيت صوادره ... فلست أدري، أمضي فيه، أم أقف

ذكر سعيد بن حميد ابن سعيد بن بختيار الكاتب

كان سعيد بن حميد كاتباً مجيداً، وشاعراً مفلحاً، وكان كلامه عذباً، ومعانيه حلوة. فمن مختار شعره الذي
كتب به إلى بعض إخوانه في عتاب:

أقلل عتابك، فالبقاء قليل ... والدهر يعدل مرة، ويميل

لم أبك من زمن ذمت صروفه ... إلا بكيت عليه حين يزول
ولكل نايبة أمت مدة ... ولكل حال أقبلت تحويل
وأراك تكلف بالعتاب، وودنا ... صاف، عليه من الوفاء دليل
ولعل أيام الحياة قصيرة ... فعلام يكثُر عتبنا ويطول
وأما قوله: لم أبك من زمن ذمت صروفه فمأخوخذ من قول القائل:
رب دهر بكيت منه، فلما ... صرت في غيره بكيت عليه
ومن قول الآخر:

عتبت على سلم، فلما فقدته ... وجربت أقواماً، بكيت على سلم
وقول الآخر:

كم من أخ يتشكى من خلائقه ... ناس عليه، وتبكيه إذا بنا
وقول محمود الوراق:

لم أبك من خبث دهر ... إلا بكيت عليه
وقوله:

ولعل أيام الحياة قصيرة ... فعلام يكثُر عتبنا ويطول
فهو من قوله:

العمر أقصر مدة ... من أن يصرم بالعتاب
وقول الآخر في الحث على العتاب:

إذا كنت لا تعجب ... ولا أنا أستعجب
تطاول هجرانا ... وأيامنا تذهب

وقال أيضاً:

نقضت لبانتي، وأعتبت عاذلي ... فلم يبق من أيام لهوي سوى الذكر
وأصبحت قد ودعت ما كنت آلفاً ... كذلك أحكام الحوادث والدهر
إذا كنت قد أيقنت أني راحل ... وقصرت في زاد الرحيل، فما عذري
ولسعيد بن حمي أيضاً:

قل لمن شط المزار به ... ليت شعري عنك ما خبرك؟

أعلى حفظ لحرمتنا ... أم عفى من ودنا أترك

لو تكون الدار دانية ... ثم بالمكنوم لي نظرك

وهذا أيضاً قد إشتراك الشعراء فيه، غير أن سعيداً دققه. وهو من قول الآخر:

لا شاهد عندي على غائب ... أعدل من طرف على قلب

وقال الآخر:

تخبرك العين بكل الذي ... في القلب من من بغض، ومن حب

وقال الآخر:

إنَّ العيونَ تدلُّ بال ... نظر المَلحِّ على الدخيلِ
إما على حبِّ شدي ... د، أو على بغضٍ وبيلِ

وقال آخر:

وأعرفُ منها في الحبِّ لين طرفها ... وأعرفُ منها البغضَ بالنظرِ الشزْرِ
وقال آخر:

إنَّ العيونَ لتبدي في قلبها ... ما في الضمائرِ من بغضٍ، ومن وفقٍ
إذا وددنَ امرءاً، أو حزنَ بغضتهُ ... أفضى الضميرُ بما تهوى إلى الخلقِ
وقال سعيد بن حميد:

قربتَ، وما ترجو اللقاءَ، ولا ترى ... لنا حيلةً يدنيك منا احتياها
وأصبحتَ كالشمسِ المنيقة، ضوءها ... قريبٌ، ولكن أين منك مناها
كطاعةٍ ضنتُ بها غربةَ النوى ... علينا، ولكن قد يلمُّ خيالها
تقرُّبها الآمالُ، ثمَّ تعوقها ... مما طلةُ الدنيا بها، واعتلاها
أخذ هذا المعنى بعضهم، فقال:

كالشمسِ مخلوِّعٍ عليك شعاعها ... أبداً، وليس لقاؤها لك هينا
وقال ابن عيينة:

فقلتُ لأصحابي هي الشمسُ، ضوءها ... قريبٌ، ولكن في تناولها بعدُ
وقال العباس بن الأحنف:

لعمري لقد جلبتُ نظرتي ... إليك على بلاءٍ طويلاً

فيا ويحَ منْ كلفتَ نفسهُ ... بمن لا يطيقُ إليه السبيلا
هي الشمسُ مسكنها في السما ... ء، فعزَّ الفؤادَ عزاءً جميلاً
فلن تستطيعَ إليها الصعو ... د، ولن تستطيعَ إليك النزولا
آخر:

وأضحتُ مكانَ الشمسِ يقربُ ضوءها ... ويا بعدها عن قبضةِ المتناولِ
ولسعيد بن حميد:

ولو كنتُ الحبَّ خوفاً العدا ... لأخبرَ الدمعُ بما أضمرهُ
أو يعذلُّ العاذلُ في حبيها ... فالوجهُ منها في الهوى يعذرهُ
أخذ هذا المعنى الحسين بن الضحاك، فقال:

فإن عنفني الناسُ ... ففي وجهك لي عنزُ
وقال آخر:

عذلابني على هواها، فلما ... أبصرا حسنَ وجهها عذرابني

وقل إبراهيم بن المهدي:

ويدُّ لحسَنِكَ لا أقومُ بشكرها ... في بسطِ معذرتي ولومِ العاذلِ

وأخذ هذا البحترى فأجاد:

يلاُمُ العاشقونَ إذا أحبوا ... ويلحى كلُّ ذي كلفٍ سوائي

وذاكَ لأنني أحببتُ بدراً ... يرهُ الناسُ كلهمُ برائي

وللابن حميد:

وكم من قاتلٍ قد قال: دعه ... فلم يكُ ودُهُ لكَ بالسليمِ

فقلتُ: إذا جزيتُ الغدرَ غدراً ... فما فضلُ الكرمِ على اللئيمِ

ولحمود الوراق:

إني شكرتُ لظالمي ظلمي ... وغفرتُ ذاكَ له على علمِ

ورأيتُهُ أسدى إليَّ يداً ... لما أبانَ بجهلهِ حلمي

وقال آخر:

شكرتُ أخي، وقد أبدى جفاءً ... وبخلاً، ثمَّ فاجأني بظلمِ

فلولا بخلُهُ ما بانَ جودي ... ولولا جهلُهُ ما بانَ حلمي

ولسعيد:

وكتبتُ إذا ما صاحبٌ خفتُ غدرُهُ ... صلدتُ، وبعضُ الصددِ في الودِّ أمثلُ

إذا حلَّ ضيماً منزلاً لم أقمُ به ... على الضيِّمِ، إلا ريثما أتقلُّ

أرى الموتَ عزاءً، والحياةَ ذميمةً ... إذا نالني فيه أذىً وتذلُّ

أبتُ لي أن أقتادَ للضيِّمِ همَّةً ... سمتُ، ولها بين السماكينِ منزلُ

وهذه أبيات حسنة جداً، والبيت الثاني منها مأخوذ المعنى. وأول من جاء به امرؤ القيس في قوله:

وإذا أذيتُ ببلدةٍ ودعتها ... حتى أقيمَ بغيرِ دارِ مقامِ

واتبعه الشعراء، فأكثروا فيذلك. فمن ذلك قول بعضهم:

وكتبتُ إذا دارٌ نبتُ بي تركتها ... لغيري، ولم أقعُدْ على غيرِ مقعدِ

ولابن منير:

وإذا الفتى لاقى الهوانَ تزيله ... في بلدةٍ، فالعزمُ أن يترحلا

ولمؤلف الكتاب:

وإن نبت بك دارٌ فانتقل عجباً ... فإنَّ رزقك يوماً غيرَ منتقلِ

وما بقي أحدٌ إلا وق ألم بهذا المعنى.

وقال سعيد:

إذا نأى عنكم، فالقلبُ عندكم ... فقلبه، أبداً، منه على سفرِ

وهو مأخوذ من قول ابن أبي عيينة:

جسمي معي، غير أنّ القلب عندكم ... فالجسم في غربة، والقلب في وطن
فليعجب الناس مني أنّ لي بدنًا ... لا قلب فيه، ولي قلب بلا بدن
ومما يستظرف من معانيه قوله:

فرقا بيني وبين ال ... هم بالراح الشمول
وأصبحاني قبل أن يص ... بحني عدل العذول
مال بي عن طاعة العذ ... ل إلى السكر الطويل
ما أرى من سخط الدن ... يا على أهل العقول
وهي مأخوذة من قول الأعرابي حين قال:

لما رأيت الدهر دهرَ الجاهل ... ولم أرَ الخرومَ غيرَ العاقل
شربتُ كأساً من كرومِ بابل ... فرحتُ من عقلي على راحل
ولابن حميد:

أطع الشباب، فإنما ... دنياك أيامُ الشباب
فإذا انقضى سكرُ الشبا ... ب، فمل إلى سكرِ الشراب
ومثله لأبي نواس:

لا عيشَ إلا في زمانِ الصبا ... فإن تقضى، فرمان المدام
وله في وصف مغنية:

غناء، رياء، خير ما تسمع ... يشفى به ذو السقم، الموجع
أوتارها تنطق حتى ترى ... أحفان ذي الشوق لها تدمع
لقد تمنيتُ لها أنّ لي ... في كلِّ عضوٍ أذناً تسمعُ
ومثله لبي تمام:

يودُّ وداداً أنّ أعضاء جسمه ... إذا أنشدت، شوقاً إليها، مسامعُ
وللآخر:

غنتُ فلم تبقَ في جارحةٍ ... إلا تمنيتُ أنّها أذنُ
ولابن حمي:

نائبي الخلل ينالُه النظرُ ... حلو الشمائل، قلبه حجرُ
وقفَ الجمال على محاسنه ... فبكلِّ جارحةٍ له قمرُ
ضمنتُ محاسنه لوصفه ... ألا يكذب وصفه النظرُ
وهو مأخوذ من قول أبي نواس:

يا من رضيتُ من الخلقِ الكثيرِ به ... أنتَ القريبُ، على بعدٍ من الدارِ

وقال آخر:

أبلغ أخاك أخوا الإحسان، بي حسناً ... أني، وإن كنت لا ألقاه، ألقاه
وأن طرقي معقودٌ بناظره ... وإن تباعد عن مثوأي مثوَاهُ

ووجدت هذا المعنى سبكاً حسناً، وابلغ لابن منير الأضرابلسي قوله:

وأقرب ما يكون هوكٌ مني ... إذا ما غابَ شخصكُ عن عياني

كأنك قد خيمتَ على ضميري ... فغيرك لا يمرُّ على لساني

وأما قوله: فبكل جارحة له قمر، فإنه مخوذ من قول الأول:

كأنما أفرغتُ من ماءٍ لؤلؤةٍ ... في كلِّ جارحةٍ من خلقها قمرٌ

وأول من ابدع هذا مسلم في قوله:

في كلِّ عضوٍ فيك بدرٌ طالعٌ ... ومدامعي من كلِّ عضوٍ تذرفُ

ومن قول سعيد:

بكرتُ أوائلُ للربيع، فنشرت ... حللُ الرياضِ بمجدةٍ وشبابِ

وغدا الحسابُ يكادُ يسحبُ في الثرى ... أذيالَ أسحم، حالكِ الجلبابِ

يبكي ليضحكُ نورهنَّ، فيالهُ ... ضحكاً تبسمَ عن بكاءِ سحابِ

وترى السماءَ وقد أسفَّ ربابها ... وكأنما لحقت جناحَ غرابِ

وترى الغصونَ إذا الرياحُ تناوحت ... ملتفةً، كتعاققِ الأحبابِ

وهذا بديعٌ جداً، فأما قوله: فيالهُ ضحكاً تولد عن بكاءِ سحاب، فهذا المعنى أول من ابتدعه أبو الشيص،

حيث قال:

بكتِ السماءُ بها، فقد ضحكت ... منها الرياضُ بدمعها السربِ

وذكروا أنه أخذه من قول ابن مطير، حيث قال:

كل يوم يسرنا اقحوان ... تضحك الأرض عن بكاء السماء

ثم تداولته الألسن. وقال آخر:

إذا ما بكتُ عينُ السماءِ تمللت ... مضاحكُ وجهِ الأرضِ من كلِّ جانبِ

وقال عبيد الله بن عبد الله:

شموسٌ وأقمارٌ من الزهر طلعٌ ... لذوي اللهو في أكنافها متمتعٌ

كأنَّ عليها من مجاجةٍ زهرها ... لآلي، إلا أنها منه ألمعُ

نشاوى تشبهها الرياحُ فتنتشي ... فيلثمُ بعضُ بعضها، ثم يرجعُ

وأنا أحسن قول الآخر في السرو:

حفتُ بسروٍ كالقيانِ تلحفت ... خضرَ الحريرِ على قوامِ معتدلِ

وكأها، والريحُ تخطرُ بينها ... توي التعانق، ثم يمنعها الخجلُ

ومن قول سعيد:

تمتعتُ باللهو حتى انقضى ... ولم تبقَ لذّة ما قد مضى
وأغفلتُ ما كنتُ أولى به ... من العملِ الصالحِ المرتضى
أحبُّ وأرقلُ في الظاعنينَ ... قرينَ الكلالِ، قعيدَ الرضا
أرومُ وأطلبُ قربَ البعيدِ ... وهيئاتَ هيئاتَ طالَ الفضا
ولي أجلُّ حنقٌ نائرٌ ... على مهجةِ شاهرِ المنتضى
هما للضرابِ، وآياته ... فوادحُ شيبِ، كنورِ أضأ
يحثُّ القوَادَ على رشده ... ويأباهُ مستأثراً معرضاً
فيا لذّةً أورثتَ حسرةً ... ويا غفلةً أورثتَ مرمضا
ديونكَ من قبلِ أن تنتضى ... ونفسكَ من قبلِ أن تقبضا
ومما يستحسن من غزله:

الله يعلمُ، والدنيا مفرقةً ... والعيشُ منتقلٌ، والدهرُ ذو دول
لأنتَ عندي، وإن ساءتَ ظنونكَ بي ... أحلى من الأمنِ عندَ الخائفِ الوجلي
وللفراقِ، وأن هانتَ فجيعةُ ... عليكَ، أخوفُ في نفسي من الأجلِ
وكيفَ أفرحُ بالدنيا وزينتها ... واليأسُ يحكمُ للأعداءِ في أملي
ومما يختار من مراثيه، قوله يرثي عبد الله بن صالح الحسيني:
بأيِّ يدٍ أسطو على الدهرِ بعدما ... أطارَ يدي غضبُ الذباينِ، قاضبُ
وهاض جناحي حادثٍ جلّ خطبُهُ ... فسدت على الصبرِ الجميلِ المذاهبُ
ومن عادة الأيامِ أنّ خطوبها ... إذا سرّ منها جانبٌ، ساء جانبُ
لعمري لقد عاقَ التجلّدَ أننا ... فقدناكَ فقد الغيثُ، والعامُ جادبُ
فقدنا فتىً قد كانَ للأرضِ زينةً ... كما زينتَ وجهَ السماءِ الكواكبُ
لعمري لئن كان الردى بكَ فاتني ... وكلُّ امرئٍ يوماً، إلى الله، ذاهبُ
لقد أخذتُ مني النوائبُ حكمها ... فما تركتُ حقاً عليّ النوائبُ

سقى جدناً أمسى الكريمُ بن صالحٍ ... يحلُّ به، دانٍ من المزنِ، صائبُ
إذا بشرَ الواردَ بالغيثِ ودقّةً ... مرتةً الصبا، واسحلبتهُ الجنائبُ
ومما يستحسن من هجائه:

يا حجةَ الله في الأرزاقِ والقسمِ ... ومحنةً لذوي الأخطارِ والهممِ
ما أن رأيتكَ في نعماءِ سابغةٍ ... إلا وربكَ غضبانٌ على النعمِ
ومثل هذا قول أبي هفان:

ليستِ الغمةُ، عبدَ الل ... و في مثلكَ نعمةُ

وله معنى مطبوع، وإن كان فحشاً وسفهاً: أخذ هذا المعنى من قول دعبل في يزيد بن يزيد:

وكان يزيدُ أبو خالدٍ ... إذا باتَ متخماً عاقدا
يضيقُ بأولادهِ بطنهُ ... فيخراهمُ واحداً، واحداً

ذكر أحمد بن يوسف كاتب المأمون

وأحمد أقدم من إبراهيم وسعيد، واجل مرتبة، غير أنهما أشعر منه. فمن شعره:
يا أبا عيسى إليك المشتكى ... وأخو الضرِّ إذا اعتلَّ شكا
ليس لي صبرٌ على هجرانكم ... وأعافُ المشربَ المشتركا
ومما يستظرف من شعره:

ألا إنَّ قلبي له خلقةٌ ... قليسَ أرى مثلها في الخلقِ
سريعُ العلقِ إذ ما انتهى ... سريعُ النزوعِ إذا ما علقُ
فبيننا يرى عاشقاً إذ صحا ... وبيننا يرى صاحياً قد عشقُ
رأيتُ الوصالَ وهجرانهُ ... يكونانِ منه معاً في نسقُ
فصرتُ إذا ما هوى لم أحفُ ... هواهُ، وإما صحا لم أتقُ
وأخذه بعض المتأخرين فقال:

رأيتُ فؤادي على شؤمه ... كثيرَ الولوعِ، كثيرَ النزوعِ
كثيرَ التصرفِ في حبه ... لموحاً إلى كلِّ برقِ لموعِ
يجبُ ثلاثينَ في ساعةٍ ... ويقطعُ بالغدِرِ قلبَ الجميعِ
وأخذه ابن أبي طاهر، فقال:

عدمتُ فؤادي من فؤادِ، فما أشقى ... وأكثرَ ما يبلي، وأكثرَ ما يلقي
فلو كانَ يهوى واحداً لعذرتُهُ ... ولكنهُ، من شؤمه، يعشقُ الخلقا
أرى ذا فأهواه، وأبصرَ غيره ... فأبلى بذا سقماً، وأبلى بذا عشقا
ثمانونَ لي في كلِّ يومٍ أحبهم ... وما في فؤادي واحدٌ منهمُ يبقى
ومما يستجا من شعره:

وجوارُ الديارِ نأيٌ سحيقٌ ... حينَ ينأى الجوارُ بين القلوبِ
وأخذه أبوتمام فقال:

إذا बादَ قلبي عنك منحرفاً ... فليسَ يدنيك مني أن تكونَ معي
ومن المستحسن قوله:

تطاولَ باللقاءِ العهدُ منا ... وطولُ العهدِ يقدحُ في القلوبِ
أراك، وإن نأيتَ بعينِ قلبي ... كأنك نصبُ عيني من قريبِ
وهذا المعنى خذه من قول الأول:

أما والذي لو شاءَ لم يخلقِ النوى ... لئن غبتَ عن عيني، لما غبتَ عن قلبي

يوهمنيكَ الشوق، حتى كأنما ... أناجيكَ من قرب، وإن لم تكنُ قربي
وأُشدُّ أبو عبيدة في هذا المعنى:

إني لأُضمرُ ذكرها، فكأنها ... دونَ النديمِ نديمي في المجلسِ
وقال آخر:

وغائبةٌ عن مقلبي، ولم تغبُ ... عن القلبِ في حالٍ لمستحلمِ الودِّ
يمثلها قلبي لطرفي، فأشتكي ... إليها الذي ألقى، وأحسبها عندي
آخر:

فإن حُجبتُ، ولم أرها بعيني ... وأحرمتُ الزيارةَ من لقاها
فلي قلبٌ يمثلها لعيني ... فعيني، كلما نظرتُ، تراها
وله أيضاً:

الناسُ في الدنيا أحاديثُ ... تبقى، ولا تبقى المواريثُ
فرحمةُ الله على دارجٍ ... طابتُ له فيها الأحاديثُ
أخذ هذا المعنى محمود الوراق، فقال:

المراءُ، بعد الموتِ، إحدوثُهُ ... تبقى، وتنفى منه آثارُهُ
فأحسنُ الحالاتِ حالَ امرئٍ ... تطيبُ، بعد الموتِ، أخبارُهُ
يفنى ويبقى ذكرُهُ بعدهُ ... إذا خلتُ، من شخصه، دارُهُ
وقال أيضاً:

وسيبقى الحديثُ، بعدك، فانظرُ ... خيرَ إحدوثِهِ تكونُ، فكنتها
وغيره:

وكنْ إحدوثُهُ حسنتَ، فإني ... رأيتُ الناسَ كلهمُ حديثنا
وقال أحمد بن يوسف:

ترككَ والمهرانَ، لا لملايةٍ ... ورددتُ ياساً من إختاكِ في صدري
وألزمتُ نفسي من فراقكِ خطةً ... حملتُ بما نفسي على مركبٍ وعمري
فإني، وإن رقت عليكِ جوانحي ... فما قدرُ حيي أن أذلَّ له قدري

سأحمدُ مني، ما حبيتُ، عزيمتي ... ويعجبُ، طول الدهرِ، هجركَ من صبري
وقال آخر في ضد هذا المعنى، وهو إبراهيم بن عباد المكي:

تعيرني قومي بذلي في الهوى ... وكم من ذليلٍ، في الهوى، اكتسبَ العزا
إذا كنتَ تهوى فاجعلِ الذلَّ جنَّةً ... فإني رأيتُ الكبرَ من ذي الهوى عجزاً
وقال آخر:

أذل لمن هوى لا درك عزة ... فكم عزة قد نالها المرء بالذل

ومن مستظرف قول أحمد:

قلبي يجبك يا منى ... قلبي، ويغض من يجك
لأكون فرداً في هوا ... لك، وليت شعري كيف قلبك

ذكر الحسن وسليمان ابني وهب

كان الحسن كثير الشعر الحسن، وإنما كان يطول فيسقط من شعره كثير. وأما سليمان فليس بغزير الشعر، وله أبيت صالحة المعاني، حلوة الألفاظ. ومنها أنه لما حبس الواثق سليمان والحسن ابني وهب، كتب الحسن إلى المتوكل كتاباً في أسفله:

أقول، والليل ممدودٌ سردقه ... وقد مضى الثلث منه، أو قد انتصفا
ودمغ عيني على الخليلين منحلاً ... وليس تملك في الأجنان إن وقفا
يا ربّ ألهم أمير المؤمنين رضى ... عن خادمين له قد شارفا التلفا
فإن يكونا أساءا في الذي سلفا ... فلن يسينا، ياذن الله، مؤتفا
وقال يذكر أخاه سليمان:

خليلي من عبد المدان تروحا ... ونصا صدور العيس حسرى، وطلحا
فإن سليمان بن وهب بمنزل ... أصاب صميم القلب مني، فأقرا
أسائل عنه الحارسين لحبسه ... إذا ما أتوني: كيف أمسى وأصبحا
فلا يهنئ الأعداء أسر ابن حرّة ... يراه العدى أندى بنانا وأسمحا
وأهض في الأمر المهم بعزمه ... وأقرع للباب الأصم، وافتحا
فإن أمور الملك أضحى مدارها ... عليه، كما دارت على قطبها الرحا
وكتب إلى سليمان أخيه:

صبراً أبا أيوب حلّ مجلج ... وإذا جزعت من الخطوب، فمن لها
إن الذي عقد الذي انعقدت به ... عقد الكاره فيه، يملك حلها
فأصبر، فعل الصبر يعقب راحة ... وعسى تكون قريبة، ولعلها
فأجابه سليمان:

صبرتني، ووعظتني، فأنا لها ... وسنجلي، بل لا أقول: لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها ... ثقة به، إذ كان يملك حلها
وللحسن شعر يلحق بشعر العرب، كتب به إلى أبي عبد الله أحمد بن أبي دؤاد الإيادي:
يا واحد العرب الذي كرمت له ... منها منابتها، وطاب حجورها
وعميها المأمول فيها نأبها ... فيه، إذا وهنت، تناط أمورها
ومقيم حكم الله في توحيدِه ... بمقالة قد كان خيف وقورها
حتى تلافاها الإمام، وحاطها ... بك، فاكنت عزاً، وأشرق نورها

وخبت من التشبيه نارُ ضلالةٍ ... قد كانَ أضرَمَ، بالنفاق، سعيها
هل أنتَ سامعُ دعوةٍ، فمعيها ... غوثاً، ومنقذُ أمةٍ، فمجيها
تحتَ الحوادثِ من رجالك عصبَةٌ ... ما إنَّ ينامُ من الهمومِ سميرها
هل غيرَ أنْ ربَعوا مرابعَ وحمّةٍ ... قد كانَ غيبَ عنهمُ محذورها
فأذاقهم حكمُ الإمامِ وبأها ... بنوازلِ كانَ الزمانُ يديرها
فليعبِ عنهم، إنما هي عشرةٌ ... ما إنَّ يعزُّ على الأمامِ جبورها
أترى الأمامُ، ابنُ الأئمةِ، والذي ... بطحاءِ مكةَ بيتُهُ، فثبيرها
وهو المردُّ في الخلافةِ عودها ... منها، ومنبرها له، وسريرها
يعطيك يوماً في تخلصِ أنفسٍ ... تسعى لفقِّ رقابها، فيثيرها
فإذا ليتصحَّنَ رأيكَ فيهمُ ... ويسرُهُ، في ملكه، تديرها
فليحمِ أهلكَ للكرامِ، فإنما ... نعشُ الرجالِ شريفها وخطيرها
ولكِ الذُّوبةُ في نزارِ كلِّها ... وعليكِ ترخي حجبتها وستورها
لا زلتَ في نعمٍ، يعمكُ حفظها ... ودوامها، وسرورها، وحبورها
فأصلحِ ابنِ أبي دؤادٍ مرهماً عند الوائقِ، فقال الحسنُ فيه يمدحه ويشكره:
وإذا الزمانُ أرادني بملمةٍ ... يوماً، دعوتُ لها الوزيرَ الأكبرا
لا زالَ حظُّك، في الحياةِ، موفراً ... وعدوكِ الباغي عليكِ مشيراً

أضحى سليمانُ بنُ وهبٍ شاكراً ... نعماكِ، حقٌّ لثقلها أنْ يشكرا
ومن مشهور غزل الحسن:

بأبي كرهتُ النارَ حتى أبعدت ... فعرفتُ ما معنالكِ في إبعادها
هي ضرةٌ لكِ في التماحِ ضيائها ... وبحسنِ صورتها لدى إيقادها
وأرى صنيعكِ بالقلوبِ صنيعها ... بسياها، وأراكها، وعرادها
شركتكِ من كلِّ الجهاتِ بحسنها ... وضيائها، وصلاحتها، وفسادها
يا بؤسَ نفسٍ أولعتُ بسعادها ... لعبتُ سعادُ بعقلها وفؤادها
ما إنَّ حوتُ من قبلها مثلاً لها ... كفا محمدها، ولا حمادها
غادِ المدامةَ، يا خليلي، غادها ... وأنعمَ بظلماءِ الدجى، فسوادها
واجعلُ شهادكِ في احتسائِ سلافها ... إذ حظُّ عينكِ في طويلِ سهادها
وإنما جعلَ يذكرُ بناً جاريةَ محمد بنِ حماد، لأنه كانَ يعشقها عشقاً مبرحاً، وكانَ يكي عنها بسعاد، فاجتمعا
في مجلسٍ فيه نار، فكرهتها وتأذتَ بها، فأمر الحسنُ بإخراجها، وقال ما تقدم.
ومن شعره:

قالتُ: تصنعُ بالبكاءِ، قهلتُ: هل ... يبكي الفتى إلا لما في قلبه؟

فلقد ألفتُ الدمعَ، حتى ربما ... جرتِ اللموعُ به، ولم أعلمُ به
وكتب إلى بعض أصدقائه:

سركَ الله بمن تلهو به ... وبنوروكَ يومَ الجمعة
وبدجنِ أليسَ الشمسَ، على ... أنها طوراً ترى ملتمة
كفتاةٍ الخدرِ أبدتُ وجهها ... من أعالي قصرها، مطلعة
عندنا وردٌ ومسكٌ عبقٌ ... ورياحينٌ لنا مجتمعة
خبرٌ خبرتهُ، فاسمعُ، ولا ... تقعدنُ من بعدِ أن تستمعه

ذكر محمد بن عبد الملك الزيات كاتب، ووزير

كان شاعراً حلو الألفاظ، عذب المعاني. له أشعار في أيام المأمون، ومدائح في المعتصم والواثق. وكذلك له
أهاج بينه وبين عبد الله بن طاهر، وابن أبي دؤاد مشهورة، وغير ذلك من غزل وعتاب، وأشعار وهو
معتقل، وفي فنون أخرى. وسنذكر من ذلك لمعاً، ومختصراً.
فمن شعره ما وجه به إلى المأمون، لما هم بالصفح عن إبراهيم بن المهدي، يذكر ما كان منه في طلب الملك،
ويحرضه عليه، وهو قوله:

فإن قلت قد رامَ الخلافةَ غيره ... فلم يؤت، فيما كانَ حاولَ، من جدِّ
فلم أجزه، إذ خيبَ الله سعيه ... على خطأ، إن كانَ منه، ولا عمدِ
ولم أرضَ بعدَ العفوِ حتى فقدته ... وللعلمِ أولى بالغمدِ والرفدِ
فليسَ سواءَ خارجيٍّ رمى به ... إليك سفاهُ الرأي، والرأيُ قد يردي
تعدتُ له من كلِّ أوبِ عصابةً ... متى يوردوا، لا يصدروه عن الوردِ
وآخر في بيتِ الخلافةِ تلتقي ... به وبك الآباءُ في ذرورةِ الجدِ
فمولاكَ مولاهُ، وجنلكَ جندهُ ... وهل يجمعُ القينُ الحسامينَ في غمدِ
وقد رابني من أهلِ بيتك أنبي ... رأيتُ لهم وجداً بهم، أيما وجدِ
وجردَ إبراهيمُ للموتِ سيفه ... وأبدى سلاحاً فوق ذي منعةٍ، مُهدِ
فأبلي، ولم يبلغْ من الأمرِ جهلهُ ... فليسَ بمذمومٍ وإن كانَ لم يجدِ
وهذي أمورٌ قد يخافُ ذو النهي ... مغبتها، والله يهديك للرشدِ

فهذا تحريض حسن في تلويح جميل، وتعريض مشبع لا يعرف لحدث مثله. ومن شعره المطبوع في بردون
أشهب، كان المعتصم أخذه منه، وكان أحمد بن أبي خالد وشي به إليه، وفي هذه الأبيات أبيات لو أنها مرثية
في ولد لحق لها، وهو قوله:

قالوا: جزعت، فقلت: إن مصيبةً ... جلتُ رزيتها، وضاقَ المذهبُ
كيفَ العزاءُ، وقد مضى لسبيله ... عنا، فوعنا الأحمُّ الأشهبُ
دبَّ الوشاةُ فباعدوه، وربما ... بعدَ الفتى، وهو الحبيبُ الأقربُ

لله يم عدوتَ عني ظاعناً ... وسلبتُ قربك، أيّ علقِ أسلبُ
نفسى مقسمةً، أقامَ فريقها ... وغدا لطيته فريقٌ يجبُ
الآنَ إذ كملتُ أداتكَ كلها ... ودعا العيونَ إليكَ خلقٌ معجبُ
أنساك؟ لا برحتُ، إذاً، منسيةً ... نفسي، ولا زالتُ بمثلكَ تنكبُ
أضمرتُ منكَ اليأسَ حينَ رأيتني ... وقوى حبابي من حبالكَ تقضبُ
ورجعتُ، حينَ رجعتُ منك، بحسرةٍ ... لله ما صنعَ الأصمُّ الأثيبُ
ومن مديحه في المعتصمِ رضي الله عنه:

حلفتُ، ومن حقِّ الذي قلتُ إنني ... أقولُ واثني بعد ذلكَ، وأحلفُ
لما هابَ هلُ الظلمِ مثلكَ سائقاً ... ولا أنصفَ المظلومَ مثلكَ منصفُ
وكان الذي بينه وبين أحمد بن أبي دؤاد سيئاً جداً في أيام الواثق، وبسببه حبس، وأخذت ضياعه، وناله ما
ناله من العذاب المشهور، مرة في صندوق، ومرة في تور. فمن قوله في أحمد:
يا ساتلي عن أبي عبد الإله لقد ... سألتَ عن رجلٍ، جمَّ الخساراتِ
اللتيم، بكتُ ... عليه أهلُ قرى هيتِ وعاناتِ
فأجابه أحمد:

قلتُ لها حينَ أكثرتِ عندي ... ويحكِ أزرْتِ بكِ الموداتُ
قالت: فأينَ الكرامُ، قلتُ لها: ... لا تسألِي عنهم، فقد ماتوا
قالت: ولم ذلكَ، قلت: فأعبري ... هذا وزيرُ الإمامِ زياتُ
وقال محمد فيه:
إنَّ الجديدَ إذا ما زيدَ في خلقٍ ... تبيّنَ الناسُ أنَّ الثوبَ مرقوعُ
ولعبد الله بن طاهر في محمد:

أحسنُ من تسعينَ بيتاً هجا ... جمعكَ معناهنَّ في بيتِ
ما أحوجَ الملكَ إلى مطرَةٍ ... تذهبُ عنها وضرَ الزيتِ
فأجابه محمد:

يا أيها المأفونُ في رأيه ... عرضتَ حوباءكَ للموتِ
قيرتُمُ الملكَ، فلم ننقه ... حتى غسلنا القارَ بالزيتِ
ومن أشعاره وهو في الأعتقال:

ربتَ دارَ بعدَ عمرانها ... أضحتُ خلاءً، ما بها أهلُ
لم تدخلِ البيهجةَ دارَ امرءٍ ... إلا وما يهدمها داخلُ
ما يأمُنُ الدنيا وأيامها ... بعدي، إلا عاجزٌ جاهلُ
أما ترى العيشَ بها زائلاً ... تباً لدنيا عيشها زائلُ

وقال في ذلك، وكان المتوكل يأمر إبراهيم بن العباس أن يكتب فيه كتاباً، فكتبه، ثم أرسل إليه نسخته.
فقرأها محمد، فقال يعزي نفسه:

أرى الدهرَ لا تفنى عجائبُ صرفه ... وأيامه ليست تقضى غرورها
لئن راعني يوماً كتابٌ قرأته ... لقد نفذتُ كتيبي، فحلتُ أمورها
وقد سارَ في الأمثالِ بيتٌ لخالدٍ ... وسرُّ أقاويلِ الرجالِ فجورها
فلا تجزعنْ من سنةٍ أنتَ سرقتها ... فأولُ راضٍ سنةً من يسيرها
ومما يتمثل به من شعره النادر:

يا سواقي لفتى له أدبٌ ... أمسى هواهُ قاهراً أدبه
يأتي الدنيةَ، وهو يعرفها ... أعمى عن العيبِ الذي ارتكبه
وكتب رجل من الكتاب يقال له عيسى إلى محمد بن عبد الملك رقعة يذكر فيها حرمة، وأنه من أهل
البلاغة والأدب، ووقع على موضع العنوان: عيسى. فوقع محمد على ظهر رقعته:
أنى تكونُ بليغاً ... ونصفُ إسمكَ عيَّ
ونصفُ إسمكَ أيضاً ... ثلثا حروفِ مسيَّ

ذكر الحسن بن رجاء ابن أبي الضحاك الكاتب

كان شاعراً مفلحاً، لا يكاد يسقط من شعره شيء، كما يسقط من أشعار نظرائه. وليس شعره بكثير: ،
وابياته المروية عنه حسنة النظم، مشبعة المعاني، جميلة التركيب. ومن شعره الذي يمدح المأمون:
صفوحٌ عن الإجمامِ حتى كأنه ... من العفو، لم يعرف من الناس مجرماً
وليس يبالي أن يكون به الأذى ... إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلماً
ومن ذلك قوله:

قد يصبرُ الحرُّ على السيفِ ... وينكرُ الصبرَ على الحيفِ
ويؤثرُ الموتَ على حالةٍ ... يعجزُ فيها عن قرى الضيفِ

وقد كفانا ذكرنا في هذا الباب من ذكر من شعراء الكتاب، عدولاً عن الاسهاب. وغرضنا، في الذي
أحضرناه، أن يعلق، ومتى كان مطولاً منعه السأم أن يعلق. وإذا رصع هذا الكتاب على خاطر أديب أشغل
به المجلس الذي يحضره، وأعجب الحاضرين مما يذكره. لأني التقطت كل ما يتردد معناه في مغاني الأدب،
ويحسن أن يذكر بين يدي الملوك وأهل الرتب، وغربت في الأخبار، وعدلت عن الأشياء التي سمجت بطريق
الإكثار والإشتهار.

شعراء عبيد العرب

وما احتضر من أخبارهم، واستحسن من اشعارهم

منهم: نصيب، عبد بني الحسحاس، ميسرة الأول، ميسرة الأخير، وورك، ابو عطاء، ذكوان، مورك، ذو الركبة، السابل، منتجع، فتحس، عبد بني بكر، المندلث، الحيقطان، زامل، أبو التيار، المثلم، الهزر، روح، وله قصيدة يعد فيها هؤلاء، وهم عشرون شاعراً، نذكر القصيدة، ثم نذكر هؤلاء، ثم نتبع ذلك بأبي دلامة، ودهيقين، وفائق، ولهدم، والمرقال، وعجب، وشنير، وجدل، وأبو العراف، وكوكب، ومن النساء الجوارى المماليك: عنان، الذلفاء، خنساء، ملك، صرف، فضل، مخنتة، مدام، خشف، علم، ريم، سكن.

قال روح بن الطائفة، وهو عبد لحاله أنس بن أبي شيخ الكاتب، يفتخر على العرب، بمن ذكرنا من شعراء العبيد:

فخرتم علينا بالقيافة والشعر ... وبالنسب الخفوظ في سالف الدهر
ففي وزر، والعبد ميسرة الذي ... أبر على همام في صفة القدر
وفي ورك، والعبد ذكوان، والذي ... أناخ على بشر بقاصمة الظهر
وعبد بني الحسحاس، والشيخ مورك ... وذو الركبة العوجاء، والسابل المثري
ومنتجع، والحدرجان، وفلحس ... وأبين خلق الله عبد بني بكر
وكان نصيب، والمثلّم قبله ... وفي الهزر المنبوذ في البلد القفر
فقد كان مفتوق اللهاة، وداهياً ... وأشدق يفري حين لا أحد يفري
ترى اللفظ إرسالاً إليه، وكله ... بخير مطبوع، ورايه عمر
دليل بأن الحرّ منهم كعبده ... وأنا سواء في الفصاحة والشعر
ولونهم لون، وطبع لسانهم ... سواء، كمن قد الشوال على السطر
ومولاهم ينتاف مثل صميمهم ... ويقضي بلا فكر، ويجزم في الأمر
ويحفظ من أنسابهم مثل حفظهم ... ويقنفي الآثار في السهل والوعر
وقد كان في دهر الأكاسر عالم ... يحوطون أنساب الأكاسر الزهر
ومن عرف الأسباط كيف انتسابهم ... تراجع خزياناً، وعض على الصخر

ذكر من سماه روح في قصيدته

فأما نصيب: فكان عبداً لرجل من بني كنانة، من أهل ودان، هو وأهل بيته. وكان مقدماً عند الملوك، يجيد مدحهم ومراثيهم. وكان أهل البادية يدعونه نصيباً، تفخيماً له، ويروون شعره. وكان كبير النفس. وقيل: إنه كان عبداً لبني كعب بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف، وزعم الجاحظ مثل ذلك. وفي ذلك يقول:

رأت لأخي كعب بن ضمرة هجمة ... ثمانين يعطى الضيف منها، وينعم
وقيل لنصيب: قد تعرض لك جرير، فأرسل حصته من الهجاء، فلم يفعل. ولما اجتدى الملوك وأخذ جوائزهم وتمول، تتبع من كان بينه وبينه مودة يشتره، أو من العبيد أقاربه يبتاعه. وجعل يبتاعهم ويعتقهم. فكان ممن اشتراه ابن عم له يقال له سحيم بأغلى ما يكون من الثمن. فمر به يوماً، والناس مجتمعون عليه، وسحيم بينهم وهو سكران يزمر ويرقص، فلما رآه نصيب ناداه: ويك يا سحيم ما هذا لعنك الله وخزاك،

ويك لهذا اشتريتك وأعتقتك؟ فقال: إن كنت أعتقتني لما أحب، فهذا الذي أحب. فقال نصيب:

نسيتَ عمالي لك الرواحلا

وقرعي الأبواب فيك سائلا

وليتني منك القفا والكاهلا

أحلقتا شكساً، ولونا حائلا

فسوف أعدو لسحيم طائلا

إن سحيماً لم يشيني طائلا

وكان نصيب ذا عيلة ودين ومنطق، وكان لا يهجو أحداً، وكان عبداً أسود.

وسئل جرير عنه فقال: هو أشعر أهل جلده. وذكر عند الفرزدق فقال: سهام صواب. وذكر أن نصيباً

أنشد جريراً شعره، وقال: كيف ترى يا أبا حرزة؟ قال: أنت أشعر أهل جلدتك.

ومن جملة شعره:

فما ضرَّ أثوابي سواذي، وإنني ... لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقه

ولا خيرَ في ودِّ امرئٍ متكارهٍ ... عليك، ولا في صاحبٍ لا توافقه

إذا المرءُ لم يبذل من الودِّ مثلما ... بذلتُ له، فاعلم بأني مفارقة

وقيل: إن شخصاً غيره بسواد فقال:

ليس السوادُ بناقصي ما دام لي ... هذا اللسان، إلى فؤادٍ ثابتٍ

من كان تعليةً منابتُ بيته ... فيوتُ أشعاري خلقتُ منابتي

كم بين أسودٍ ناطقٍ من كلةٍ ... ماضي المقال، وبين أبيضٍ صامتٍ

إني ليحسدني الرفيعُ بيته ... من فضل ذاك، وليس لي من شامتٍ

ويروى أن سكينه بنت الحسين عليه السلام عبت على نصيب في شيء، وقالت له: إذهب فلست أكلمك

حتى يشيب الغراب. فرحل وأقام بالحجاز حتى شاب لحيته. وجاء ووقف بابها، وقال: قاق، قاق، قاق، ها

قد شاب الغراب. فأذنت له، وأحسنّت جازته.

وقل مسلمة بن عبد الملك لنصيب: يا أسود أمدحت شيئاً؟ وعنى به رجلاً من أهل بيته، قال: نعم. قال:

فهل أعطك شيئاً؟ قال: لا والله، قال: فلم لا تهجوه؟ قال: نفسي أحق بالهجاء منه، حين دعيتني إلى مدح

مثله. فأعجبه جوابه، فقال له: تمن ولا تشطط، فقال: لا أفعل، قال: ولم؟ قال: لأني أعلم أن كفك بالعطية

أبسط من لسني بالمسألة. فأعطاه عشرة آلاف دينار.

وقال أبو الأسود الدؤلي: امتدح نصيب عبد الله بن جعفر، فأجزل له من كل صنف. فقيل له: تعطي لمثل

هذا العبد الأسود؟ فقال: أما والله إن كان جلده أسود، إن مدحه وثنائه لأبيض، وقد استحق بما قال أكثر

مما نال، وإنما أخذ رواحل تنضي، وثياباً تبلى، ودراهم تفتى، وأعطى مديحاً يروى، وثناء يبقى، وذكراً لا

يبلى.

وكان، هو وكثير، أمدح شعراء الإسلام للملوك عند الرواة، كما أن النابغة أمدح شعراء الجاهلية عندهم للملوك. وقال كثير: ما تميت شعراً قط أ، أكون قلته، كما تميت بيتين سمعتهما من نصيب، وهما:
من النفر البيض الذين إذا أتجوا ... أقرت لنجواهم لؤي بن غالب
محيون بسامين طوراً، وتارة ... محيون عباسين شوس الحواجب
قال الزبير: بلغ كثيراً وجميلاً أن نصيباً يشبب بنات العرب، فقال جميل لكثير: إمض بنا إلى نصيب حتى نملأ
أسيافنا منه. فقل كثير لجميل: آخر هذا لأمر حتى نلقاه، فإذا لقيناه أفضناه في التشيب، فإذا سمعنا منه
وأشددنا، يكون قد اعترف، فلزمه الحجة، فملو عذرا عند الناس في الفتك به، ونشكر على ذلك لصيانة
أعراض الحرم. فبينهما يسيران يوماً إذ لقياه، فأخذا بيده، وقالا له: إنا قد عزمنا على القول فتساعدنا. قال:
قولاً حتى أقول. فقال جميل:

لطف الحشا، يعض الخدود، أو انس ... عذاب الثنايا قد مثلن بنا مثلاً
فقال كثير:

إذا دفن بالجدائي مسكاً أنلنه ... عرايين شماً دنيت حدقا كحلا
فقال نصيب:

وقربن للأحداج كل عذافر ... كأن كحلا
فقالا: نحن نشب، وأنت تصف الإبل؟ قال: أنتم مدحتم بنات عمكم، وأنا حملت سيداتي. فأمسكا عنه،
وفارقاه.

وقيل: دخل الفرزدق، ومعه نصيب على سليمان بن عبد الملك، فقال للفرزدق: أنشدني، فأنشده:
وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها سلباً من جديها بالعصائب
إذا استوضحوا ناراً، يقولون: ليتها ... وقد خصرت أيديهم، نار غالب
فأسود وجه سليمان، وكان يظن أنه إذا استنشده أنشده مديحاً له. فلما رأى ذلك نصيب قال: يا امير
المؤمنين ألا أنشدك؟ قال: بلى، فأنشده:

أقول لركب قافلين لقيتهم ... على ذات أوшал، ومولاك قارب
قفوا، أخبرونا عن سليمان، أني ... لمعرفه من أهل ودان طالب
فعاجوا، فأثوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقاتب
فقل له سليمان: احسنت، وامر له بصلة، وقل: كيف تسمع يا فرزدق؟ قال: هو أشعر الجاهلية. وما أعطى
الفرزدق شيئاً، فخرج وهو يقول:

وخير الشعر أكرمه رجلاً ... وشراً الشعر ما قال العبيد
وقال جعفر بن سعيد: قال نصيب: ما اجترأت، أنشد شيئاً من شعري حتى قلت:
بزيب الم قبل أن يظعن الركب

وروى المبرد أن جريراً قال: لوددت أن نيت هذا العبد لي بكذا وكذا من شري، يعني قوله:
بزيب الم قبل أن يظعن الركب

وقيل لنصيب: إيما أشعر، أنت أم جرير في البيت الذي نازعك فيه؟ قال: ما هو؟ قيل: قولك:
أضرَّ بها النهجيرُ حتى كأنَّها ... بقايا سلالٍ لم يدعها سلالها
أو قول جرير:

إذا بلغوام المنازلَ لم تقيدُ ... وفي طولِ الكلالِ لها قيودُ
قال: قاتل الله ابن الخطفي حيث يقوله. قيل: قد فضلتَه على نفسك! قال: هو ذاك وقال نصيب:
لقد كانتِ الأيامُ إذْ نحنُ جيرةً ... تحسُنُ لي، لو دامَ ذاكَ التحسُنُ
ولكنَّ دهرًا بعدَ ذاكَ تقلبتُ ... لنا من نواحيه ظهورٌ وأبطُنُ

وإني، على أي تعزيتُ بعدكم ... وأعرضتُ لما كان ذو الضعنِ يفتنُ
لكالمندفِ المنبي العوائد أنه ... إلى صحبةٍ مما به، وهو متخنُ
وأما عبد بني الحسحاس: فهو سحيم بن هبذ بن سفيان بن عصاب بن كعب بن سعد بن ثعلبة بن دودان.
وكان رقيق لحواشي، أسود، فعبر بذلك فقال:
إن كنتُ عبدًا فنفسِي حرّةٌ كرمًا ... أو أسودَ الخلقِ إني أبيضُ الخلقِ
ويقال: إن أول شعر قال: أنهم أرسلوه رائدًا، فجاء وهو يقول:
أنعتُ غيثًا حسنًا نباته ... كالحبشيِّ حولهُ نباته
فقالوا: شاعر والله.

وأنشد:

عميرةٌ ودعُ إن تجهزتِ غاديا ... كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا
فقال له عمر: أما أنك لو كنت قلمت الإسلام على الشيب لأجزتك. فلما أنشده فيها:
وبتنا وسادانا إلى عُلجانةٍ ... وحقفِ تماداهُ الرياحُ تماديا
وهبتُ شمالًا، آخرَ الليلِ، قرّةً ... ولا ثوبَ إلا درعها وردايا
فما زال بردي طيبًا من ثيابها ... إلى الحولِ، حتى أهبجَ البردُ باليا
توسدني كفاً، وترفعُ معصمًا ... عليّ، وتحنو رجلها من وراثيا
أميلُ بها ميلَ النزيفِ، وأتقي ... بها الرياحَ، والشفانَ من عن شماليا
فقال عمر: زني العبد.
ومن قصيدته هذه:

فما بيضةٌ باتَ الظليمُ يحفها ... ويرفعُ عنها جوجوًا متجافيا
ويجعلها بين الجناحِ ورفهٍ ... ويفرشها وحفًا من الريشِ عافيا
بأحسنَ منها يومَ قالتُ: أراحلٌ ... مع الركبِ، أمْ ثاوٍ لدينا لياليا
ألكني إليها، عمركَ الله، يا فتى ... بآيةٍ ما جاءتُ إلينا تماديا
ألا نادٍ في آثارهِنَّ الغوانيا ... سقينَ سمامًا، ما هنَّ وماليا

وراهنَّ ربي مثلَ ما قد وريني ... وأحى على أكبادهنَّ المكاويا
أشارتْ بمدراها، وقالتْ لربها ... أعبُدُ بني الحسحاسِ يزجي القوافيا
رأتُ رجلاً رثاً، وسحقَّ عباءةً ... وأسودَّ، مما يملكُ الناسُ عاريا
كأنَّ الثريا علقتْ فوقَ نحرها ... وجرَّ غصنيَّ هبتْ به الريحُ ذاكيا
فإنْ تقبلي بالودِّ أقبِلْ بمثله ... وإنْ تدبري أدبرْ على حالِ باليا

وكان نصيب وسحيم أشعر شعراء العبيد، ومن نذكر بعدهما لم يكن في طبقتهما، ولبعضهم الأبيات القليلة.
ونحن نذكرهم: ذكر وزر: كان عبداً لبني العنبر، من تميم. وهو القائل:

لعمري بني الملوك، ما عاش، أنه ... وإن أعجبتُه نفسه، لذليلُ
ترى الناسَ أنصاراً عليه، وماله ... من الناسِ إلا ناصرونَ قليلُ

وأما ميسرة وميسرة: فهما عبدان لبني العنبر. أحدهما ميسرة أبي الدرداء، وهو الذي رثى معاوية فقال:
فهايتك النجوم، وهنَّ خرسٌ ... ينحنَّ على معاوية الشامي

والآخر: ميسرة أبي نصر، وكان عبداً لعمر بن شريك. ولطمه رجل من بني دارم، فافتري عليه ميسرة،
فقدمه إلى صاحب اليمامة، فجلده أربعين سوطاً. قال: والله لئن لم تجلدي ثمانين، لأهجونك هجاء تمني أنك
لم تكن سمعته. فوفاه ثمانين، فأنشده:

قدفتَ أبا زيدٍ فكملتَ قذفه ... فكملْ هداك الله، جلدَ أبي نصرِ
ولا تتركي ناقصاً، فتعييني ... تميمُ بنُ مرٍّ، والقبائلُ من قسرِ

فلستُ بعدِ يلطُمِ الناسِ وجههُ ... ويلقى، غداةَ الروعِ، منتفخَ السحرِ
وإنما كان غرضه أن يحده تمام الحد، ليحقق أنه حر، لأن العبد يجد نصف الحد. وقد كان حد القذف عندهم
الثمانين. وقد روي أنه أتى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بسكران، فقال: ما سمعنا من النبي صلى الله
عليه وسلم حد الخمر. فاستدعى علياً عليه السلام، فقال: ما عندك في حد الخمر؟ فقال: الشاؤب إذا
شرب سكر، وإذا سكر افتري، فاجعل حد الخمر حد القذف، أربعين جلدة.
ولما قال الفرزدق:

وقدرِ كحيزومِ النعامِ أحمستُ ... بأجدالِ خشبٍ، زالَ عنها هشيمها
قال ميسرة: ما حيزوم النعام؟ والله ما يشبع رجلين. ولكني أقول:

وقدرِ كجوفِ الليلِ أحمشتُ عليها ... ترى القيلَ فيها طافياً لم يفصلِ
ولما قال الفرزدق أيضاً:

وقدرِ كجوفِ العيرِ ملآنَ مترعٌ ... يطيفُ بهِ ولدانُ قيسٍ وخندفِ

قال ميسرة: وما جوف العير؟ ومن يذكر من ولدان قيس وخندف مع هذا القدر؟ ولكني أقول:

وقدرِ كجوفِ الباقرِ تحجُّهُ ... على العسرِ والإيسارِ أهلُ المواسمِ

وقال ميسرة للفرزدق:

لقد ذلُّ من يحمي الفرزدقُ عرضه ... كما ذلتِ الأحنافُ تحتِ المناسمِ
فلما بلغ الفرزدق ذلك غضب، وتطلب ميسرة، فسمع ميسرة فقال:
متى تلقني تلق امرءٌ غيرَ طائلٍ ... وليسَ بجاءٍ من الغمراتِ
يرى المجدُّ أن يلقى أصره ذوده ... منفحة الأطراف، مستويات
فراهِ الفرزدق يوماً فشد عليه بالسيف، وقال له: استغث بمولاك، فصاح بمولاه، فقال مولاه للفرزدق: ليس
هو عبداً، إنما حر. قال الفرزدق: ذلك أردت. وكان غرضه يشيع أنه حر. فأدناه وأعطاه.
وميسرة الذي يقول:

لعمري لإعرابية في عباة ... لها حسبٌ زاكٍ كريمٍ، ومنصبٍ
أعيتُ باسلامٍ وعتقٍ وصبغةٍ ... وإن يكُ سوءً، فهو عنها مجنبٍ
أحبُّ إلينا من ضناكِ ضفنةٍ ... عليها من الكتانِ والقطنِ منهبٍ
لعمري وشيخٌ قاعدٌ وسطَ هجمةٍ ... تروحُ عليه بالشيء، وتغرب
أحبُّ إلينا من صفتنِ نرى له ... عظاماً وأثواباً تصانُ وتحجب
وأما ورك: فكان عبداً لبشر النهشلي. ويقال: إن مولاه سلم إليه ناقة عسراء، وقال له: إياك أن تحمل عليها
شيئاً. فحمله فأجهضت. فأنشأ عند ذاك يقول:

ألا لا أبالي أن يضيعَ جنينها ... إذا لم يلمني، في اللمام، رفيقُ
يخوفني بشرٌ، وبشرٌ محكمٌ ... وليسَ ببشرٍ، إن تشاء، صديقُ
وله:

لا أحمدُ النارَ أخشى أن يضلَّ بها ... عانٍ، يريدُ سناها، جائعٌ صردُ
لكنْ أقولُ لمن يعرفوا مناكبتها ... ألقوا الضرامَ عليها، علها تقدُ
إما أقومُ إلى سيفي فأشحنه ... أو يستهلُّ عليكم محلبٌ زبدُ
إني لأحمدُ ضيفي حين ينزلُ بي ... أن لا يكلفني فوقَ الذي أجدُ

قال مؤلف الكتاب: لقد سمعت هذه الأبيات من جماعة من الفضلاء وأهل الأدب، وأسأهم عن قائلها،
فيعزونها إلى غير قائلها. وكذا في هذا الكتاب أبيات كثيرة تضرب بها الأمثال، ويتداول بها، ولا يعلم لمن
هي.

وأما ذكوان: فكان عبداً لمالك الدار مولى عثمان بن عفان. فعتق ذكوان، وعظم شأنه، وولي بعض أطراف
الشام في زمن معاوية. وكان شاعراً خطيباً، وكان أشد الناس سيراً، لم يدرك أسير منه. سبق الحاج إلى
المدينة، فدخلها في يوم وليلة، فقدم على أبي هريرة، وهو خليفة مروان على المدينة، فصلى معه العشاء،
فقال له: حجك غير مقبول، قال: ولم؟ توشك أنك قد نفرت قبل الزوال. فأخرج كتباً كانت معه، وهي
من بعد الزوال، فقال في ذلك:

فأقسمُ لا تنفكُ، ما عشتُ، سيرتي ... حديثاً لمن وافى بجمعِ المحصبِ
وذكوان الذي يقول للضحاك بن قيس الفهري:

تطاول لي الضحاك حتى رددته ... إلى نسب، في قومه، متقاصر
فلو شهدتي من قريش عصابة ... قريش البطاح، لا قريش الظواهر
لغطوك حتى لا تفس بينه ... كما غط في الدوار والمتراور
ولكنهم غابوا، وألفت حاضراً ... فقبحت من حامي ذمار، وناصر
قال أبو عبيدة: ذكوان أول من فرق بين قريش البطاح، وبين قريش الظواهر. فقريش البطاح قبائل كعب
بن لؤي، وقريش الظواهر بنو محارب والحارث ابني فهر، وبنو الأدرم بن غالب بن فهر، وعامة بني عامر.
وأما مورك: فكان عبداً لرجل يكنى أبا الحوساء من مذحج، وكان شجاعاً. فضربه يوماً مولاه ضربة آلمته،
وما كان يعرف أنه يقول الشعر، فقال:

خفت أبا الحوساء خوفاً يقلق

كأنه موج محيط محقق

فبت، والقلب مروغ يخفق

يكاد من بين الضلوع يبرق

فقال له مولاه: والله إنك لم ترد مدحي، وإنما أردت أن تعرفني أنك شاعر فأتقيك. فلما سمع ذلك مورك
هرب. فبلغه أن مولاه يطلبه، فخافه، وخافه أيضاً مولاه، خوفاً أن يهجوّه. فزاد مورك في أرجوزته يتوعد
منه ويسخر أخرى:

قد علم الغربي والمشرق

أنك في القوم صميم ملصق

عودك نبع وهشيم بروق

جد لئيم، وكريم معرق

فأنت نار وربيع مغدق

وأنت ليل ونهار مشرق

كيف الفوات، والطلوب مورك

شيخ مغيظ، وسان يبرق

وحجر رحب، وصوت ملصق

وشدق ضرغام، وناب يحرق

وشاعر باقي الرسوم، معلق

وأما ذو الركبة: فكان عبداً. وسمي ذا الركبة بقوله:

سخر العواني إذ رأين موبهناً ... كالبو، أكهب شاحب منهوك

والركبتان مفارقاً رأسهما ... والظهر أحدب، والمعاش ركيك

سَم الحياة، ولاح في أعطافه ... قشف القنبر، وذلة المملوك

فجنى جنابة، فباعوه في بعض الأسواق إلى رجل، فضربه يوماً، فقال:
ولولا عريقٌ في من حبشية ... يردُّ إباقي بعدَ حولٍ محرم
وبعدَ السرى في كل طخياءِ حندسٍ ... وبعدَ طلوعي محرمًا بعدَ محرم
علمتَ بأني خيرٌ عبدٍ لنفسه ... وأنكَ عندي مغنمٌ، أيّ مغنم
وأما المندلت: فكان عبداً لبني عبد شمس، فقتل عبداً آخر فخاف، فلحق بمحجب، أحد بني الخطاب بن عبد
شمس، فقال:

أقولُ لأدنى صاحبٍ أستشيرُهُ ... وللأخطلِ الطائيِّ ما تريانِ
فقال الذي بيدي النصيحة ... أرى اليومَ أن تختارَ أرضَ عمانِ
فإن لا تكنُ في حاجبٍ وبلادهِ ... نجاةً، فقد زلتُ بكَ القدمانِ
فتى من بني الخطابِ يهتزُّ للندى ... كما اهترَّ ماضي الشفرتينِ، يمانِ
وأما الحيقطان: فكان شاعراً وخطيباً، وكان عبداً أسود. وهجاه جرير فقال:

كأنهُ لما بدا للناسِ
أسودَ في ييضٍ من اللبسِ
أيرُ حمارٍ لفَّ في قرطاسِ
فقال الحيقطان:

إن يكُ لوني حائنةً في الناسِ
فذاك في قومي، وفي أجناسي
فلم ينكسُ ذكرهُ براسي
ولي لسانٌ، وحجابي آسِ
لكلِّ ما أعيا على النطاسِ
وبه ضرب الشاعر المثل فقال:

وما كان شاعرهم دغفلٌ ... ولا الحيقطان، ولا ذو الشفة
دغفل ابن حنظلة. وذو الشفة: خالد بن سلمة المخزومي.
وأما زامل: فإنه كان عبداً لمقل بن صبيح، ثم اشتراه جعفر بن سليمان الهاشمي. وكان فصيحاً يروي عن
الأصمعي. وله:

أرى معقلاً لا قدسَ الله معقلاً ... يريدُ زبالي كلما قلَّ حاملهُ
ويكلحُ في وجهي، ويخطُّ بالعصا ... ولوشئتُ قد أضحتُ فقاراً منازلةً
فما أنت في الأمحالِ أضيقتُ حالةً ... من العبدِ، إلا أن يحطمَ كاهلهُ
وأما أبو التيار: فكان إعرابياً فصيحاً، وراجزاً، محسنًا، وكان مكاتباً لإسحق ابن الفضل بن عبد الرحمن
الهاشمي، وكان اشترى نصفه فاعتقه، فقال:

إسحاقُ يا أكرمَ أهلِ الأرضِ

أعتقتَ بعضي، وتركتَ بعضي

فأتبعَ البعضَ ببعضِ يمضي

وأما المثلّم: فكانَ عبداً لبني سعد، فاشتراه زائدة من مزيد الأشعري وانتقل إلى الحارثي فضربه يوماً اذلالاً
فشكاه إلى زائدة فلم يشكّه فقال:

أغرّكَ مني أنّ مولاي زائداً ... سريعٌ إلى داعي الطعام، شروطُ
غلامٌ أتاهُ الذلُّ من نحو شدقه ... له حسبٌ، في الموغلين، بسيطُ
له نحو دورِ الكأسِ إما دعوته ... لسانٌ كنصلِ الزاغيّ، سليطُ
وإن تلقه في غارةِ الصبحِ، تلفه ... خضياً عليه برقعٌ وسموطُ
فلو كنتَ في سعدٍ أرنتَ نوائحٌ ... عليك، وحاشي بعد ذاك ربيطُ
فليتَ مليكي من خراسانِ أغتمٌ ... أرب، طوال الساعدين، حيوطُ
وليتَ مليكي بين كوثي وبارقٍ ... وكانَ مكانَ الأشعيرينَ ينيطُ
وأما الهزّر: فهو القائل:

ولما رأيتُ العامَ عامَ شضيةٍ ... أغيرَ محلاه، تصرُّ جنابه

شددتُ له أزري، وأيقنتُ أنه ... أخو الهلكِ من سدتَ عليه مذاهبه

وأما أبو عطاء: فمشهور وهو أبو عطاء السندي، وكان عبداً لبني أسد. وهو القائل في يوم من بني عبد
المطلب:

لا بكتُ عين الذي تبكي لهم ... آفةُ الدينِ، وأعداء العرب

وكان حائل اللون، في لسانه عجمة لا يكاد يفصح عن شيء. فكان إذا عمل شعراً استعجم بمن يورده عنه.
فعمل بعض الأيام شعراً، وأعوزه من ينشده عنه، فكتب إلى صديق له معلم، يسأله أن ينفذ إليه غلاماً ينشد
له شعراً، كان امتدح به بعض الأشراف:

أعوزتني الرواةُ يا ابن سليمٍ ... وأبى أن يقيمَ شعري لساني

وغلا بالذي أجممُ صدري ... وشكاني من عجمتي شيطاني

وعدتني العيونُ أن كان لوني ... حائلاً سيناً من الإلوانِ

فضربتُ الأمورَ ظهراً لبطنٍ ... كيفَ أحتالُ حيلةً لبياني

وتمنيتُ أنني كنتُ بالشع ... رِ فصيحاً، وبانَ بعضُ بنياني

ثم أصبحتُ قد أنختُ ركابي ... عندَ رجبِ الشتاءِ والأعطانِ

عندَ من إن سألتَ أعطى، وإن يع ... طِ جزيلاً، فليسَ بالمنانِ

فألى من سواك يا ابن سليمٍ ... أشتكى حيرتي وفكّ عناني

فاكفني ما يضيّقُ عنه روائي ... بغلامٍ من صالحِ الغلمانِ

يفهمُ الناسَ ما أقولُ من الشع ... ر، فإنَّ البيانَ قد أعيايني

ثمَّ خذني بالشكر يا ابنَ سليمٍ ... حيثُ ما كنتَ حاضرَ البلدانِ
فقدِيمًا ما كانَ مني جزاءٌ ... كلُّ ذي نعمةٍ بما أولاني
وأما دهيقين: فكانَ عبدًا لبني سعد، وكانَ أهله يجفونه، فقال:
ومالي من أم، إذا جئتُ، برةٍ ... ولا من أب يكفيني الجفواتِ
سوى أني يوماً إذا جئتُ ساغباً ... تقدّم لي الخنثان في النقباتِ
وأطعم في كفي، وإخرجُ صاغراً ... أبادرُ أولاهنَّ في الستراتِ
فما في كتابِ الله أن يجفوانني ... وأن يعملا ساقِي على الكسلاتِ
وأما مادم: فكانَ عبدًا لنزار، وكانَ به جافياً، فإبق وأنشأ يقول:
أقران هل لي من رسولٍ إليكم ... أخي ثقةٌ يقري السلامَ ويخبرُ
أنكرتم أن تعتقوني، وإني ... لأن تملكوني، آخرَ الدهرِ، أنكرُ
وأما بسطام: فكانَ عبدًا لبني عدي، وهو الذي يقول:
لئن قصرتُ في عينِ الناسِ قامتي ... فإن لساني في النديّ طويلٌ
أطال لساني طائلٌ لا أغبهُ ... ووجهٌ كمصباحِ الظلامِ، جميلٌ
وعرضٌ كأنَّ النجمَ لا يستطيعُهُ ... وأبيضُ من ماء الحديدِ، صقيلٌ
وما ضربي إن كنتُ عبدًا، وناصري ... عزيزٌ، ورأيي يعد ذلك، أصيلٌ
وحول فتاتي عصبَةٌ عدويةٌ ... تميلُ على الأعداءِ حينَ أميلُ
وأما لهذم: فكانَ عبدًا لبني منقر، وكانَ مكاتباً، وهو القائل:
بقبر ابنِ ليلي عدتُ حيران، بعدما ... خشيتُ الردي، أو أن أردَّ على قسرِ
بقبرِ امرئٍ يقري المئينَ عظامهُ ... ولم نر، إلا غالباً، ميتاً يقري
فقال لي: استقدمُ أمامك، إنما ... فكاكك أن تلقى الفرزدقَ بالنصرِ
وأما المر قال: فكانَ عبدًا مكاتباً لزياد، وهو القائل:

يا فارحَ الهمِّ وكرِبِ الكاربِ
إليك أشكو طالعِ المكاتبِ
وعضَّ غرمٍ في زمانِ كاربِ
وزاهداً في الآخرِ غيرِ راغبِ
وله في العار:

لم يعجلِ الرحمنُ بالعقابِ
لعامراتِ البيتِ بالخرابِ
حتى تسرعنَّ إلى الثيابِ
كحلِّ العيونِ، وقصِّ الرقابِ
مكتسياتٍ دكنَ الحجابِ

مستتبعاتِ خلفها الأذنانِ
مثل مداري الحصن السلابِ
أهوى لهنَّ أمرُ إهابِ
مهرت الشدق، حديد النابِ
كأنما يوثقُ بالحرابِ
وأما شنير: فكان عبداً، وهو القائل:

ما زلتُ أرعى كلَّ نجم يسري
حتى إذا لاحَ عمودُ الفجرِ
خرجتُ منهمُ في الفضاءِ أجري
فواحدٌ ملتزمٌ بصدري

وآخرٌ ملتزمٌ بنحري
وآخرٌ ملاصقٌ بفكري

أسبقهمُ إلى أصولِ الخدرِ
كأنهمُ خنافسٌ في حجرِ

إذا بكوا عللتهمُ بالنحرِ
لم يتشكوا تخمةً في الدهرِ

وكلهمُ في ساعةٍ يستمري
ليس لهمُ باللحمِ بعد الفطرِ

عهدٌ، ولا يرجوه حتى الحشرِ
وأما جندل: فكان عبداً، وهو القائل:

وما فكَّ رقي ذاتُ دلٍّ خبرنجٍ ... ولا شانَ مالي صدفةً وعقولُ
ولكنْ نماني كلُّ أبيضٍ ماجدٍ ... فأصبحتُ أدري اليومَ كيفَ أقولُ

وأما أبو دلامة: فكان عبداً لفضاض الأسدي، ومملكه فأعتقه، فكان من صحابة أبي جعفر المنصور. وكان أبو دلامة غزير الشعر، مفتناً في أساليبه، وكان مع ذلك كثير النادرة والهزل. ويروى أنه مثل بين يدي أبي جعفر المنصور، فأنشده:

إني أرقْتُ، وقد باتتُ تعاتبي ... أمُّ الدلامةِ لما شفها الجزعُ

لا والذي، يا أمير المؤمنين، حوى ... لك الخلافةَ، في أكنافها الرفعُ
ما زلتُ أكسبها مالاً فتأكله ... دوني، ودونَ عيالي، ثمَّ تضطجعُ
ناشدتها بكتابِ اللهِ حرمتنا ... فلم تكنْ بكتابِ اللهِ ترتفعُ
فاخرنطمتُ، ثمَّ قالتُ، وهي معرضةٌ ... أنتَ تتلو كتابَ اللهِ يا لكعُ

إذهب تبغ لنا نخلاً ومزدرعاً ... كما لجيراننا نخلٌ ومزدرعٌ
واحدٌ خليفتنا، إن كنت سائله ... إن الخليفة للسؤال ينخدعُ

فقال له الخليفة: قد انخدعنا لك، سل حاجتك. قال: جريب مساحه في بيت المال، قال: هو لك. فخرج إلى
الحزان فخط ستين في ستين، فدخلت بيوت الأموال فيه، فقال الحزان: يا أمير المؤمنين ورد اليوم أمر من
أمرك احتجنا فيه إلى مناظرتك، قال: وما هو؟ قالوا: إن أبا دلامة أتانا فخط ستين في ستين وقال: قد أمر
أمير المؤمنين بهذا صلة تحوي بيوت الأموال. فقال: علي به، فقال: ويلك تسألني مسألة محال؟ فقال: والله، يا
أمير المؤمنين، لقد علمت أن ذلك لا يسوغ لي، ولكن لك ضيعتين على شاطئ الفرات، إحداهما نورا،
والأخرى برنورا، وهما مشتقان من اسم النار، وأبو دلامة عياله أحق بالنار منك. فقال: خذهما، لا بارك الله
لك، فهما ومغلهما خمسون ألف دينار. فكانت في يدي أبي دلامة وورثته إلى أن بادوا. وفي رواية أخرى أنه
قال له المنصور: قد أقطعتك أربعمئة جريب، نصفها عامر ونصفها غامر، قال: وما الغامر؟ قال: الذي لا
شيء فيه، قال له: فقد أقطعتك من العنبيب إلى العلبية. فضحك منه، وأقطعه ما أراد.

وروى ابن عائشة قال: خرج المهدي إلى الصيد، ومعه علي بن سليمان الهاشمي، فرمى المهدي ظبياً فصاده،
ورمى علي آخر فأخطاه وأصاب الكلب. فقال المهدي: من ها هنا من الشعراء؟ فقالوا: أبو دلامة، فقال له:
قل في هذا شيئاً، فأنشأ يقول:

قد رمى المهدي ظبياً ... شكك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليمان ... ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كل ... امرئ يأكل زاده

فقال المهدي: صدق والله، لتأكلنه أو لتفدينه. ففداه علي بن سليمان ألف درهم دفعت إلى أبي دلامة.
وقيل: إن أبا دلامة كان ليلة عند المنصور، فقال له المنصور: أشتهي أن أقيم معك غداً، وفلان وفلان، ولا
يدخل إلينا أحد، فبكر إلي. فلما سمع ذلك علي بن سليمان قال له: يا أبا دلامة أنت تبكر إلى الدار وأنا
أبكر، فبت عندي الليلة، فقال: أخاف أن تسقيني حمراً، فأبطئ عن المصير إلى أمير المؤمنين. قال له: لا
تشرب شيئاً أصلاً. فلما صار إلى منزل علي بن سليمان، دعا بالعشاء، ثم دعا بالستائر فضربت، وغناء
المغاني، وأمر علي بن سليمان برطل فشربه، فقال أبو دلامة: لو شربت رطلاً واحداً ما كان به بأس، فقال
له ابن سليمان: لا تفعل. فما سمع منه، وأخذ وشرب، وأمر الجواري لا يقطعن الغناء. فشرب أبو دلامة
حتى سقط سكرًا، وأمر الجواري لا يسكتن، والشموع لا تطفأ، والطعام لا يزال، وأبو دلامة في عيش
طيب. فبقي كذلك ثلاثة أيام، وهو يظن أنه في ليلته، حتى تطلبه المنصور فلم يجده، فأمر بهدم داره. فقال له
ابن سليمان: هو، والله يا أمير المؤمنين، عندي. وقص عليه قصته، فأمر به، فأحضر وهو سكران لا يعي
بنفسه. فأمر به فضرب ضرباً وجيعاً، وحبسه في المطبخ، في بيوت الدجاج. فبقي نائمًا والدجاج يسلمح عليه
وعلى وجهه، وينقر أنفه. فانتبه في الليل فصاح إلى جواريه: فلانة، فلانة، وإلى خدمه: فلان، وفلان، ما
جاوبه أحد، وهو يظن أنه في منزله. فقال له الطباخ: أتدي أين أنت؟ قال: لا والله. فقص عليه القصة،
وعرفه ما اعمد المنصور معه، فبقي حائرًا. فما كان إلا ساعة، وجاء رسول المنصور يطلبه. فلما مثل بين

يديه أنشأ يقول:

أمير المؤمنين وقتك نفسي ... علام ضربتني، وخرقت ساجي
وفيم حبستي من غير جرم ... كأني بعض عمال الخراج
فلو فيهم حبست، لكان ذاكم ... ولكني حبست مع الدجاج
وقد كانت تحدثني ذنوبي ... بأني من عقابك غير ناج
على أي، وإن لاقيت شراً ... لخيرك، بعد ذلك الشر، راج
أفي صفراء صافية المزاج ... كأن شعاعها هب السراج
وقد طبخت بنار الله، حتى ... لقد صارت من النطف النضاج

فقال ابن سليمان: شرب الخمر يا أمير المؤمنين، فسله بأي نار طبخت؟ قال أبو دلامة: بنار الله الموصدة، التي تطلع على فؤاد من علمك. فضحك المنصور منه وأجازه.

الإمام من شواعر النساء

وهن: عنان، والذلفاء، ورييم، وفضل، وملك، وخنساء، وصراف، ومخنتة، ومدام، وخشف، وعلم، وريا، وسكن. وسكن أغزهرن وأشهرهن ذكراً، وإنما أكثرهن افتناناً عنان، جارية الناطفي.
عنان جارية الناطفي وهي صاحبة أبي نواس، وبينهما معاتبات ومضاحكات، وتهاجيا في آخر أمرهما. وكان لها ظرف بارع، وأدب كامل، في سرعة جواب. وكان لها مجلس ينتابه السراة والشعراء وأهل الأدب، يطارحوها الأشعار ويناشدونها.

فمن شعراها ترثي مولاها:

يا موت أفيت القرون، ولم تزل ... حتى سقيت، بكأسك، النطافا
يا ناطفي، وأنت عنا نازح ... ما كنت أول من دعوته فوافي
وقالت:

نفسى على زفرتها موقوفة ... فوددت لو خرجت من الزفرات

لا خير بعدك في الحياة، وإنما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي

قال محمد بن سليمان الكاتب: إفتصد الرشيد يوماً، فأهدى له يحيى بن خالد جارية عوف الخياط. فأقامت عنده شهراً، قم وهبها لخزيمة بن خازم.

ففي ذلك تقول عنان، تمدح يحيى، وتطلب أن يبتاعها:

نفى النوم عن عيني حوك القصائد ... وآمال نفس، همها غير واحد

إذا ما نفى عني الكرى طول ليلتي ... تعودت منه باسم يحيى بن خالد

وزير أمير المؤمنين، ومن له ... فعلاان من جود: طريف وتالد

على وجه يحيى غرة يهتدي بها ... كما يهتدي ساري الدجى بالفراق

بلغت الذي لم يبلغ الناس مثله ... فأنت مكان الكف من كل ساعد
تعود إحساناً، فأصلح فاسداً ... وما زال يجي مصلحاً كل فاسد
وكانت رقاب من رجال تعطلت ... فقلدها يجي كرام القلائد
على كل حي من أياديه نعمة ... وآثاره محمودة في المشاهد
ففعلك محمود، وكفك رحمة ... ووجهك بدر، نوره غير خامد
مننت على أختي منك بنعمة ... صفت لهما منها عذاب الموارد
فمن بما أنعمت منها عليهما ... علي، وقاك الله كيد المكائد
أعود من الحرمان منك بخالد ... وطيب تراب، فيه أعظم خالد

وذكرها يجي هارون الرشيد، فأمر بشرائها، فاشتراها بثلاثمائة ألف درهم، وأمر صاحب بيت المال برفع
المال إلى مولاه. فقال لمولاه: اجعل لي من هذا المال عشرة آلاف درهم، فأبي أن يفعل. فأمر صاحب بيت
المال بثلاثين حملاً، فحملت البدر، وأدخلها على الرشيد، فقال: ما هذا؟ قال: هذا ثمن عنان. قال: ويملك
هذا كله سرف، رده إلى بيت المال. وأبطل شراءها. ثم بعد ذلك عزم يجي على معاودة الرشيد في أمرها،
فعاق عن ذلك حادثهم.

وقال: أحمد بن إبراهيم: هويت عنان فتى من أهل بغداد، لا نبات له بعارضيه، في غاية من الحسن، وكان
يدعي النسك والعباد. فطلبت وصاله فأبي. ثم أن الفتى بعد ذلك نبت لحيته، وضجر من طول الزهد،
فأتاها يلتمس منها ما كانت تلتمس منه، فأنشأت تقول:

هلا وأنت بماء وجهك تشتهي ... رؤد الشاب، قليل شعر العارض
الآن إذ نبت بحدك حية ... ذهبت بملحك، ملء كف القابض
مثل السلافة عاد حمر عصيرها ... بعد اللذاذ خل حمر، حامض
وقالت:

إلى الله أشكو طارقات من الهوى ... لها في فؤادي جمرة تنضرم
فلا مشتكى إلا إليه، فإنه ... أرق، وأحفي بالعباد، وأرحم
وحكى عنها أبو ثابت قال: خطر بقلبي بيت شعر قلته، وتعسر علي ثانيه، وطلبت من يجيزه. فتذكرت عنان
جارية الناطفي، فأتيتها وأوردت عليها الشعر، فقلت:
وما زال يشكو الحب حتى سمعته ... تنفس في أحشائه، أو تكلم
فأطرت، ساعة، ثم قالت:

ويكي فأبكي رحمة لبكائه ... إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما

ويروي عن زريق الشاعر قال: أتيتها يوماً، فلما رأني قالت: مرحباً يا عم، لقد جاء الله بك على حاجة
إليك. قلت: وما ذلك؟ قالت: إن هذا الأعرابي الذي تراه سألني أن أقول بيتاً، وقد صعب علي الابتداء،
فابتدئ علي بالقول.

فقلت:

لقد عزَّ العزاءُ، وغيلَ صبري ... غداةَ جهالم للين زفتُ
فقال الأعراي:

نظرتُ إلى أواخرها ضحياً ... وقد رفعوا لها عصياً فرنتُ
فقال عنان:

كتمتُ هواهمُ في الصدرِ مني ... على أنَّ الدموعَ عليّ نمتُ
قال: ودخلت إلى بعض الأمراء فكتب إليها:

ماذا تقولينَ فيمن شفه سقمٌ ... من فرطِ حبك، حت ظلَّ حيرانا
فكتبت تحت هذا الشعر:

إذا رأينا محباً قد أضربَ به ... جهدُ الصبابةِ، أوليناهُ إحسانا
وعرضت على عيسى بن جعفر، فأعجبته، فغمزها وقال:

جوذي لصبِّ حزينٍ ... يكفيه منك قطيرة

فقال:

إيأيَ تعني ... بهذا؟ عليك فاجلدُ عميرة

ودخل عليها أبو نواس، وقد ضربها مولاها، وهي تبكي، فقال:

بكتُ عنانٌ فجرى دمعا ... كالدرِّ قد توبع في خيطه

فقال:

أجل، ومن يضربها ظالمٌ ... تيسُّ يمناهُ على سوطه

وقالت تمجو أبا نواس:

يا نواسي، يا نفايةَ خلقِ الـ ... قد نلتَ بي سناءً وفخرا

متٌ متى شئت، قد ذكرتكَ في الشع ... ر، وجررُ أطرافَ ثوبك كبرا

لا تسبح، فما عليك جناحٌ ... جعلَ الله بين لحبيكَ دبرا

فإذا ما أردت أن تولى الـ ... ه على ما أبلى وأولاك، شكرا

فاذكر الله بالضمير وبلاي ... ما، ولا تذكرن ربك جهرا

فأخذ هذا المعنى البلاذري فقال:

يسبحُ لا من تقى أحمدٌ ... يجبُ النظرُ بالسبحه

ويخرجُ أنفاسه كالفسا ... يفتقه السرمُ عن سلحة

أبا جعفرٍ فنوقَ الإله ... ولا تذكر الله من فقحة

وقالت تمدح جعفرا بن يحيى:

يا لائمي، جهلاً، ألا تقصرُ ... من ذا على حرِّ الهوى يصيرُ

لا تلحني أني شربتُ الهوى ... صرفاً، ومزوحُ الهوى يسكرُ

أحاطَ بي الحبُّ، فخلفي له ... بحرٌ، وقدامي له أبحرُ
تحفُّقُ راياتِ الهوى بالردى ... فوقِي، وحوالي للردى عسكرُ
سيانٌ عندي، في الهوى، لائمٌ ... أقلُّ فيه، والذي يكثرُ
أنتَ المصفي من بني برمكٍ ... يا جعفرَ الخيراتِ، يا جعفرُ
لا يبلغُ الوصفُ في وصفه ... ما فيه من فضلٍ، ولا يحصرُ
ما عصرتُ عوداً يدُّ لامرئٍ ... أطيبَ من عودك إذ يعصرُ
من وفرَ العرضَ بأمواله ... فجعفرُ أعراضه أوفرُ
ديباجةَ الملكِ على وجهه ... وفي يديه العارضُ الأحرُ
سحتٌ علينا منهم ديمةٌ ... ينهلُ منها الذهبُ الأحمرُ
لو مسحتُ كفاه جلمودةً ... نصرَ فيها الورقُ الأخضرُ
لا يستتمُّ الحمدُ إلا فتى ... يصبرُ للبذل، كما يصبرُ
يهترُّ تاجُ الملكِ من فوقه ... فخراً، ويزهرُ تحتهُ المنبرُ
يشبههُ البدرُ إذا ما بدا ... أو غرةً في وجهه ترهُ
والله ما ندرِي أبلرُ الدجى ... من وجهه، أم وجههُ أنورُ
يستمطرُ الزوارُ منك الغنى ... وأنتَ بالزوارِ تستبشرُ
عودتَ طلابَ الندى عادةً ... إن قصروا عنك، فما تقصرُ
قال جامع الكتاب: لقد طربت لهذه الأبيات، حتى كررتها فحفظتها.

وأما الذلفاء: فكانت أمة لابن الطرخان، وكان الشعراء أيضاً يأتونها ويطارحونها، وكانت حسنة الجواب.
ودخل عليها مروان بن أبي حفصة، وعندها أبو نواس وغيره من الشعراء، فقال مولاها لمروان: يا أبا يحيى
إختر لها بيتاً لتجيزه. فقل: قول جرير:

غيضنَ من عبراقتنَّ، وقلنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهوى، ولينا
فقال، وكانت تشب بالرشيد:

هيجتَ بالبيتِ الذي أنشدتني ... حباً بقلبي، للإمام، دينا
قال: فقام أبو نواس مغضباً، وهو يقول:

عجباً من حماقةِ الذلفاءِ ... تشتهى ... الخلفاءِ
فقال:

إنَّ أحرى الأمورِ عندي منلاً ... شهواتُ الأكفاءِ للأكفاءِ
ويقال: إن العباس بن الأحنف دخل على الذلفاء يوماً، فقال: أجزبي:

أهدى له أحبابه أترجةً ... فبكي، وأشفقَ من عياقةِ زاجرٍ
فقال:

متطيراً مما أتاه، لأنها ... لوانان: باطنها خلاف الظاهر
وأما ريم: فكانت جارية إسحق بن عمرو السلمي. وكانت شاعرة مجيدة. فامتحنها أبو اليدين عبد الرحمن،
وكتب إليها:

ألا من لعينٍ لا ترى أسودَ الحمى ... ولا ناضرَ الريانِ إلا استهلتِ
طروبٍ إذا حنتُ، لجوجٍ إذا بكتُ ... بكتُ فأدقتُ في الهوى، وأجلتِ
فكتبتِ الجواب في ظهر الرقعة:
فليسَ مدنيه البكاءُ من الحمى ... وإنْ كثرتُ منه الدموعُ، وقلتِ
يحنُّ إلى أهلِ الحمى، فدموعُهُ ... تسحُّ، كما سحتُ سماءً تدلتِ
فلم يصدق أن الشعر لها، فكتب إليها شعراً لجحاف لا يعرفه أحد، وهو:
كيف المقام بأرض لا أشدُّ بها صوتي ... إذا ما اعترني سورة الغضب
فكتبت في الجواب:

ما إن يطيبُ مقامُ المرءِ في بلدٍ ... فيه يخافُ ملماتٍ من العطبِ
فاحللْ بلادَ أنسٍ لا رقيبَ بها ... فما يطيبُ لمرِّ عيشٍ مرتقبِ
وأما فضل الشاعرة: فقد قال أحمد بن أبي طاهر: كنا نجتمع معها كثيراً. فجلسنا يوماً، أنا وهي وسعيد بن
حميد الكاتب، فكتب إليها سعيد:

علمَ الجمالِ تركني ... بهواكِ أشهرَ من علمِ
فجابتها:

وتركني يا سيدي ... غرضَ العواذِلِ والتهمِ
صلةُ المحبِّ حبيبه ... الله يعلمها كرمِ

وكتبت إلى سعيد بن حميد، وقد رأته يكثر العبث بقينة:

يا حسنَ الوجهِ، سيءَ الأدبِ ... شبتَ، وأنتَ الغلامُ في اللعبِ
ويحكُ إنَّ القيانَ كالشركِ الل ... منصوبٍ بين الغرورِ والعطبِ
بيننا تشكى إليك، إذ خرجتُ ... بعدَ التشكي منها إلى الطلبِ

لا يتصدِنَ للفقيرِ، ولا ... يطلبنَ إلا معادنَ الذهبِ

تلحظُ هذا وذا، وذاك وذا ... لحظَ محبِّ، ولحظَ مكتسبِ

وكتبت إلى آخر كانت توده:

يا منْ تزينتَ العلومُ بفضلِهِ ... وعلا، ففاتَ مراتبَ الأدباءِ

ما هكذا يجفو الأديبُ أدبيةً ... حلتُ، وحلَّ مراتبَ العلماءِ

سرفَ الإلهة عن المودةِ بيننا ... وعن الإخاءِ شماتةَ الأعداءِ

وقالت فضل: استدعاني يوماً أمير المؤمنين الموكل، فلما دخلت عليه قال: إن بعض الجوارى قالت بيتاً فما
يجيزه سواك. فقلت: ما هو؟ فقال:

أقامَ الإمامُ منارَ الهدى ... وأخرسَ ناقوسَ عمورية
فقلت:

فأضحى به الدينُ مستبشراً ... وأضحتْ زنادُ التقى موريه
وأما خنساء: فكانت جارية للفضل بن يحيى بن خالد. قال أبو عمرو: كتبت إلى خنساء:
خنساء، يا خنساء حتى متى ... يرفعُ ذو الحبِّ، وينحطُ
وكيف منجاتي، وبجرُّ الهوى ... قد حفَّ بي، ليس له شطُّ
فكتبت:

يدركك الوصلُ فتجوبه ... أو يقعُ المهجرُ فتغطُّ
وأما ملك: فكانت جارية لأم جعفر. وروى أبو زيد مر بن شبة، قل: كتب بعض الشعراء إلى ملك، وكان
يهوها:

يا ملكُ قد صرتُ إلى خطاةٍ ... رضيتُ فيها منك بالضم
يلومني الناسُ على حبكم ... والناسُ أولى منك باللوم
أشكو إليك الشوقَ يا منيبي ... والموتُ من نفسي على سوم
فكتبت إليه:

إن كانتِ الغلمةُ هاجتْ فقمِ ... وعالجِ الغلمةَ بالصوم
ليس بكِ الشوقُ، ولكنما ... تدورُ من هذا على كوم
وأما صرف: فكانت مملوكة لابن عمرو، وكانت شاعرة مضافة لعبد الصمد بن المعدل. قال أبو زيد: كتب
إليها عبد الصمد يوماً:

حبوتُ صرفاً بهوى صرفٍ ... لأنها في غايةِ الظرفِ
يا صرفُ ما تقضينَ في عاشقٍ ... بكاؤهُ بيدي الذي يخفي
فكتبت له:

لبيكِ من داعٍ، أبا قاسمٍ ... يا غايةَ الآدابِ واللفظِ
صرفُ التي أصفتكِ محضَ الهوى ... يقصرُ عن حبكمُ وصفي
وأما خشف: فكانت جارية للعباس بن الفضل. وهي القائلة في رجل كانت تمواه:
لو كنتُ رزقي ما أردتُ زيادةً ... ولقلتُ: أحسنَ رازقي وأصابا
وأما علم: فكانت جارية لأحمد بن يزداد. ومن شعرها، وروى عنها المبرد، قولها:
شكى صاحبي أتعابهُ العيسَ في السرى ... فلم يلفَ في الشكوى عليَّ معولا

وأعَبَ عندي من مطايا بقفرةٍ ... وبعدها منها شقةً وترحلا
حشاً يمتطيها الشوقُ في كلِّ ساعةٍ ... تقرُّها البلوى إلى الحنْفِ منزلا
وأما مدام: فكانت جارية، وكانت للعباس بن الفضل مواصلة. فكتب إليها:

كوفي بخير، وإن أصبحت في شغل ... القلبُ قلبكُ أعيتُ دونه حيلي
لو كنتُ أحسنُ هجرًا ما هجرتكم ... أو كنتُ أعرفُ غيرَ الوصلِ لم أملِ
أقررتُ بالذنبِ، خوفًا من عقابك لي ... وقلتُ: ما الذنبُ إلا لي، ومن عملي
لما لحظتُ سوائي لحظَ مكنتم ... علمتُ أنكُ قد وفيتني أجلي
كتبتُ، والدمعُ في القرطاسِ منحدرٌ ... وإن شككتُ تبينه في البللِ
فأجابته:

كم قد تعلتُ بالتسويقِ والأملِ ... وكم تجرعتُ من لومٍ، ومن عدلِ
وكم رجوتُ، إذا ما الدهرُ باعدني ... بأن أدالَ على قلبي، فلم أدلِ
لم يكفِ أن حزتُ نومي عن مسالكه ... فليسَ يطرقُ في ريثٍ، ولا عجلِ
إن كنتُ ختكتُ في عهدي مختالَةً ... أو عمدتُ عينٍ، أو استبدلتُ من بدلِ
فلا رأيتكُ يوماً إذا ... عني بغيرٍ، ولا من أمني
أمسى كتابكُ مبلولاً، وقد درستُ ... منه السطورُ، ورسمُ الدمعِ لم يزلِ
إذا بي، أو خنتَ خالصتي ... أو غبتَ عني، فذا أقصى عقابك لي
وكتب إليها أيضاً:

تبرمتُ بعدالي ... وبثَّ القيلِ والقالِ
فما يخطرُ من بعد ... كِ في الحبِّ على بالي
فكفي من تحبيك ... الذي هيجَ بلبالي
وعودي كالذي كنتِ ... لنا في الزمنِ الخالي
وإلا كانَ شكوانا ... إلى الشاهِ بنِ ميكالِ
فكتبتُ إليه:

بنفسي أنتَ من قال ... وبالأهلِ، وبالمالِ
إذا ما كنتُ أرعى ل ... كَ حبيك، وترعى لي
ولم تسألَ من واشٍ ... فما الشكوى إلى الوالي
وأما رياء: فكانتَ جارية لابن القراطيسي، وكانت شاعرة. أنشد السيد بن أنس التليدي:
وإذا ترعرعَ من تليدٍ ناشئٍ ... جعلَ الحسامَ ضجيعه في المسهدِ
فكتبت:

قومٌ لهم شرفٌ وعزٌّ تالدٌ ... يفنى الزمانُ وعزهم لم ينفدِ
اللهُ خصَّ قديمهم وحديثهم ... دون البرية بالعلی والسودِ
أضحى يقرهم بكلِّ فضيلةٍ ... من كان يجحدهم، ومن لم يجحدِ
وقامَ فخرهم إذا ما فاحروا ... يومَ التناصلِ بالنجيبِ السيدِ
وأما مخنثة: فكانت جارية لزهير. وقال ابن أبي خليصة: بعث يوماً زهير إلى أبي نواس فأحضره، وعرض عليه

مخنثة، وكانت من أطرف الناس. فلما رآها قال:

للحسن فيه صنيع ... له القلوب تريعُ

فما إليه سبيل ... ولا إليه شفيعُ

فقالت في وقتها:

أبو نواس خليعُ ... له الكلامُ البديعُ

وواحدُ الناس طراً ... له أقرُّ الجميعُ

وقالت ترثي ابن مولاها، وقتل ببغداد مع الأمين:

أسألُ ناعيه، والذي شهدَ ال ... ليثَ عليه الكلابُ تقتلُ

تنهشُ شلواً، أعزُّ عليَّ به ... يسحبُ طوراً والمتنُ منخدلُ

أأنتُ أبصرتهُ يلابُ به ... في أرضِ بغدادَ أيها الرجلُ

إن كنتُ أبصرتهُ كذلكَ فما ... ينجو شديدُ القوى، ولا فشلُ

فلو تراه عليه شكنته ... والموتُ دانٍ، والحربُ تشتعلُ

لحلتَ أن القضاءَ في يده ... أو المنايا في كفه رسلُ

كأنه آمنٌ منيته ... في الروعِ لما تشاجرَ الأسلُ

فانظر، بالله، أيها المتصفح هذا الكتاب ما أحسن هذه المعاني العجيبة، والألفاظ المرققة العذاب! فما الذي

أبقت هذه المرأة العبدة للرجال الأحرار؟.

وأما سكن: فكانت جارية لحمود بن الحسن الوراق الشاعر. وكانت شاعرة مجيدة، حسنة النظر في العلوم.

وهي القائلة تمدح أبا عدنان دلف بن أبي دلف:

أهدتُ لقلبك غصةَ التلفِ ... ودعتُ إليك دواعي الأسفِ

عاداتُ مقلتها إذا نظرت ... رشقُ القلوبِ بأسهمِ الشغفِ

كم من أسيرِ هوىٍ لمقلتها ... بادي الصباية، ظاهر الكلفِ

وقفتُ على الأسقامِ مهجته ... سمحُ المقادة، غيرُ منتصفِ

إن المكارمَ بعدَ قاسمها ... ألفتُ أعتتها إلى دلفِ

ما من أبي دلفِ سوى دلفِ ... في البأسِ والأفضالِ من خلفِ

جادتُ يداهُ بفضلِ نائلةٍ ... حتى رماه الناسُ بالسرفِ

يمضي عزيمتهُ، وراحتهُ ... تقضي على الأموالِ بالتلفِ

أوفتُ على قليلِ العلاءِ به ... همتُ ذي هممٍ، وذو شرفِ

أبلغُ أبا عدنانَ عن سكنٍ ... شعراً، قريبَ العهدِ بالصحفِ

لكنه ستطولُ مدتهُ ... ويسيرُ سيرَ الراكبِ العنفِ

إذ كنتَ تمتدحُ المديحَ كما ... قد كانَ يمدحهُ أبو دلفِ

فمديحهُ إعطاءً نائلةً ... عفواً، بلا من، ولا سرف
ومن أشعار الإمام وأخبارهم مما لا يعرف كثير. وقد بلغني أن بعض الجواري كانت تموى سيدها، فباعها،
فاشتد وجدها عليه، فقالت:

نأت دارُ من أهوى فما أنا صانعٌ ... أمصطبرٌ للبين، أم أنا جازعُ
كفا حزناً أُنِي تحييتُ عامداً ... ولم أخشَ فجَعَ البينِ، والبينُ فاجعُ
فإن تمنعوني أن أبوحَ بحبه ... فليسَ لقلبي من جوى البين مانعُ
فلما سمع المشتري شعرها ردها إلى مولاه. وبلغ ذلك عبد الله بن طاهر، فكتب إلى نائبه أبي القاسم، يأمره
أن يتعرف خبرها ويمتحنها. فركب أبو القاسم إلى مولاه، فأقرأه الكتاب، فأخرج إليه الجارية، فامتحنها
عنتاً، وقال:

بديعُ صدِّ، قريبُ هجرٍ ... جعلتهُ منه لي ملاذا
فقالت:

فعاتبوه، فقال كبراً، ... إن ماتَ عشقاً يكونُ ماذا؟
فقال:

قد ماتَ من قبله جميلٌ ... وعروة ماتَ قبلَ هذا
فقالت:

فكلهم ذواقَ كأسِ حنفيٍ ... والحبُّ، يا عاذلي، على ذا
فكتب نائب عبد الله بن طاهر بما شاهد، فأمره أن يشتريها. فورد الكتاب، وقد ماتت الجارية.

شعر المجانين

وما نخبره من أشعارهم

وليس مذهبنا في ذلك أن نذكر مثل مجنون مشهور، مثل مجنون بني عامر، وفيه وفي نظرائه اختلاف. ولكننا
ذكرنا من المميزين، الذين غلبت عليهم السوداء والاحتراق، ثم تعود إليهم عقولهم. ولجماعة منهم نوادر
ق جمعها بعض العلماء.

فأردنا أيضاً أن نذكر غير الذي ذكر من نوادر أولئك، ولم نذكر سوى أشعارهم، وعدلنا عن ذكر
نواديرهم. إذ كان غرضنا التنبيه على الشعراء على اختلافهم.
وهم: أبو حية النميري، واسمه الهيثم بن الربيع. ومنهم: ماني، وبهلول، وجعيفران، والعباس المشوق، وخالد
الكاتب. وغرضنا في هذا الكتاب الاختصار الذي ما بعده اختصار.

ذكر أبي حية النميري

ذكر الجاحظ: أنه كان أجن من جعيفران وأشعر. وروى المبرد عن الأصمعي أنه سئل عن المجنون المسمى قيس بن معاذ، فقال: لم يكن مجنوناً، وإنما كانت به لوثة كلوثة أبي حية. يقال: رجل ألوث، إذا كان به هوج. ورجل به لوثة، أي اختلاط وفساد واسترخاء. ولأبي حية:

ألا حيّ أطلالَ الرسوم، البواليا ... لبسنَ البلى، لما لبسنَ اللياليا
تحملَ منها الحيّ، وانصرفتُ بهم ... نوى، لم يكنْ منَ قادهَا لكِ آويا
حنتكِ الليالي، بعدما كتّ مرةً ... سوى كالعصا، لو كنَّ يقيّنَ باقيا
إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ ... تقاضاهُ شيءٌ لا يملُ التقاضيا
وهمّ طرا من بعد ليلٍ، ولا ترى ... لهمّ طرا مثل الصريمة ماضيا
وإني لما أن أجشمتُ صحبتي ... ونفسي والعيسَ العمومَ الأفاصيا
ويقول فيها:

أصابوا رجلاً آمين، وربما ... أصابَ بريئاً جرماً من كان جانيا
فلما سعى فينا الصريخُ، وطالما ... نلبيه، أنجدنا اللهيفَ المناديا
بأسدٍ على أكتافهنَّ إذا عصوا ... بأسيا فهم كانوا حنوفاً قواصيا
بأسيا في صدقٍ في أكفِّ عصابةٍ ... كرام أبوا في الحربِ إلا
ومن نادر شعره ورقيق غزله يصف امرأة حال استنارها:
فأرختُ قناعاً دونه الشمسُ، وأتقتُ ... بأحسنِ موصولين: كفٍّ ومعصمٍ
وهذا البيت يفضل على بيت النابغة في قوله:
سقطض النضيفُ، ولم تردّ إسقاطه ... فتناولته، واتقتنا باليد
ومن شعر أبي الحية المشهور المستطرف، من قصيدة أولها:
أبكاكُ رسمُ المنزلِ المتقادمِ
وخبركِ الواشونَ أن لا أحبكمُ ... بلى وستورِ الله ذاتِ المحارمِ

كتاب : المذاكرة في ألقاب الشعراء

المؤلف : الششابي الإربلي

أصدُّ، وما الهجرُ الذي تحسبينه ... عزاءً بنا، إلا ابتلاع العلام
حياءً وبقيا أن تشيعَ نيمَةً ... بنا، وبكم، أفٍ لأهلِ النمام
وإنَّ دماً لو تعلمين جنيتهُ ... على الحيّ جانٍ مثله غير سالم
أما إنه لو كان غيرك أرقلتُ ... إليه القنا بالرافعاتِ اللهادم
ولكن، وبيتِ الله ما طلَّ مسلماً ... كغرّ الثنايا واضحاتِ الملاغم
إذا هنَّ ساقطنَ الأحاديثَ للفتى ... سقوطَ حصي المرجانِ من سلكِ ناظم
رمينَ فأقصدنَ القلوبَ، ولا ترى ... دماً مائراً إلا جوىً في الحيازم
قوله: ساقطنا الأحاديث من قول جميل بن معمر العنري، وعمر بن أبي ربيعة.
فأما قول جميل:

ما صائبٌ من نابلٍ قذفتُ به ... يدٌ وممرُ العقدينِ وثيقُ
له من خوافي النسْرِ حمٌّ نظائرٌ ... ونصلُ كنصلِ الزاغي فتيقُ
قوله: فتيق يعني حاد، والزاغي منسوب إلى رجل من الخزرج يقال له: زاغب.
على نعبةٍ روداء، أما خطامها ... فمتنٌ، وأما عودها فعتيقُ
بأوشكَ قتلاً منك يومَ رميتني ... نوافذٌ لم يظهرَ لهنَّ خروقُ
والذي قاله عمر بن أبي ربيعة:

وأصابتُ مقاتلي بسهامٍ ... نافذاتٍ، وما تبينَ كلمُ
بحديثٍ بمنله تنزلُ العص ... م، رخيم، يشوبُ ذلك حلمُ
ومن مراثيه المستحسنة:

يرومُ جسيماتِ العلي فيناها ... فتى من جسيماتِ المكارمِ راغبُ
فإن تمسَّ وحشاً دراه، فلربما ... تواضحُ أفواجاً إليها المواكبُ
يحييونَ بساماً كأنَّ جبينه ... هلالٌ بدا، وانجابَ عنه السحائبُ
وما غائبٌ من يرجى إياهُ ... ولكنهُ من غيبِ الموتِ غائبُ
وقال الآخر:

ولم تنأ دارٌ من مرجى إياهُ ... وتناى بمن رصتْ عليه الحفائرُ
وقال الآخر:

كلُّ ذي غربةٍ سيرجعُ يوماً ... غيرَ غيابِ زائراتِ القبورِ
وأول من ابتدع هذا المعنى في قوله:
وكلُّ ذي غيبةٍ يؤوبُ ... وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ

وأشده محمد بن يزيد لأبي حية، وهو مما يفضل لتلخصه من التكلف:
رمتني، وستر الله بيني وبينها ... ولكنَّ عهدي بالنضالِ قديمٌ

ذكر ما بي المجنون

كان ما بي شاعراً مفلقاً مبرزاً. فمن شعره:
وكأما همتك قوى أجفانه ... بالراح، أو سبيت ياغفاه
لو صافح الماء القراح بكفه ... لجرت أنامله مع الماء
يرنو إلى نعم بلحظة مسعف ... ولسانه وقف على لاء
ماء النعيم بخده متقطر ... والصدغ منه كعطفة الرءاء
وقوله، وقد جاء في بيت واحد، بمعنيين، وابن الرقع جاء في بيتين بمعنى واحد. وروى عن الأصمعي أنه قل:
أحسن ما قيل في العين قول ابن الرقاع:

وكأما بين النساء أعارها ... عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصدها النعاس، فرقت ... في عينه سنة، وليس بنائم
وروي عن إسحاق بن خلف، وكان شاعراً لأبي دلف، قال: قدم أبو دلف من بعض حروبه، وقد فتح الله
على يديه، وكان له فرس قد وجد بركة في لقاء العدو، وهو راكبه، وإذا دخل المدينة ركبه. فعن لي أن
أنظم شعراً في المعنى، وقد جازت جيوشه وجوده. فأنا قائم ألوك الشعر وأفكر في النظم، رأيت رجلاً وفي
يده قطعة تمر يأكلها، فلما سمع هممتي بالشعر أنصت له، وترك أكل التمر، وقال لي: أ، ت شاعر. فأطرقت
وأقبل أبو دلف، فوقعت له بباب الرصافة، فأنشأت أقول في الفرس:

كم كم تجرعه المنون فيسلم ... لو يستطيع شكا إليك له الفم
في كل منبت شعرة في جلده ... خط ينمقه الحسام المخدّم
ما تدرك الأرواح أدنى جريه ... حتى يفوت الريح، وهو مقدم
رجعته أطراف الأسنة أشقراً ... واللون أدهم حين ضربه الدم
وكأما عقد النجوم بطرفه ... وكأنه بعرا الحجر ملجم
فنظر ملياً وقال، وهو يأكل التمر، إسمع:

كرات لحظك في العدى ... تغنيك عن سل الذكور
فسمع أبو دلف قولي وقوله، فقل لي: ما قلت مثل هذا. ثم طلب فهرب. وذكر أن جماعة تحدثوا عند ما بي
على أجود ما قيل في صفة الشعر، فقل شخص منهم: أحسن ما قيل قول كثير:

غراء تسحب من قيام شعرها ... وتغيب فيه، وهو جثل أسحم
فكأما فيه همار مشرق ... وكأنه ليل عليها مظلم

قال: وما بي مشغول بأكل قطعة ناطف في يده، فقال: إسمعوا ما قلت، قلنا: هات، فقال:

نشرتُ عليَّ غداً تراً لتظلي ... خوفَ العداةِ، من العدوِّ الموبقِ
فكأنها، وكأنني، وكأنه ... صباحانِ باتا تحتَ ليلٍ مطبقِ
قال: قُلت: أنتَ أشعر وأحسن تشبيهاً، ذاك شبه شيئين بشيئين، وأنتَ شهت ثلاثة أشياء بثلاثة.

ومن مליح غزله:

دعني جهاراً إلى عشقها ... ولم تدرِ أني ما أعشقُ
فقمْتُ، ومن مفرقي في الهوى ... إلى قدمي، ألسنٌ تنطقُ
وله:

ها أنذا تسقطني لليلي ... عن فرشي أنفاسُ عوادي
لو يجسدُ السلكُ على دقةٍ ... حقاً، لأضحى بعضَ حسادي
وله:

صعبتُ جداً، فما تراضُ ... وفي جناحي لك انخفاضُ
مالي إذا ما ظننتُ ظناً ... أخلفَ ظني بك انتقاضُ
ما يفعلُ السيفُ حين يمضي ... ما تفعلُ الأعينُ المراضُ
وله:

معدبُ القلبِ بالفراقِ ... قد بلغتُ نفسه التراقي
يحنُ شوقاً إلى غزالٍ ... أزمعَ للينِ بانطلاقِ
لم يبقَ منه السقامُ إلا ... جلدًا على أعظمِ دقاقِ
لولا تسليهِ بالتمني ... آذنتِ النفسُ بالفراقِ
ومن غزله:

هيفُ الحصورِ، قواصدُ النبلِ ... قتلنا بعيونها النجلِ
كحلَ الجمالِ عيونَ أوجهها ... فغنينَ عن كحلِ بلا كحلِ
وكانهنَّ إذا أردنَ خطي ... يقلعنَ أرجلهنَّ من وحلِ
أخذ معنى البيت الثاني نت قول الآخر:
فلشعرها من شعرها رجلٌ ... ولعينها من عينها كحلُ
وأما قوله: يقلعنَ أرجلهنَّ من وحلِ مأخوذ أيضاً من:
ويص تظلي بالعبرِ، كأنما ... يطان، وقد أعنقنَ في جدِّ، وحلا

ذكر أبي الفضل جعيفران المجنون

قيل: أتى رجل جعيفران فقال له: يا أبا الفضل شعرك رديء. فغضب وقال:
سوف أهجوكَ إن بقيت بشعرٍ ... ليس إن قوموه فلسين يسوى
ويقولون ذا رديء، وحسبي ... أن يقولوا له رديء، ويروى

قال جامع الكتاب: لا يؤخذ على جعفران إذ قال: يسوى والصواب: يساوي. وقد وقع في مثل هذا أبو عتاهية فقال:

ولربما سئل البخي ... لُ الشيءَ لا يسوى فتبلا
وقال في أبي العباس ابن الحصيب حين اتجه إلى البصرة:
ليت شعري أي قوم أجذبوا ... فأغيثوا بك من طول العجف
نظرَ الرحمن بالرحمى لهم ... وجرمناك بذنب قد سلف
يا أبا العباس، يا أحمد، عش ... وامض مصحوباً، فما منك خلف
ومن هجائه في جعفر:

ما جعفرٌ لأبيه ... ولا له بشبيه
أضحى لقومٍ كثيرٍ ... فكلهم يدعيه
وله:

قد جاءنا شاعرٌ ظريفٌ ... يعرفُ فينا بحسن صوت
قال: أنا الحضرميُّ، قلنا ... كم من كنيفٍ بحضرموت
وحدث الثقفى قال: قدم علي جعفران، وأنا عند أبي سعد الوصيفي، فأخرته عنده، لعسى آخذ منه شيئاً.
فغفل الوصيفي عنه في العطية، وهو يلزمه عنده، ويوكل من يحفظه. فوجد الفرصة في الهرب. ولما علم
الوصيفي أحضر غلماناً، وضربهم وقال: لا بد منه هذه الساعة. فنفروا في طلبه، فوجدوه عند دكان رجل
يقال، وقد كتب رقعة، وهو يتربها. فلزموه، وأخذوا الرقعة منه، وانهمز. فحملوا الرقعة إلى صاحبهم، وإذا
فيها إلى الثقفى:

يا صاحبي من تقيفٍ ... يا مؤنسي وأليفي
يئستُ من كلِّ خيرٍ ... عند ابن سعد الوصيفي
فرحتُ لا بطيفٍ ... ولا بغير طيفٍ
سوى طعامٍ يسيرٍ ... خلقتُهُ في الكنيفِ
كأنني في خروجي ... خرجتُ من بيتِ كوفي
ومما يتمثل به من شعره:

ما جنتُ في حاجةٍ أسرُّ بها ... إلا توانيت، ثم قلت: غدا
لا جعلَ الله لي إليك، ولا ... عندك، ما عشتُ، حاجةً أبدا
وله:

بتُّ ضيفاً لهشامٍ ... في شرابي وطعامي
وسراجي الكوكبُ الدر ... يُّ في كلِّ ظلامٍ
لا حراماً أجدُ الحب ... ز، ولا غير حرامٍ
تستبينُ الجوعَ مني ... في حديثي وكلامي

ذكر عباس المشوق المجنون

كان مطبوعاً، كثير النادرة، حسن الشعر. ومن شعره لأهل البصرة:
رفضتُ بالبصرةَ أهلَ الغنى ... إني لأمثأهمُ رافضُ
منهمُ أناسٌ لا أسميهمُ ... طعمُ الندى، عندهمُ حامضُ
وأنشد المبرد له:

أنا العباسُ أفطنُ من رأيتمُ ... أخذتُ بدردياتِ الشتاءِ
إذا ما الريحُ هبتُ لي شمالاً ... وأظهرَ لي الجبابَ ذوو الغناءِ
قعدتُ في حمامِ عمرو ... فلم أبرحُ إلى بعد العشاءِ
وقمتُ إلى الأتونِ أبيتُ فيه ... بغيرِ وسادةٍ، وبلا غطاءِ
وإما خالد الموسوس، فهو خالد الكاتب. وقد ذكرناه في شعراء الكتاب. والله أعلم بالصواب.